بيت الحكمة

العراق في مذكرات دبلوماسيين بريطانيين

السير همفري تريفليان ـ السفير البريطاني ـ بغداد

السير سام فول ـ المستشار الشرقي في السفارة البريطانية ـ بغداد

ترجمة وتعليق

خليل إبراهيم حسين الزوبعي

بغداد ٢٠٠٣

اشتريته من شارع المتنبي ببغداد
فـــي 20 / صفر / 1444 هـ
16 / 09 / 2022 م

سرمد حاتم شكر السامرائـــي

العراق في مذكرات دبلوماسيين بريطانيين

السير همفري تريفليان – السفير البريطاني – بغداد
السير سام فول – المستشار الشرقي في السفارة البريطانية – بغداد

ترجمة و تعليق
خليل إبراهيم حسين الزوبعي

مراجعة
عبدالوهاب عبدالستار القصاب

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

الكتاب: العراق في مذكرات دبلوماسيين بريطانيين.
ترجمة: خليل إبراهيم حسين الزوبعي
الناشر: بيت الحكمة
الطبعة الاولى/ ٢٠٠٣
جميع حقوق النشر محفوظة للناشر
بيت الحكمة - العراق - بغداد - باب المعظم - ص.ب (١٥٣٦٤٠)
هاتف ٤١٤٠٠١٥/٤١٤١٢٠١ فاكس ٨٨٦٣٠١٥
E-mail: hikma@urklink.net

Twitter: @sarmed74 Sarmed- المهندس سرمد حاتم شكر السامرائي
Telegram: https://t.me/Tihama_books قناتنا على التليجرام: كتب التراث العربي والاسلامي

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المترجم :

مذكرات سفير بريطاني و مستشاره الشرقي عن ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨

أخذت على عاتقي توثيق ثورة ١٤تموز ١٩٥٨ منذ قيامها حتى ١٧ تموز ١٩٦٨ ولاسيما أني عايشتها ورافقت أحداثها منذ ولادتها في فلسطين ١٩٤٨ على يد مؤسس حركة الضباط الأحرار الشهيد الشيخ النقيب رفعت الحاج سري. كانت باكورة أعمالي إصدار سبعة كتب باسم **(موسوعة ١٤ تموز)** سيتبعها أربعة عشر كتاباً مخطوطاً، ويلى ذلك إصدار أربعة كتب مترجمة باسم**(العراق في الوثائق البريطانية)** عن أحداث عامي ١٩٥٨ و١٩٥٩. ومن أجل إكمال مهمتي قمت بترجمة كتاب السير همفري تريفليان سفير بريطانيا في العراق منذ كانون الأول ١٩٥٨ حتى عام ١٩٦٣، تحدث فيه عن هذه الثورة وقادتها، ومقابلاته المتعددة ليل نهار مع عبد الكريم قاسم و انطباعاته، وما قام به وسفارته في انحراف الثورة عن خطها الوحدوي الذي كان متفقا عليه بين قادة الثورة الثلاثة وأقسموا عليه بالمصحف الشريف يوم ١٠ تموز ١٩٥٨ في جلولاء. والكتاب المترجم موسوم باسم **"The Middle East In Revolution"** واتبعته بترجمة كتاب المستشار الشرقي سام فول **(Sam Falle)** الذي يجيد اللغة العربية

إجادة تامة، والذي صاحب السفير البريطاني مايكل رايت (Michael Wright) في مواجهة قاسم و عبدالسلام يوم ١٤ تموز، والذي حذرهما من مغبة أي وحدة مع جمال عبد الناصر ومن أية محاولة لمنع تدفق النفط إلى موانئ التصدير، ومن محاولات جمال عبد الناصر في الوصول إلى آبار النفط.

وختاماً استمطر شآبيب الرحمة والرضوان على أرواح شهداء ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ الذين ضحوا بحياتهم في سبيل تحقيق وحدة أمتهم العربية الحتمية التي طال انتظارها على الرغم من توقعات المؤرخ العلامة الأنكليزي توينبي الذي توقع قيامها عام ١٩٧٠.

خليل ابراهيم الزوبعي

القسم الأول

ما يخص العراق من مذكرات السير همفري تريفليان

في كتابه (الشرق الأوسط في ثورة)
Middle East In Revolution

(١٩٥٨-١٩٦١)

همفري تريفليان

الشرق الأوسط في ثورة

بغداد ١٩٥٨-١٩٦١

(**قبل اليد التي لا يمكنك قطعها**) - مثل شرق أوسطي

المقدمة :

بعد الحرب العالمية الأولى جاء البريطانيون بالهاشميين إلى بغداد، والهاشميون هم عائلة الملك حسين (**ملك الحجاز**) الشخصية الرائدة في الثورة العربية ضد الأتراك. تولى الأمير فيصل (**بن الملك حسين**) الحكم لمدة وجيزة في دمشق ولكنه أقصي من الحكم من قبل الفرنسيين عندما حصلوا على الانتداب في سوريا. فوضعه البريطانيون بعد ذلك ملكاً على عرش العراق الذي وضع تحت الانتداب البريطاني سنة ١٩٢٠ على وفق مقررات سان ريمو.

وفي سنة ١٩٣٢ انهي الانتداب البريطاني وأصبح العراق دولة مستقلة، وكان من المقرر ان تستمر المعاهدة العراقية - البريطانية الجديدة (**بعد الاستقلال**) لمدة ٢٥ سنة، وقد أكدت تلك المعاهدة الارتباط البريطاني الوثيق بالعراق ولاسيما في الجانب السياسي.

وفي غضون ذلك كانت الحركة القومية العربية تنمو باضطراد. ولم يكن انقلاب بكر صدقي سنة ١٩٣٦، وثورة رشيد عالي

سنة ١٩٤١ ذات تأثير بالغ الأهميـــة، إذ أخفقتا بالإطاحة بالحكـــم الهاشمـــي[١].

وفي سنة ١٩٤٨ أدرك نظام الحكم في العراق ضرورة إعادة النظر في المعاهدة العراقية - البريطانية على وفق الرأي السياسي المعاصر آنذاك. ونتيجة لذلك تم التوقيع على معاهدة جديدة في بورتسموث. وفي حين كان القادة العراقيون يقضون أوقاتهم باللهو في أوروبا كانت شوارع بغداد تتفجر غضبا.. وهكذا قبرت المعاهدة الجديدة لكن العرش الهاشمي ظل محافظا على بقائه .

وبهذا ظلت المعاهدة القديمة سارية المفعول إلى أن تم التوقيع على ميثاق بغداد[٢] في شباط ١٩٥٥ بين تركيا والعراق، الأمر الذي أعطى فرصة جديدة لاعادة النظر في المعاهدة **(العراقية - البريطانية)** تحت ظل التحالف الجديد. وفي نيسان ١٩٥٥ انضمت بريطانيا إلى الميثاق. وفي الوقت نفسه ألغيت المعاهدة القديمة وجرى التوقيع على اتفاقية

---

[١] كانت حركة الضباط الأحرار في العراق، والتي ولدت في فلسطين سنة ١٩٤٨ على يد مؤسسها الرئيس (النقيب) الشيخ رفعت الحاج سري وحدوية الاتجاه، وعليه فما ان بانت اتجاهات الثورة المصرية الوحدوية إلا واتصلت بالملحق المصري في العراق العقيد الركن جمال حماد سنة ١٩٥٣، واجتمع به كل من العقداء رفعت الحاج سري وإسماعيل العارف وعبد السلام عارف في مناورات الخريف للجيش العراقي في شمال العراق، وكشفوا له عن نوايا الحركة الوحدوية. راجع ص ١٣٠، الجزء الأول من موسوعة ١٤ تموز ١٩٥٨ لمؤلفه خليل إبراهيم الزوبعي.

[٢] لم يكن يسمى بحلف بغداد عن توقيعه بين العراق وتركيا، وأخذ حلف بغداد بعد انضمام الدول الاخرى تباعاً ايران والباكستان ثم بريطانيا في نيسان ١٩٥٥.

ثنائية بين بريطانيا والعراق تعهدت فيها بريطانيا بإخلاء القواعد البريطانية في العراق وان تترك فقط قوة جوية في مواقع محددة في العراق وبعثة عسكرية، وأنها سوف تستمر في تعهداتها لحماية العراق. ووضعت الترتيبات الجديدة موضع التنفيذ وتمت السيطرة علىالأوضاع في العراق بشيء من الصعوبة في أعقاب التعرض البريطاني-الفرنسي (**المشترك**)[٣] في السويس. وتعزى تلك السيطرة بدرجة كبيرة إلى الجهود التي بذلها نوري السعيد، والذي ظل الشخصية السياسية الأكثر تأثيراً وإثارة للجدل في العراق والصديق المخلص لبريطانيا. وكان الموقف آنذاك غير مستقر على عكس ما كان عليه الوضع السياسي المتين قبل (٣٥) سنة.

أخذت الثورة تستعر في العراق وبدأت القوى المعارضة لنظام نوري وأصدقائه وللارتباط البريطاني تحصل على التأييد الشعبي القوي بسبب نجاح عبد الناصر في أحداث السويس وتنامي نفوذه بوصفه زعيماً للقومية العربية. وكانت إذاعة القاهرة تبث دعايتها التي تهاجم فيها ميثاق بغداد والحكومة العراقية. وكان آخر إنجاز رئيس لسياسة الحكم الهاشمي تأليف الاتحاد العربي الهاشمي[٤] بين العراق والأردن، والذي لم يقتنع به أحد بجد، وقد تلاشى من دون أن يترك أثراً في اليوم الأول من ثورة ١٩٥٨.

---

[٣] يقصد به العدوان الثلاثي (البريطاني/ الفرنسي/ الاسرائيلي) عام ١٩٥٦.

[٤] في شباط ١٩٥٨.

وفي الوقت الذي كان العراق يمر في ثورة، كانت لبنان في حالة اضطراب كبير، وأصبح الوضع في الأردن غير مستقر بدرجة خطيرة. ونزلت القوات الأمريكية في لبنان، والقوات البريطانية في الأردن بناءً على طلب من الحكومتين، وتم استعادة السيطرة في كلا البلدين. واستمرت الثورة العراقية تشق طريقها من دون أن يحصل تدخل من الخارج.

في الرابع عشر من تموز١٩٥٨ قتل ملك العراق الشاب وقتل معه الوصي على العرش وسيدات القصر **(الملكي)** ورئيس الوزراء[٥] وابنه وعدد من الأجانب، و أحرقت السفارة البريطانية ونهبت.

سقطت الملكية الهاشمية التي أسسها البريطانيون قبل حوالى أربعين سنة على أنقاض الامبراطورية التركية. وكانت تلك الملكية مرتبطة بتحالف وثيق مع البريطانيين. وقد توطدت عبر التاريخ العلاقة الرومانسية القديمة بين الأنكليز والعرب، وقد تواصلت هذه العلاقة في ظل التنقيب عن الآثار لحضارة العراق القديمة، وتوافق ذلك مع المصالح المشتركة التي نشأت أيام الحرب عند استيلاء **(اللنبي)** على القدس، والدخول المخطط له بذكاء لفيصل الأول إلى دمشق والنشاط الاجتماعي في التعاون مع العرب الذي أبدته تلك الشخصيات أمثال لورنس وجيرترود بيل وبيرسي كوكس. وكانت أعمال تلك الشخصيات

---

[٥] المقصود به نوري السعيد وأبنه صلاح نوري السعيد اللذان قتلا في الاحداث التي اعقبت ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

مثبتة لدى السفارة البريطانية في بغداد، وقد تناثرت وتبعثرت سجلاتها يوم أن تعرضت إلى الحرق **(في صباح ثورة تموز ١٩٥٨)**.

لم يعد للتحالف البريطاني - الهاشمي أثر حي، في حين كان نوري السعيد - رئيس الوزراء - الذي عاصر ذلك التحالف كله منذ البداية قد تقدم به العمر وأصبح جامد التفكير ولا يبالي بقضايا الأمن، وقد اخفق في تكييف نفسه للظروف السياسية الآنية.

وجاء الانهيار المفاجئ...، وفي يوم واحد انفصمت حلقات الاتصال القديمة البريطانية مع العراق، والتي لا يمكن استعادتها أبداً.

لقد نفذ الانقلاب مجموعة من الضباط يرأسهم عبد الكريم قاسم وعبد السلام عارف. ولم يتوفر أي دليل يشير إلى أن الانقلاب كان بتوجيه مصري مباشر، إلا أن الضباط* **(المتآمرين)** كانوا متأثرين بالأنموذج الثوري المصري، وكانت الإذاعة المصرية ذات فائدة فيما يتعلق بهم، إذ كانت موجهة لسنوات عدة ضد نوري السعيد وضد النظام الملكي الهاشمي. في البداية كانت صور عبد الناصر قد حلت محل صور الملك، وكان بعض السياسيين من المعارضة العراقية على اتصال سري للإعداد للثورة، ولكن الثورة بالأساس كانت انقلابا عسكريا. لقد أعدت خطط عدة للثورة ولكن أياً منها لم ينفذ، إذ كانت الإشاعات تنتشر بقوة في العراق عن التحضير لتنفيذ الانقلاب. ومن المعتقد أن رئيس

---

* لقد استخدم تريفليان تعبيراً معادياً وهو (المتآمرون) وقد بدلناه بالضباط لأن ذلك التعبير عدواني واستعماري.

الأركان العامة العراقي قد أحيط علما بالإعداد للثورة، وقد زود بأسماء الأشخاص القائمين بالإعداد للثورة، ولكنه لم يصدق تلك المعلومات. لقد كان قاسم من الأشخاص المقربين للوصي ولنوري السعيد، وعندما حصلت الثورة كان قاسم آمر لواء مشاة في الفرقة الثالثة في بعقوبة التي تبعد حوالى ٤٠ ميلا شرق بغداد بأتجاه الحدود الإيرانية. وكان اللواء الداغستاني قائدا للفرقة الثالثة، وقد أخبرني لاحقا أنه لم تكن لديه أية شكوك في ولاء قاسم.

لقد سنحت الفرصة (للضباط) لتنفيذ مؤامرتهم عندما أمر نوري السعيد الفرقة الثالثة بالتحرك إلى الأردن، ولأجل الوصول إلى الطريق الصحراوي في الغرب كان على القطعات أن تمر ببغداد.

وكانت الأوامر تنص على أن لاتمر القطعات القادمة من خارج بغداد عبر بغداد وهي محملة بإعتدتها، ولكن الأوامر خرقت هذه المرة، وكان الحظ يقف إلى جانب الضباط، إذ كان عليهم التحرك في الليلة التي سبقت موعد مغادرة الملك والوصي إلى أنقرة في الصباح المبكر **(ليوم الثورة)**. قام عبد السلام عارف بإدارة الهجوم في بغداد، في حين كان قاسم ما يزال على الطريق في بعقوبة. وفي حوالى الساعة السادسة من صباح ١٤تموز ١٩٥٨ استولت قطاعات عارف على محطة إذاعة بغداد، وهاجمت القصر بالدبابات والعجلات المدرعة، وحدثت معركة قصيرة مع الحرس الملكي ولكن المهاجمين كانوا أقوى

من الحرس[٦]. وخرج الملك والوصي إلى حديقة القصر، ومن المتوقع انهم فعلوا ذلك للتفاوض مع الثائرين إلا انهم قُتلوا هناك وقتلت سيدات القصر بعدهما. وتمكن نوري السعيد من الهرب بشكل مؤقت من بيته متنكرا بزي امرأة، إلا أنه قُتل في اليوم التالي. وقد سحلت جثتا الوصي و نوري السعيد في شوارع بغداد. والرواية التي تفيد ان الضباط كان في نيتهم الحفاظ على حياة الملك مشكوك في صحتها، إذ كان الملك يحضى بنوع من الشعبية، وعلى عكس الملك فاروق كان من الممكن ان يصبح في المنفى **(لو ظل حيا)** بؤرة تستقطب أعداء الثورة.

وفي وقت مبكر في اليوم نفسه، وبتحفيز من الإذاعة الثورية قامت الجماهير بإسقاط تمثال الملك فيصل الأول وتمثال الجنرال مود **(محرر)** العراق من الحكم العثماني، وهاجمت السفارة البريطانية. وقتل أحد مساعدي السفير برصاصة طائشة، وقد اضطر السفير وزوجته وأعضاء السفارة الآخرون إلى الالتجاء إلى مكتب التسجيل في السفارة وبدأوا بجمع الأوراق السرية في السفارة، وقد طوقتهم الجماهير وطلبت

---

[٦] لم تحدث أي معركة مع الحرس بناء على الأوامر التي أصدرها ولي العهد الامير عبد الاله إلى آمر الحرس الملكي مكرراً القول ماذا يريدون منا؟ نحن العائلة الهاشمية التي كتب عليها القتل مستعدون لمغادرة العراق، ولو قاتل الحرس الملكي لكان التاريخ غير التاريخ، وذلك لان الثوار ماكانوا يملكون العتاد الكافي غير خمس أطلاقات لكل جندي نفدت وهم يطلقون النار من دون هدف معين، وقد أضناهم العطش وهم لايعلمون أي شئ عن الغاية التي من أجلها يقاتلون.

منهم الخروج من السفارة وإلا ستحرق السفارة عليهم، ولم يكن أمام منتسبي السفارة أي خيار آخر. وحالما خرجوا قام الجمهور بسلب ساعاتهم اليدوية وحليهم، إلا أنهم لم يتعرضوا لأي أذى بدني، وفي وقت متأخر جاءت مفرزة من الجنود العراقيين وقامت بتفتيش أعضاء السفارة في الحديقة وكانت أسلحة الجنود مصوبة نحوهم، لم تقم هذه المفرزة بأي جهد لإيقاف الجماهير التي قامت بنهب** دار السفير وإضرام النار فيها، وجُلبت الزوارق إلى النهر لنقل الاثاث الثقيل وما يمكن نقله أو تمزيقه إلى أن اضطر القائمون بالنهب و السلب إلى الابتعاد عن البيت بسبب ألسنة النار المتصاعدة، ووصلت درجة الحرارة إلى ١١٤م° تقريبا في الظل. و بقي موظفو السفارة في العراء طوال النهار ولم يطلق سراحهم إلا في الليل. وقد عثر على كتاب يعود إلى السفارة **(يبحث في صناعة الحلي والزخارف الصينية)** من تأليف مهندس هولندي، عثر عليه بعد مرور ثلاث سنوات في كوم من المخلفات تبعد حوالى ١٠٠ميل جنوب بغداد، و لم يعثر على أي شيء آخر من ممتلكات السفارة التي نهبت.

وفي ذلك اليوم وقعت حادثة مؤلمة أخرى، فعندما كانت الشرطة تبحث عن أعضاء أردنيين من مجلس الاتحاد الهاشمي، اختطف اثنان من الأردنيين، ورجل أعمال ألماني واحد، ورجلا أعمال أمريكيان من

** هنا أيضاً يكشف تريفليان عن موقفه الحاقد على الشعب العراقي فيصور الجماهير بهذه الصورة المبالغة العدوانية.

فندق بغداد، المفتوح حديثا، وركبوا في (لوري) وأرسلوا إلى وزارة الدفاع . وبالقرب من الوزارة أوقف الجمهور الغاضب تلك السيارة، وعلى ما يبدو انهم قد تعرفوا على أحد السياسيين من رجال العهد البائد كان موجوداً في (اللوري)، وتمكن أحد الأردنيين من الهروب إلى وزارة الدفاع، وأما بقية الأسرى فقد اعدمهم الجمهور وسحلوا جثثهم عبر الشارع. وتم دفن جثث المقتولين من النساء والرجال، الأجانب والعراقيين، في قبر سري لم نعلم مكانه*.

كان القسم الاكبر من الجيش مترددا في تأييد الثورة. وقد اخبرني الجنرال (اسكندر مرزا)، عندما أصبح رئيسا لدولة الباكستان، أنه كان يعتقد أن تدخلا من خارج العراق خلال ألـ (٢٤) ساعة الأولى كان بإمكانه القضاء على النظام الجديد، ولكن بعد مرور ذلك الوقت يصبح الأمر متأخرا جدا وغير ملائم. لم تتوفر الفرصة المناسبة للقيام بالتدخل من الخارج، فالأردن كانت في الداخل ضعيفة جدا، كما أن تجربة السويس لم تشجعنا على القيام بالتدخل، ولو قمنا به لكان عملاً أحمق وغير مثمر، ولا يمكن لأية حكومة يؤسسها البريطانيون أن تدوم طويلا، كما لا يمكن استعادة النظام القديم. لقد أدرك معظم الضباط العراقيين من ذوي الرتب العالية انه من الحكمة التجاوب مع الثورة. لقد اعتقل معظم القادة السياسيين والعسكريين الذين كانوا على ارتباط وثيق مع النظام القديم. وقد قام السياسيون الآخرون من الشيوعيين

---

* ينبغي علينا الوقوف بحذر شديد مما يحاول تريفليان التلميح اليه.

والناصريين بإسناد الثورة. وجلب اللواء الداغستاني، الآمر السابق لقاسم، إلى بغداد بسيارة جيب ناجيا بحياته من الجمهور(**العدواني**)* الذي كان يهتف بأنه يجب أن يسحل. والتقى به قاسم في وزارة الدفاع واخبره أن ليس هناك ما يدعو إلى القلق وسوف يطلق سراحه بعد بضعة أيام. ولكن الداغستاني أجاب بأن الحكومة الجديدة شكلت محكمة ثورية لمحاكمة أعضاء النظام السابق، وانه لم يفعل شيئاً يدعوه إلى الخجل، وأنه لم يعمل أي شيء ضد وطنه ولذلك يجب أن يحاكموه هو أيضا، لقد كان رجلا شجاعا.

بدأ قاسم يدرك بسرعة أن الذين ساندوا الثورة ممن كانوا يعارضون النظام السابق من المحتمل انهم سيقفون بالتالي مواقف مختلفة من النظام الجديد، كما أن الذين صنعوا الثورة لن يبقوا متماسكين لمدة طويلة. وخلال الأشهر الخمسة الأولى من الثورة تمكن قاسم من إحباط محاولتين جادتين للاستيلاء على السلطة. وبسرعة بدأ يتخاصم مع عبد السلام عارف المصاحب الرئيس له في الإعداد للثورة. اخذ عارف يتجول في البلاد ويلقي خطبه السياسية المثيرة لمشاعر **(الغوغاء)** العامة**، وبسرعة كشف عن نفسه بأنه ينوي أن يجعل العراق يسير في فلك عبد الناصر. وتمكن قاسم من التعامل مع عارف بسهولة، فقد أقصاه عن الثورة بتعيينه سفيرا في ألمانيا، ولم يلتحق عارف بمنصبه

---

* يمثل رأي تريفليان ممثل السياسة البريطانية الاستعمارية.

** استخدم تريفليان مصطلح Mob وتعني الغوغاء إشارة إلى ثورة الشعب ولذلك استبدلناه بمصطلح العامة أو الجمهور، لأن الغوغاء مصطلح مسيء للجماهير.

هذا وبقي في سويسرا. فاستدعاه قاسم إلى العراق ومثل دوراً ادعى فيه **(بالتأكيد كان ادعاء مزيفاً)** أن عارفاً حاول قتله، إذ كانت يده ماسكة مسدسه، فاعتقله واحاله إلى المحكمة لتحكم عليه بالإعدام. وعقدت جلسات المحكمة بصورة سرية ولم تعلن إفادات الشهود والمحلفين إلى أن رأى قاسم أن موقفه قد أصبح أمينا بدرجة تسمح له بالإعلان عن تفاصيل محاكمة عارف.

ورشيد عالي الكيلاني الثائر القديم سنة ١٩٤١، والذي كان محكوما عليه بالإعدام حتى قيام الثورة، والذي استدعي من قاسم للعودة إلى العراق، انغمس هو الآخر بشكل أحمق في مؤامرة غير مدروسة وغير جادة متجاهلا تحذيرات أصدقائه. وكان الضباط **(المتآمرون)** طائشين وانفضحت مؤامرتهم بشكل واسع داخل العراق وخارجه. ولم يجد قاسم أي صعوبة في قمعها، فاعتقل رشيد عالي الكيلاني وحكم عليه بالإعدام، ووجه هجوما عنيفا ضدنا، وأعلنت إذاعة القاهرة أننا قد أنذرنا قاسماً بحركة رشيد عالي. واستمرت الإذاعة لأشهر عدة تؤكد أننا كنا حلفاء مع الشيوعيين في العراق لدعم قاسم ضد عبد الناصر[٧].

---

[٧] لاصحة لادعاء السفير فالمؤامرة الوهمية، والتي كانت أسلحتها السكاكين والعصي كما عرضت في التلفزيون العراقي، والتي لم يشترك فيها أي ضابط من أية رتبة، كانت كما ظهر من المحاكمات التي أجرتها محكمة المهداوي، والتي اعتمدت على العشائر وعلى رمي الطائرات المصرية للأسلحة عليهم عندما تحين ساعة العمل.. إن هذه المؤامرة كانت من تدبير السفارة البريطانية والشيوعيين العراقيين بعلم عبد الكريم قاسم، وقد فصلناها تفصيلا دقيقا مدعما بالوثائق الرسمية في ص ٧ وما بعدها من الجزء الخامس الموسوم بـ(سقوط عبدالكريم قاسم) لمؤلفه خليل إبراهيم الزوبعي.

ولم يتلاشَ هذا الرأي تماماً في العراق مهما اظهر قاسم من معاداة ضدنا. وقد وجد ذلك صدى له في أوربا، إذ لخص هذا الموضوع بعد بضعة اشهر بمقال في مجلة (**ديـــر شبيغـــل**) الألمانيـــة تحت عنـــوان (**ذلك الواقف على النيل**) **"Der Feind stetch am Nil"**.

لقد واجه السير (**مايكل رايت**)، سلفي السابق، تحدي الثورة بثبات وجلد وببديهية صائبة. ولقد شعر أن ارتباطه الشخصي الوثيق بالنظام القديم يجعل من غير المستحسن له البقاء في العراق... وهكذا عُينت خلفا له، وفي أوائل كانون الأول ١٩٥٨ جئت إلى العراق.

قبل يومين من وصولي إلى العراق قام السكرتير المساعد المسؤول عن شؤون الشرق الأوسط في وزارة الخارجية الأمريكية* بزيارة بغداد، ولم يكن الوقت مناسبا للزيارة، إذ استقبل بمظاهرة عدائية نظمها الشيوعيون، الامر الذي اضطره بسببها إلى الفرار من أمام المتظاهرين عن طريق خلفي. ولقد اشتكى لدى قاسم الذي لم يكن مكترثا بالمرة، فطالما كان ((**أبناء الشعب**)) يهتفون له فإنهم على صواب في رأيهم حتما. لم تنظم أية مظاهرة ضدي، إذ وصلت بغداد من دون أن أثير الانتباه، إذ كان الأمريكان يمثلون العدو الرئيس للشيوعيين.

إن الأعداء الرئيسين لقاسم الآن هم القوميون. وكان الشيوعيون حلفاءه، وكان مركزهم يقوى يوما بعد يوم. فقد أحرزوا نجاحا باهرا في

---

* هو السفير راونتري الذي استقبلته مظاهرات صاخبة عند وصوله الى بغداد. (المترجم)

الريف للسيطرة على الفلاحين من خلال جمعياتهم الفلاحية الجديدة وقانون الإصلاح الزراعي، إذ جرى صياغة هذا القانون من خبراء مصريين وهو قانون ملائم على اقل تقدير للظروف المصرية. كان نوري السعيد قد ارتكب خطأ جسيما في عدم اهتمامه بالإصلاح الزراعي بسبب معارضة الشيوخ و كبار ملاكي الأراضي الذين كان يعتمد عليهم في الحصول على الدعم السياسي له. لقد كان موضوع الإصلاح الزراعي فرصة لقاسم لكي يظهر أن انقلابه ثورة اجتماعية أيضا. ولكن الإصلاح الزراعي واجه صعوبات جمة منذ البداية، إذ صادرت الدولة مساحات واسعة من الأراضي المستثمرة والمروية بالماء في وسط العراق وجنوبه، وتم ذلك بوقت مبكر قبل أن تتمكن الدولة من تقوية مركزها لتوفير الخدمات التي كان يؤمنها سابقا مالك الأرض. ولم يكن هناك أي نظام جذري لتوزيع الأراضي بما يتلاءم مع منظومة الارواء المتيسرة. ولم تكن توجيهات الجنرال الزراعي البريطاني (**غليب Glib**) بشأن توفير الخدمات من التعاونيات ذات اثر فاعل في ريفٍ فلاحيه غير متعلمين وعدد التعاونيات فيه قليل فضلاً عن انعدام الأشخاص ذوي الخبرة لتطوير تلك التعاونيات. وبعد مرور ثلاث سنوات على قيام الثورة، كانت النتيجة الوحيدة للسياسة التعاونية للحكومة هو اختفاء الجمعيات التعاونية الوحيدة التي كانت موجودة قبل قيام الثورة.

واجهت الثورة تعقيدات أخرى في المسألة الزراعية. فلقد كانت المؤسسة المسؤولة عن إصلاح الأراضي في أيادي الشيوعيين الذين كانوا مصممين على إحكام السيطرة الشيوعية على الريف، إذ كان المسؤولون الحكوميون في العديد من المناطق الريفية ضعفاء غير قادرين على الوقوف بوجه الشيوعيين. وكانت عمليات الإرهاب والاغتيال من الأمور الشائعة. وقد وضع الغاصبون أيديهم على أراضي الغير بقصد الاستيلاء عليها وامتلاكها من دون سند قانوني، ولم يكن بإمكان مالكي الأرض زراعة حصتهم من الأرض التي تركتها لهم الدولة بموجب القانون. وقد قل منتوج الغلال إلى النصف خلال السنتين الأوليتين بعد الثورة، إذ أن القسم الأكبر من الأراضي المتأثرة بالقانون لم تزرع. وقامت الحكومة بتأجير بعض الأراضي للفلاحين وزودتهم بالبذور لزراعتها، إلا أن الفلاحين أكلوا معظم تلك البذور وباعوا القسم الآخر و لم يقم الفلاحون بدفع قسط الإيجار، ولم تزرع الغلال إلا من مالكي الأرض الصغار الذين لم يشملهم قانون الإصلاح الزراعي، وكذلك زراعة الأرض في الشمال، إذ لم يجرؤ المسؤولون الرسميون عن الإصلاح الزراعي في الشمال على التحرش بالشيوخ الأقوياء من الأكراد والعرب. وقد طلبت الحكومة من مالكي الأرض القدماء أن يستأنفوا سيطرتهم على مقاطعاتهم بصورة وقتية إلى أن يتم تنفيذ التوزيع الجديد للأراضي. ولكن ذلك لم يرق لهم حتى وإن كانوا مستعدين للزراعة، وكانت الحاجة إلى استيراد القمح ضرورية، وهذا ملائم للحكومة فبدلا عن شراء القمـــح المحلي بسعر مرتفع من

المزارعين وبيعه بسعر منخفض **(أي بخسارة)** إلى المواطنين المستهلكين كان بإمكان الحكومة أن تحقق ربحاً من خلال استيرادها الحنطة الأسترالية الأرخص ثمنا من القمح العراقي، إذ يجري الحصول علىالحنطة الأسترالية من خلال التبادل الخارجي مع عوائد النفط الغزيرة. وفي الوقت الذي بدأت فيه الجمعيات الفلاحية تحل محل المسؤولين الحكوميين، أصبحت المدارس القروية بأيدي الشيوعيين. وعندما كنا خارجين للصيد، ظهرت فوقنا طائرة حربية، وقال لي ولد صغير "هذه طائرة ميغ"، ويبدو أن الشيوعية قد امتدت جذورها بشكل راسخ.

حققت الشيوعية في المدن سيطرة على الاتحادات المهنية التي تألفت بعد الثورة مباشرة. وقد عرقلت هذه الاتحادات العمل حيثما تمكنت من ذلك، وكانت تجبر العمال والطلاب على الخروج في الشوارع مرتين أو ثلاث مرات في الأسبوع، و أجبرت الحكومة على صرف المخصصات الإضافية بشكل شامل، وازدادت كلفة العمل بشكل ملحوظ، وأصبح حجم السلع المنتجة نصف ما كان عليه سابقا. وقد تمكن الشيوعيون من السيطرة في بعض الوزارات وفي الجامعة.

وتشكلت تنظيمات ذات وجهة شيوعية حظيت بدعم من عبد الكريم قاسم الذي لم يبذل أي جهد ليجعل العمال ينصرفون إلى العمل، وأعلن أن الطلبـــة الراسبين جميعهم في الامتحانات يعدون ناجحيـــن. ولم يكن ذلك القرار مفيدا للطلبة من الناحية العلميـــة، وكانوا يعرفون عند زملائهم الطلبة الآخرين بـــ**"الزاحفيـــن"**، وقد وجد الكثيـــر مـــن هؤلاء

الزاحفيـــن ان مـــن الأفضل لهم أن يعيدوا السنة الدراسية ويحاولوا النجاح بجهودهم الخاصـــة.

لقد حقق الشيوعيون السيطرة عمليا على وسائط الإعلام جميعها. وكانت الإذاعة والتلفزيون الحكوميتان مسخرتين بغير انقطاع في الخط الشيوعي، كما أن الصحافة يغلب عليها الطابع الشيوعـــي. وأنشأ الشيوعيون قوة المقاومة الشعبية وهي تنظيم شبه عسكري، وقد تمكنت هذه القوة من السيطرة على الشوارع ليلا وكانت مصممة لتكون جيشا خاصا يساعد الشيوعيين في الوصول إلى السلطة.

وتم تجميد قوى الأمن والشرطة التي كانت تستخدم في الماضي القوة للقضاء على إحداث الشغب، وقدم الكثير من أفراد هذه القوى إلى المحاكمة بتهمة القيام بالأعمال القمعية ضد "الشعب". ولم يكن في مقدور أي ضابط في الشرطة أو الجيش أن يقوم بأي شيء أو أن يقول شيئا لاستعادة النظام في الشارع، لأن ذلك من شأنه أن يثير الانتباه ضده ويعرضه للانتقاد أو الخطر، في حين كان **(العامة)** من الشيوعيين يهتفون تأييدا لقاسم. وانخفضت معنويات الجيش بدرجة كبيرة، وأصبح العديد من الجنود وضباط الصف والضباط شيوعيين، وقلة منهم كانوا شيوعيين عن قناعة وأغلبهم أصبح شيوعيا بالإكراه كما أن كثيراً منهم انتهازيون. وكان الضباط القوميون يعملون سرا. وفي كانون الأول ١٩٥٨ تمكن الشيوعيون من محاصرة آمر حامية البصرة في مقره، وكان ذلك بتشجيع علني من محكمة الشعب لمهاجمة الضباط "المعادين" للثورة، وتبع ذلك قتل ضابط برتبة عقيد في البصرة من جنود وحدته.

وكانت الشرطة مجردة من قوتها وغير قادرة على الوقوف بوجه قوة المقاومة الشعبية. وتعرض البريطانيون والأجانب الآخرون العاملون في العراق إلى شيء من الضغوط، فضلا عن الصعوبات التي كانوا يلاقونها في القيام بأعمالهم وخسائرهم المتزايدة بسبب الفوضى العامة وفقدان الانضباط في العمل. ولم يكن هناك رادع عام ضدهم، وفي أية لحظة قد يتسلم المرء أمرا بمغادرة البلاد خلال بضعة أيام.

وتمـــر لحظات خطـــرة للأشخاص الذين يتعرضـــون لمثل هـــذه الإجراءات التي تحرر إلى الحكومة. وفي صباح ذات يوم، رن جرس التلفون وكان المتحدث بصوت إنكليزي يقول :

"إنني محاصر في دائرتي من عمالي الذين هددوا بسحلي في الشوارع أرسل لي مساعدة فورا". وقد قمت بإجراءات أدت إلى إنقاذه.

وفي محطة الطاقة الكهربائية في البصرة، والتي أنشئت مؤخرا، قام أحد العاملين الألمان خلال مدة الغداء صدفة **(من دون قصد)** بتمزيق صورة قاسم ملصوقة على جدار المطعم، وهو يحيي الناس في شوارع بغداد، وكان أحد العمال الشيوعيين مارا بالصدفة من هناك وشاهد ذلك من خلال النافذة، وفورا تم تطويق الغرفة التي كان الأجانب يتناولون طعامهم فيها من لدن جمهور هائج وهم يحملون الحبال ويهددون بشنق الرجل الذي تسبب في تمزيق صورة قاسم. وكذلك اتهمت فتاة باكستانية كانت تعمل كاتبة في دائرة القنصلية البريطانية بتمزيق صورة قاسم، وكانت هذه التهمة شائعة آنذاك، وقد أمرت الفتاة بترك البلاد، وكان السبب الحقيقي لذلك بسيطا جدا، ففي الشارع الذي كانت تسكن فيه تلك

الفتاة، كانت تقيم فيه إمرأة تقوم بأعمال الدعارة وكانت ترغب في توسيع أعمالها واحتاجت إلى البيت الذي كانت تشغله تلك الفتاة.

وتعرض البريطانيون العاملون في البنك البريطاني إلى مضايقات جادة من الموظفين العراقيين العاملين بإمرتهم، والذين كانت لا تروق لهم أوامر البريطانيين. وكان علينا أن نحتج وان نجادل باستمرار لإيقاف أوامر إبعاد البريطانيين. وأحيانا تكون الإجراءات الرسمية مضحكة وتدعو إلى السخرية، فمثلا أن أحد المستخدمين في البنك البريطاني سأل مسؤول الاستخبارات في السفارة لماذا يتعقبه العراقيون؟ وكان التفسير لذلك غير متوقع؛ ففي اللغة العربية للأسم الوسطي اعتبار خاص، وكان الاسم الوسطي لذلك البريطاني هو **(ماكملان)**، وقد اعتقد العراقيون انه ابن رئيس الوزراء البريطاني حتماً وعليه فإنه عميل بريطاني. ومع ذلك، لم تتعرض الجالية البريطانية نسبيا إلى مضايقات في دوائرها ونواديها. وخلال السنوات الثلاث الأولى من الثورة استمرت تجارتنا بالانسياب إلى العراق من دون انخفاض ملحوظ عما كان عليه الوضع قبل الثورة. واستمرت معاملة البريطانيين بشكل اعتيادي من دون تمييز ملحوظ.

ترأس العقيد المهداوي محكمة الشعب، وهو ابن خالة قاسم وكان سيء السمعة، ولم يكن ضابطا متميزا وكان يعمل في وحدة تجهيز

إدارية* وكان يتسم بالعنف ومجردا من المبادئ الخلقية وبذيء اللسان ووقحاً، و قد صمم على إعدام قادة النظام السابق جميعهم.

لقد كانت المحكمة سياسية الطابع وبمثابة عرض مسرحي يحضره المهرجون الذين كانوا يقاطعون سير المرافعات في مديات زمنية عدة ليرددوا شعارات تمجد قاسماً والمهداوي وتلعن المتهمين الواقفين في قفص الاتهام. ولم يمارس المهداوي أي سلوك صحيح في ممارسة العدالة. وكان يلقي خطباً سياسية لاذعة متطرفة ضد البريطانيين والأمريكان والنظام القديم. وعندما تغير المناخ السياسي ضد عبد الناصر والجمهورية العربية المتحدة **(الاسم الجديد لمصر)**، اخذ المهداوي يهاجم عبد الناصر أيضا. وفي مساء كل يوم كانت محكمة الشعب بمثابة مصدر رئيس لتوفير المتعة عن طريق التلفزيون في مقاهي بغداد. إذ كان التلفزيون العراقي قد تأسس حديثا وقامت بتجهيزه شركة بريطانية. وفي ٣١ كانون الأول ١٩٥٨ وفي احتفال رأس السنة الميلادية في نادي السكك، أعلن المهداوي بصوت عالٍ إلى ضيوف

---

* لم يكمل المهداوي دراسته الثانوية، ولم يكن ضابطا جيدا، إذ اشترى شهادة الثانوية من بيروت ولذلك تخرج ضابط احتياط، ولم يتول أي منصب مرموق، وكان آخر منصب له قبل الرابع عشر من تموز هو منصب آمر سرية حراسة. وأسر المهداوي في الحرب العراقية البريطانية سنة ١٩٤١ وعند مقابلته ولي العهد الأمير عبد الإله بعد نهاية الحرب المحزنة أبدى ندمه واستعداده لخدمته وخدمة العائلة، ولعن من كان السبب وهو تماما عكس موقف الرئيس الركن (النقيب) سليم الفخري الذي قال لولي العهد إني حاربت الاستعمار البريطاني وأنا على استعداد لمحاربته مرة اخرى وفي كل مكان من أرض العروبة. ولم يُتخذ ضده أي إجراء.

الحفل في منتصف تلك الليلة قائلا :"لدي هدية أقدمها إليكم في رأس السنة الميلادية؛ اثنا عشر إعداما!". لقد استخدمه قاسم ناطقا باسمه لأغراض الدعاية السياسية، وقد سمح له بتجاوز الحدود معتقدا أن المهداوي قادر على تدبر الأمور بحكمة. وقد نشر **(انتوني نتنغ)** مقابلة مع قاسم هاجم فيها العقيد المهداوي. وفي اليوم التالي أشار المهداوي إلى "**هذا النتن**"، والتي تعني في العربية "الرائحة التي تنتج من جراء تحلل الجثث". ومع ذلك فقد كان المهداوي حذرا في التوضيح بأنه يشير إلى سياسة "**تنتغ**" وليس إلى شخصه. وكان أعداؤه يبتهجون عندما يتعثر في كلامه، ففي إحدى المرات أخذ المهداوي يمجد إمرأة مصرية بوصفها شاهدة، إذ وصفها باللبوة، وهذه الكلمة تعني **(العاهرة)** لدى المصريين. إن هذا الرجل البدين القبيح المعتوه أصبح في مدة وجيزة بطل **(العامة)** في العراق.

لقد أُدين الأشخاص البارزون في النظام القديم بعقوبة الإعدام؛ إذ كان منهم العسكريون مثل رفيق عارف رئيس الأركان العامة السابق، وغازي الداغستاني الذي رفض الرأفة التي عرضها قاسم عليه، ومنهم السياسيون أمثال توفيق السويدي الذي أصبح رئيسا للوزراء مرات عدة، والذي كان يعرف بـــ**(الثعلب الأحمر)**، وفاضل الجمالي الشخصية المعروفة في الأمم المتحدة والمشهور بمعاداته للصهيونية وللآراء الناصرية، وسعيد قزاز وزير الداخلية السابق الكردي الذي كان الشيوعيون يكرهونه ويخشونه، والذي كان يلقى الاحترام من الباقين.

تلقى المتهمون الإهانات والشتائم والكلام البذيء المتعالي في المحكمة وكان يبدو عليهم الوقار والصلابة والثبات، وكان **(سعيد قزاز)** من بين المتميزين في صمودهم وصلابتهم، وقد سمح قاسم للمهداوي بأن يصدر حكم الإعدام على هؤلاء النخبة. وكان الشيوعيون يضغطون باستمرار لتنفيذ أحكام الإعدام التي أصدرتها محكمة الشعب. وقد أشار المهداوي مرارا الى أن التنفيذ لن يكون بعيدا، ولكن قاسماً الحذر أجل التنفيذ.

بعد قيام الثورة تألفت حكومة من المدنيين والعسكريين ضمت الأحزاب جميعها ماعدا أقطاب النظام القديم. وكان كادر الحزب الشيوعي على صلة وثيقة بعبد الكريم قاسم إلا انهم لم يكونوا ممثلين في الحكومة. وأما الأحزاب الأخرى، والمتمثلة بـ **(البعثيين والناصريين والقوميين المعتدلين والوطنيين الديمقراطيين)** فكانت ممثلة في الحكومة. وضمن هذه التشكيلة كانت السلطة الحقيقية بيد قاسم وهيئة ركنه من العسكريين من ضمنهم المرافق الشخصي* لنوري السعيد الذي تبجح كذبا بأنه هو الذي قتل سيده السابق. وكانت وزارة الدفاع مقرا لعبد الكريم قاسم، وكانت الحماية موفرة له من فوج مشاة يشكل حرسا خاصا لـــه.

وفي كانون الأول ١٩٥٨ لم يكن أمرا مستغربا أن يظهر ذلك الجمع غير المتجانس من الوزراء دلائل التفكك. فقد كان وزير الخارجية

---

* يقصد به العقيد وصفي طاهر.(المترجم)

(القومي) يعض على شفته السفلى حنقا بما ينم بوضوح عن عدم ارتياحه. وكذلك اعترف لي ممثل حزب الاستقلال القديم، العدو التقليدي لنوري السعيد، في أول لقاء لي معه بأنه ظل ملازما لبيته، لشعوره بالاستياء ولتجاهله من الحكومة وعدم الاهتمام به خلال الشهرين الماضيين. وفي استقبال رسمي سألني (البعثي)عن اعتقادي في أن يكون عبد الناصر هو المنقذ الوحيد الممكن في العالم العربي، وقال لي الوزير الكردي بأنه متأكد تماما أن قاسماً شيوعي، وأنه ليس هناك أي تفسير لاعماله منذ قيام الثورة*.

في شباط ١٩٥٩ انحل ما يسمى بـ(الجبهة الوطنية). واستقال الوزراء (اليمينيون) البعثيون والقوميون الذين رفضوا العمل تحت التأثير الشيوعي المتنامي، وتبعهم في ذلك اثنان من الضباط الثوريين البارزين، وكان أحدهما مشمئزا من سلوك العقيد المهداوي. وعين أحد أعضاء الحزب الوطني الديمقراطي بمنصب وزير الإرشاد[٨]. وفي اليوم الأول من تسلمه المنصب أوقف صدور صحف الحزب الشيوعي لمدة ١٠ أيام. وألغى قاسم هذا الأمر واستقال الوزير بسبب ذلك. وأعلن قاسم أنه لن يوقف أية صحيفة عن الصدور (وهو تصريح غالبا ما كان

---

* الوزراء المعنيون هنا هم المرحومون الأستاذ محمد صديق شنشل الاستقلالي المعروف وزير الإرشاد، وفؤاد الركابي وزير الأعمار، وبابا علي الشيخ محمود وزير المواصلات والأشغال. (المترجم)

[٨] وهو الأستاذ حسين جميل و قد تسلم الوزير منصبه خلافاً لرغبة اعضاء الحزب الآخرين و على رأسهم رئيس الحزب السيد كامل الجادرجي.

يضرب عرض الحائط ولا ينفذ). ولكن لا تستمر أية صحيفة بالصدور مالم تلتزم الجانب الحكومي وتسير بثقل ملحوظ لصالح الشيوعيين ويتلقى قاسم الدعم الآن من اليساريين وعدد من الضباط، وأخذ يسيطر على الحكومة يوما بعد يوم، واخذ الوزراء الآخرون يفقدون سلطاتهم الحقيقية.

في هذا الوقت قرر القوميون المسندون من المصريين القيام بعمل مضاد للحكومة. لقد طرق سمعنا انتشار الاستياء العلني بين الرتب العالية من الضباط في الموصل والتحضير للقيام بانقلاب. وحتى أننا سمعنا باليوم الذي سيحدث فيه ذلك الانقلاب. وكانت المعلومات المتوفرة لدى قاسم تؤكد ذلك من دون شك، ولو أن تلك المعلومات لم تصله عن طريقنا. لقد التزمنا بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للعراق. وكان من المقرر ان تحدث المؤامرة في آن واحد في الموصل وبغداد وربما في مواقع أخرى. وحدث الانقلاب بشكل مرتجل تجلى فيه عدم الاستعداد له بشكل كاف، إذ أُعلنت حكومة جديدة في الموصل وبدأت إذاعة للثوار بثها من هناك مؤكدة أن قاسماً حرف الأهداف الحقيقية لثورة ١٤ تموز. ولم يحدث أي شيء في بغداد، وتملك الرعب الضباط في وزارة الدفاع و أخفقوا في القيام بأي عمل. قبل أيام عدة من هذه الانتفاضة سمح قاسم أو ربما حرض بنفسه حشدا غفيرا من الشيوعيين المتعاطفين معه للذهاب من بغداد إلى الموصل التي كانت معقلا قوميا، لكي يشاركوا هناك لدعم النظام الحاكم. ومن المحتم أن ذلك كان نذيرا بوصفه إجراء رسمياً ضد القوميين في الموصل، وربما دعاهم ذلك الى

التفكير بتقديم الموعد الأصلي المخطط له للقيام بانتفاضتهم. وتشير إحدى الروايات المتداولة آنذاك إلى أن قاسماً هو الذي دفع **الضباط** إلى أن يقوموا بثورتهم قبل ان تتم تهيئتهم لها بشكل تام، وذلك بقيام إذاعة بغداد بترديد النغمة المتفق عليها **(من لدن المتآمرين)** لاندلاع الانتفاضة. وعلى أية حال لم تكن حركة **الضباط** مؤثرة.

لقد نجحوا في السيطرة على الموصل لمدة قصيرة وتمكنوا من إلقاء القبض على القادة الشيوعيين هناك. واستطاعت طائرة واحدة إلقاء قنابلها على مؤسسة عسكرية بالقرب من بغداد، و أخفقت إذاعتهم في البث، وتمكن جمع من قطاع الطرق والمخربين من التسلل إلى مقر شركة نفط الموصل واخذوا أحد الخبراء الفنيين البريطانيين تحت التهديد المسلح لإجباره على تصليح الإذاعة، وقد بذل هذا الفني قصارى جهده إلا أنه لم يتمكن من إصلاح جهاز البث. وفي غرفة الإذاعة كان ضابط يرتدي البزة العسكرية السوريـــة، وكان جهاز البـــث موضوعا في حقيبة تحمل شارات سوريـــة. ويبدو أن سلطات الجمهورية العربية المتحـــدة لم تكن مكترثة ولم تتخذ أي إجراء لتمويه دورهم فـــي دعم الثائريـــن.

تصرف قاسم بشكل فوري وحازم، إذ قامت القوة الجوية العراقية التي كان يقودها ضابط شيوعي معروف* بمهاجمة مقر المتمردين بطائرات محملة بالصواريخ. وقد جرح زعيم المتمردين ثم قتل

---

* هو المرحوم زعيم الجو الركن جلال أحمد الاوقاتي. (المترجم)

برصاصة من أحد رجاله الذي اقتنع أن اللعبة قد انتهت. وتحركت قوات عسكرية إلى الموصل واعتقل قائد المتآمرين وسحقت الانتفاضة.

وهذه النتيجة أعطت للشيوعيين فرصتهم؛ لقد استمرت الفوضى في الموصل لمدة خمسة أيام، قام خلالها الشيوعيون بنهب أعدائهم وسلبهم وقتلهم، ومن ضمن ذلك العديد من العائلات البارزة في المدينة. وبتغاضي السلطة انشأ الشيوعيون محاكم سياسية أصدرت إدانات رسمية ضد ضحاياهم وأعدمتهم ورمتهم على شوارع الموصل وخارجها قرب عين ماء. لقد لاحق سوء السمعة هذه الممارسات في العراق عامة. ولم يفكر الشيوعيون بالانتقام الذي سيقع على رؤوسهم فيما لو انقلب مد التيار في الاتجاه المعاكس.

وفي بغداد تظاهر الشيوعيون بشكل مستمر وملأوا الشوارع بمسيرات ضخمة مطالبة بإعدام الخونة وممجدة قاسماً. واعتقدوا الآن انهم قد وضعوا قاسماً في جيبهم. واحتلت قوة المقاومة الشعبية مركزا مرموقا في الموصل وبغداد والمدن الأخرى. وأنطلقت أجهزة الإعلام صارخة ضد عبد الناصر والإمبرياليين. ورفع اسم عبد الناصر الذي سبق أن أطلق على بعض الشوارع بعد الثورة. كما ألصقت صور في الشوارع فيها رأس عبد الناصر على أجسام فتيات عاريات أو على أجسام حمير، وعرضت تلك الصور المهينة لشخص عبد الناصر في المراكز الرئيسة للتسوق، وكان سفير الجمهورية العربية المتحدة موجودا في القاهرة آنذاك. وقد وضعت قيود مشددة على سفارته ولكن من دون ما يؤدي إلى قطع العلاقات التي كان قاسم يتجنبها لأسباب

سياسية. وأعلن في بغداد أن سبعة من أعضاء السلك الدبلوماسي المصري غير مرغوب فيهم في العراق. وقد وضع القائم بالأعمال تحت المراقبة الشديدة. وفي هذا الوقت احتفلت السفارة بأحد أعيادها الوطنية. وقامت السفارة بدعوة عدد من الطلاب البعثيين الذين احتشدوا في حدائق السفارة، في حين تجمع الطلبة الشيوعيون خارج مبنى السفارة وحاولوا إشعال النار في المبنى. وبشكل غير مقصود لم يكن التدخل الحكومي مؤثرا. ولم يستمر شهر العسل العراقي – المصري اكثر من سنة واحدة.

فتح قاسم الآن حملة لقمع القوميين؛ فقد أحيل أكثر من مائتين من ضباط الجيش على التقاعد فورا، واعتقل الكثير من الضباط والمدنيين، وعومل بعضهم بلا شك بقسوة متناهية، وكان من بين المعتقلين قائدا الفرقة الثانية **(الطبقجلي)**، والفرقة الثالثة **(العقيلي)** الذي عين لتوه سفيرا في طهران. وقد حضرنا حفلة تكريم للعقيلي في دار الملحق العسكري الإيراني، ولكن لم يحضر المدعو الرئيس في الحفلة. قبل حضور الاحتفال زار العقيلي قاسماً في وزارة الدفاع كي يودعه، وكانت علائم الارتياح بادية على قاسم، وقال للعقيلي أن يسرع لحضور الاحتفال. وقد نزل العقيلي إلى الطابق السفلي واعتقل في الباب.

كانت مؤسسة السكك الحديدية تضم واحدة من أسوأ الخلايا الشيوعية التي كان يعذب فيها غير الشيوعيين. وفي وقت لاحق قال أحد المسؤولين الكبار لأحد العاملين في سفارتي إنه يعد نفسه محظوظاً لأنه

قد أعفي من منصبه في مؤسسة السكك الحديدية بعد الثورة، وأضاف قائلا: **(وإلا وجدت نفسي في تلك الغرفة الصغيرة وعيني قد تورمتا من ربط المنديل بإحكام حول عنقي ووجهي)**[٩].

لقد أعفي الكثير من القوميين من مناصبهم، وأخذ بعض القوميين يعملون سرا، وفرّ آخرون إلى القاهرة وابتدأوا يتحدثون عن طريق الإذاعة والصحف لصالح عبد الناصر. وأعلن السفير العراقي في القاهرة معارضته النظام **(العراقي)** واستقال من منصبه. واخذ الشيوعيون يزيدون من ضغطهم في المدن والأرياف. ويحظى السفير السوفيتي بالترحيب في كل مكان ويلقى التكريم من النظام والجماهير. وتم التوقيع على اتفاقية اقتصادية فنية بين العراق والحكومة السوفيتية تضمنت بناء معامل ومحطات إذاعة وإجراء مسوحات اروائية ومعدنية وتأسيس مفاعل نووي. ودخل العراق عدد من الأطباء

---

[٩] تولى مديرية السكك الحديدية العامة العميد الركن صالح زكي توفيق الذي سلم الأمر للشيوعيين على الرغم من أنه لم يكن شيوعيا في يوم من الأيام، ولا يعرف شيئا عن الشيوعية والمذاهب الاقتصادية، ولم يكلف نفسه في قراءة أي كتاب يبحث عن الاقتصاد، ولاغرابة في ذلك وهو قد دخل الكلية العسكرية وهو من أبناء العشائر (يقرأ ويكتب فقط) إسوة بغيره حسب رغبة المغفور له الملك فيصل الأول الذي أراد بحكمة ان يرفع مستوى عشائر الجنوب الذين كانوا متخلفين ثقافيا طبقا للسياسة العثمانية التي كانت سائدة آنذاك. ولما تراجع عبد الكريم قاسم عن دعمه للشيوعيين تراجع صالح زكي أيضا وندم على فعلته السوداء وقال مقولته المشهورة: تراجعت عندما بدل الزعيم (كير) (وهي آلة في السيارة تستخدم عندما يريد السائق العودة إلى الوراء).

والمهندسين السوفيت، وجرى إبعاد معظم الفنيين البريطانيين. وابتدأ الناس يعتقدون كون عبد الكريم قاسم شيوعياً وأن الشيوعيين سوف يسيطرون على الوضع في العراق حالا.

عقد قاسم بعد قيام الثورة مباشرة اتفاقية مع الروس لتجهيزه بالأسلحة والطائرات والمعدات العسكرية المتنوعة. ومن الواضح أنه ما كان ليستمر بالاعتماد على المعدات العسكرية البريطانية، وانه كان مصيبا في افتراض اننا لن نوافق على تجهيزه بالأسلحة خلال الأشهر الأولى بعد الثورة. وعلى أية حال طلب مني في كانون الثاني ١٩٥٩ تزويده بدبابات وقاصفات قنابل ومدافع ثقيلة لمقاومة الطائرات. وسبب هذا الطلب إما لأنه لم يكن يريد الاعتماد كليا على الأسلحة الروسية وإما لأنه أراد أن يختبر موقفنا السياسي. وكانت هناك مبررات لصالح موافقتنا، إذ لم نكن نرغب في أن يعتمد كليا على الروس، ولم يكن في وسعنا أن نرفض بيع الأسلحة له، وفي الوقت نفسه كنا نأمل في التعامل معه مستقبلا. كانت لدينا مصالح في العراق وكان علينا أن نحميها. ومن الناحية الأخرى، يمكن القول انه لم يكن لدينا هدف من تزويده بالأسلحة لأنه قتل أصدقاءنا وهو الآن يسير في ركاب الشيوعية. وقد يعترض حلفاؤنا في الحلف المركزي (**السنتو**) في أننا نعطي الأفضلية لاعدائنا على أصدقائنا، وقد يفكر عبد الناصر بأنها علاقة مجددة لإثارة العداء ضده، وقد تحتج إسرائيل أيضا. وتهربت بريطانيا من الطلب لأشهر عدة، في حين اخذ الشيوعيون في العراق نتيجة لانتفاضة الموصل الفاشلة يزدادون قوة.

كان علينا أن نقرر موقفنا إزاء قاسم وان نقدر التطورات المحتملة في العراق. لقد استمعت إلى الرأي الذي يقول إن قيام عبـد الناصـر بالاستيلاء على العراق هو ما ينبغي الخوف من وقوعه أكثر من الخوف من قيام الشيوعيين بالاستيلاء على العراق*. إننا نعرف كيف نتعامل مع الشيوعيين، كما أن نجاح الشيوعيين في العراق قد يكون له فائدة في تخويف بقية أجزاء العالم العربي وجعلهم يبتعدون عن الشيوعية. ولم أكن أميل إلى الأخذ بهذا الرأي، وكنت متفقا مع صديق عراقي من النظام الملكي، والذي لم يكن لديه أي سبب يدعوه لحب عبد الناصر، قال لي إن التهديد الشيوعي هو الخطر الأكبر لأنه حالما يستولي الشيوعيون على السلطة فإنهم لن يتخلوا عنها أبدا، في حين ليس هناك شيء ثابت ودائمي في السياسة العربية. وعبر آخرون عن الرأي القائل إن قاسماً ليس شيوعيا ولذلك ينبغي علينا أن ندعمه. نحن في بغداد لم نذهب إلى هذا المدى في التفكير فلم نكن نعرف حقيقة قاسم، هل انه شيوعي أم لا، ربما كان **(قاسمياً)** أكثر من أي شيء آخر، يسعى الى الحفاظ على البقاء في السلطة ولا يسمح لأي فرد آخر بالهيمنة عليه. وينبغي أن تكون سياستنا عدم دعمه وعدم معارضته ونتعامل معه على هذا الأساس إذا ما استطعنا إلى ذلك سبيلا طالما أنه باق في السلطة. لقد أشار الأمريكيون إلى هذه المدة من عام ١٩٥٩

---

* ليلاحظ القاريء الكريم هذه القناعة التي أصبحت ركن السياسة البريطانية حيال العراق ابان حكم عبد الكريم قاسم. (المترجم)

بأنها سنة الحمل في العراق. لم نسقط من حساباتنا المخاطر القائمة ولكن أفترضنا أن القومية في العراق ماتزال هي القوة الأكثر تأثيرا في البلاد، وأن الشيوعيين مهما كانت نجاحاتهم الظاهرية فلن يكون بمقدورهم في النهاية الاستيلاء على السلطة.

اقترحت أنه يجب علينا أن نستجيب لطلب قاسم، وطلبت من لندن مناقشة الموضوع، لهذا أثيرت الشكوك : تكهنات لا تبعث على الارتياح وردود فعل معادية من البرلمان وحلفائنا وعبد الناصر.

وكان مستر **(لويد)** صريحا بشكل مباشر وشجاعا، إذ قررت الحكومة إهمال ردود الفعل الممكنة، والعمل بما تعتقده هو الصحيح. ووافق مجلس الوزراء، بيد ان الأمر سيستغرق سنة لتزويد العراق بدبابات وطائرات حديثة وباستطاعتنا التراجع عن التزامنا إذا ما سارت الأمور بشكل سيىء في العراق. لم أعرض أية توقعات، ولم أعد بأية نتائج مفضلة. وكانت ردود الفعل إزاء القرار إيجابية أكثر مما كنا نتوقع أن تكون سلبية ومتضمنة بعض المخاوف. وقال عبد الناصر إنه يفهم قرارنا. وأتفق حلفاؤنا من العرب وحلفاؤنا في الحلف المركزي **(السنتو)** على أنها سياسة حكيمة. وقال وزير الخارجية الإيراني للسيد سلوين لويد: **(إذا ما وجد شخص في غرفة بها نافذتان وإنك أغلقت أحديهما فإنه سينظر من النافذة الأخرى)**[١٠].

---

[١٠] لم يكن عبد الكريم قاسم جادا في شراء الأسلحة البريطانية بعد ثورة ١٤ تموز لغلاء ثمنها، إذ بينما كان سعر الدبابة الروسية بعشرة آلاف دينار كان ثمن الدبابة البريطانية مثيلتها بعشرة أمثالها، وكان كل ما يصبو إليه هو الحصول على الأدوات الاحتياطية للأسلحة البريطانية التي كان يتسلح بها الجيش العراقي قبل الثورة وانقطع تجهيزها.

أخبرت قاسماً أن العرض لم يرتبط بأية شروط معينة. ومع ذلك فإنه يفهم أن الأساس الذي تستند اليه علاقاتنا هو أن العراق لن يكون دولة شيوعية. وفعلا اعتقد العديد من الناس أن العراق قد أصبح دولة شيوعية. وكان الشيوعيون يقولون إن قاسماً تحت سيطرتهم.

وأجاب قاسم عن ذلك بأنه ليس صحيحا، وإنه قد قبل العرض. وبذلك حصل قاسم على فائدة سياسية تشير إلى أن البريطانيين كانوا متهيئين للتعامل معه. وإننا حصلنا على فائدة بأنه لن يشعر بضرورة الاعتماد كليا على الروس، وكانت المباحثات طويلة. وحصل الروس على فائدة التجهيز بمعدل منخفض. وتمكن قائد القوة الجوية العراقي **(الشيوعي)** من عرقلة صفقة طائرات الـ**(كابنيرا)**. وفي النهاية حصل قاسم على أدوات احتياطية وعتاد للأسلحة ذات المنشأ البريطاني التي كان يمتلكها العراق قبل الثورة. وكان ذلك يلائمنا سياسيا بشكل جيد. لن يستطيع قاسم القول إننا أجبرناه على اخذ أسلحته جميعها من الروس، وكما لم نكن مجبرين على تجهيز أسلحة إلى حكومة كانت معادية للغرب أساسا.

في خطاباته الأخيرة اعتاد قاسم على التفاخر بأنه قضى على القواعد البريطانية في الحبانية والشعيبة، وأنه طرد القوى الاستعمارية من البلاد. وهذا الادعاء كان بعيداً عن الحقيقة. لقد جرى التخلي عن القواعد البريطانية سنة ١٩٥٥ بوصفه جزءاً من إعادة النظر في الاتفاقية العراقية – البريطانية التي صاحبت ميثاق بغداد. وكل ما كان باقياً عند قيام الثورة هو موقع ترحيل للقوة الجوية وبعض الفنيين الذين

كانوا يقومون بتقديم المساعدة في تدريب القوات العراقية. وقطع قاسم مظاهر التعاون العملي كلها مع ميثاق بغداد على الرغم من بقاء العراق رسميا عضوا في الميثاق لشهور عدة بعد الثورة. وكان قاسم حذرا يخشى ردود الفعل عند قراره بالانقطاع الرسمي عن الميثاق. ومن جانبنا لم نعمل لكي تصل الأمور إلى نهاية مسدودة. وكنا نريد أن نعرف إن كانت مصالحنا ستسير بشكل سليم في العراق. وفي أحد أيام الآحاد من ربيع ١٩٥٩ أخبرني قاسم أنه وافق على حق الوجود للقوة الجوية البريطانية بشرط أن تكون القوة الجوية العراقية هي المسؤولة عن إدارة هذا الوجود. وطلبت التعليمات التفصيلية عن ذلك. واقترحت على لندن أن يغادر الأشخاص المتبقون من البريطانيين العراق، حيث لا فائدة من بقائهم في العراق، إذ قيدت معداتهم ولم يعد باستطاعتهم توفير الحماية لأنفسهم في حالة وقوع هجوم عليهم. إنهم الآن يتحملون مسؤولية ليس بمقدورهم الوفاء بها. وفي يوم الثلاثاء، بعد يومين من لقائي بقاسم، أعلن العراق انسحابه من ميثاق بغداد وأعلن أيضا إلغاء الاتفاقية الثنائية **(بين العراق وبريطانيا)**، والتي بموجبها يبقى موقع بريطاني واحد مرابط في العراق.

وفي يوم الأحد التالي التقيت بقاسم مرة أخرى وقلت له ليس لدينا أي اعتراض على انسحابه من الميثاق، ولا على إلغائه الاتفاقية الخاصة. وكان ذلك يعني أن المتبقي من القطعات البريطانية يجب أن يغادر البلاد الآن. ومع ذلك فإننا سنقوم بترحيلهم على الرغم من المقترح الخاص بالمكوث الذي عرضه قاسم في الأحد الماضي. وأجاب بأنه اتخذ ذلك

العرض قبل أن يتخذ العراق قراره بالخروج من ميثاق بغداد. لقد أصبح الموقف الآن موقفا جديدا وينبغي أن ينظر إلى الأمر مجددا. وأجبته بأن عرضه ذلك ظل نافذ المفعول لمدة يومين بالضبط. وبدا قاسم مشوشا في هذه المرة، وكانت تلك إحدى الصفات الاعتيادية المخادعة لعبد الكريم قاسم وكانت برهانا أخيرا، إذا كنا بحاجة إلى أي برهان، على أنه لايمكن الوثوق به. وبعد مرور حوالى سنة سمعت عن طريق غير مباشر من وزارة الدفاع أن قاسماً قال :

(أنا احب مستر تريفليان .إنه إنسان لطيف .لقد حدثته بحكايات غريبة وكان يصدقها جميعا). وردّي على هذا القول هو أنه لم يخبرني بأي شيء محدد لكي اصدقه أو لا أصدقه. وانه ماكر فاشل في التوصل إلى أكثر مما هو ممكن. ولم تكن لدينا أية أوهام فيما يخصه.

كانت الترتيبات لإخلاء منتسبي القوة الجوية البريطانية تجري بشكل جيد من دون عرقلة ما. إذ أن العراقيين يريدون إخراجهم من بلدهم. وكنا بدورنا نريد ترحيلهم أيضا. وفي ذلك الوقت لم تكن أجهزة الأمن العراقية قد زودت بمعدات كافية لتسجيل المحادثات الهاتفية. وفي يوم من أيام العطل حاولنا الاتصال بالحبانية **(هاتفياً)**، وأجابت عاملة البدالة **(متأسفون جدا. لا يمكنك التحدث مع الحبانية هذا اليوم. المطلوب في إجازة)**. ماتزال دوائر الأمن **(العراقية)** في عصرها البرونزي. آخر القطعات البريطانية غادرت البصرة، وكنت سعيدا جدا بكل معنى الكلمة عندما استطعنا ترحيلهم من دون أي حادث.

كانت فعالية شرطة الأمن تجاه البريطانيين معتدلة. ولا يتمكن أي شخص من الدخول إلى السفارة إلا بعد أن يستجوب، وكان زوارنا يتعرضون أحيانا إلى الاعتقال قبل أن يتمكنوا من الدخول إلى السفارة أو بعد مغادرتهم لها. وكان الأشخاص من العراقيين الذين يقومون بزيارة بيوت موظفي السفارة للقيام ببعض التصليحات الداخلية يتعرضون إلى الاعتقال أحيانا قبل أن ينجزوا أعمالهم. وقد تعرض الملحق العسكري والمستشار اللذان كانا يتحدثان اللغة العربية إلى الملاحقة من لدن جهاز التحقيقات الجنائية العراقي بالسيارات أو الدراجات البخارية. وأصبحت مراقبة التلفونات اكثر كفاءة، ولو أنه إذا ما أجريت مكالمتان متتاليتان من فندق بغداد، يبقى باستطاعتك سماع المكالمة الأولى معادة إليك مسجلة على جهاز التلفون، ولم نأخذ هذه الفعاليات بشكل جدي تماما.

أرسلت وزارة العمل والشؤون الاجتماعية **(العراقية)** مواد بوصفها تعويضاً عن تلك المواد التي نهبت من منزلي في أول أيام الثورة. وقد اتصل المسؤول الإداري في السفارة بخادمي ليخبره بذلك، وكان من بين المواد المعوضة بعض الأواني الفضية كالملاعق والسكاكين. وبعد مرور نصف ساعة على المكالمة الهاتفية وصل إلى منزلي وكيل من المخابرات العراقية ومن دون أستئذان أخذ يستجوب الخدم معتقدا أننا قد استوردنا قضبانا من الفضة لاعطائها إلى عملائنا السريين. وكان هذا الإجراء باعثا على المتعة. وكانت سيارة المخابرات العراقية تتابع تحركات الملحق العسكري **(البريطاني)**، وكادت في إحدى المرات أن

تدهسني عندما كنت في اصطبل الخيل بسبب سياقة سائقها الرعناء. وفي اليوم التالي اعتذر الراكبون في السيارة بأسف شديد عما قد حصل، وجلبوا معهم رسالة خاصة وقالوا إن السائق قد أودع السجن. وخلال قيامنا بصيد الطيور في العراء، كان هؤلاء الرفاق مفيدين لنا في البحث عن الطيور المفقودة.

كان علينا أن نكون حذرين وأن لا نعرض إلى خطر الانكشاف عدداً من أصدقائنا القدامى الذين لم يكونوا قادرين على مواصلة زياراتهم لنا. وهي تجربة معروفة جيداً للسفراء البريطانيين جميعهم الذين عملوا في العراق. وكان علينا أن نحصل على إذن من السلطات الأمنية لمغادرة حدود مدينة بغداد، وكان ذلك يستلزم تقديم طلب مبكر قبل عشرة أيام، ولو أن المرء خلال التجوال بعد الظهر يتمكن من تجنب نقاط التفتيش. وفي بغداد تعرضت سيارات الدبلوماسيين إلى التفتيش، وفي إحدى المرات أطلق الرصاص على إحدى السيارات التابعة للسفارة من أفراد من قوة المقاومة الشعبية بحثا عن الأسلحة. وكنا نحتج باستمرار عن مثل هذه الأحداث ولكن لا تأثير لذلك؛ لأن الشرطة النظامية لم تكن هي المسيطرة على الأوضاع الداخلية. ومن الأمور الاحترازية كان علينا تحاشي المظاهرات على الرغم من أنها لم تكن موجهة بشكل مباشر ضد الأجانب. وخلال بقائي في بغداد، وعلى الرغم من الذي حدث كله، لم تخرج أية مظاهرة ضد السفارة البريطانية. وبوجود حالة التشويش والفوضى في الدوائر الحكومية، حيث في كل منها توجد شعبة تعمل لصالح الشيوعيين، كان من الصعب أن يستمر النشاط الاعتيادي

للسفارة. لقد كنا محددين بشبكة معقدة من أساليب السماح بالمرور واستحصال الموافقات التي يجب أن تراعى وتتبع من دائرة لأخرى إلى أن نحصل على التوقيع النهائي للمعاملة. ومن دون ضغط خاص **(أي في الحالة الاعتيادية)** كانت إجراءات الكمارك تتطلب مدة ستة اشهر. وبعد ثمانية أشهر من قيام الثورة تمكن الأمريكيون من الحصول على التصريحات الرسمية للموافقة فقط على الحليب والبورت **(نوع من الشراب المسكر)** وبيرة الانغستورا.

وكانت دائرة الامن **(العراقية)** نصف متعاطفة معنا، إذ كنا نحظى بإيماءات خاصة كلما حدث أي تحرك خاص ضدنا، وكنا نتصل بالحاكم العسكري العام باستمرار لزيادة التأثير في الإجراءات المتخذة، وكان الموقف يتحسن بشكل متزايد لصالحنا[١١].

وفي كانون الثاني اقترحنا عودة عوائل منتسبي السفارة إلى بغداد، والذين سبق أن جرى إخلاؤهم بعد الثورة، على الرغم من الشكوك لدى المسؤولين في لندن، فما دام البريطانيون مع عوائلهم فإن معنوياتهم ستبقى عالية. وعلى الرغم من حالة الفوضى والمظاهرات والخطابات، فإن الحياة للأجانب كانت هادئة نسبيا. وفي تموز ١٩٥٩ استضفت

---

[١١] كان البريطانيون يرون في حكم عبد الكريم قاسم الذي لم يكن شيوعيا ولا وحدويا خير ضمانة لمصالحهم في العراق، وبناء عليه جرى تبادل المعلومات بين الجانبين لمصلحتهما المشتركة، ولكن بعد انفصال وحدة سوريا ومصر في ٢١ أيلول ١٩٦١ تغير الموقف البريطاني وأصبحوا لا يألون جهدا في إسقاط نظام قاسم ومؤيديه الشيوعيين.

مراسلي الصحف البريطانية عند وجودهم في بغداد للاحتفال بالذكرى الأولى للثورة، وقد قلت لأحد المراسلين إنه لأمر غريب أن اقرأ في صحيفته عنوانا: (**إنني الآن أغادر جوا مدينة بغداد المثيرة للرعب**). و لكن قبل بضعة أيام أشار الطبيب المعروف بصداقته الحميمة للعائلة المالكة إلى هدوء الأوضاع منذ الثورة[١٢]. إنني اعتقد أننا كنا نعيش على حافة بركان. ولكن كما أشار الأمريكيون فإنه مقارنة بالحكم العثماني في بداية هذا القرن، يعد العيش عموما في مثل هذا الموقف مريحا نوعا ما.

استغرقت مسألة التعويض عن موت أحد أعضاء السفارة وعن التدمير الذي أصاب السفارة وفقدان بعض ممتلكاتها حوالى السنة والنصف. لقد ابتدأنا بالمطالبة بتعويض مقداره (٢٥٠٠٠٠) باون، و أنقصناه بعد ذلك إلى (٢٠٠٠٠٠) باون، والذي ظل رقما قابلا للمساومة.

لم يعد البيت القديم صالحا للسكن، وتم تصميم مبنى جديد للسفارة. وبعد سنة من المباحثات المخيبة للآمال، جلست مع قاسم في إحدى الأمسيات ودخلنا بمعركة مساومة لمدة ساعتين،ابتدأت بـــ(٢٠٠٠٠٠) باون وابتدأ قاسم بـــ(٥٥٠٠٠) باون. وكان كل منا يحاول ان يجعل رقمه رقما قابلاً للتسوية. وكان قاسم يؤكد أن أعضاء السفارة هم الذين

---

[١٢] هو الدكتور سندرسن المعروف باسم سندرسن باشا أول عميد لكلية الطب في بغداد، وطبيب العائلة المالكة السابقة في العراق. (المترجم)

تسببوا في حرق السفارة، وذلك بالبدء في حرق أوراقهم، وأن المشاكل كلها ابتدأت بفتح النار على جمهور مسالم. وأضاف أنه لأمر له ما يبرره بأن الشعب يحرق السفارة بعد الأخطاء التي عانوا منها من البريطانيين. وأخيرا توصلنا إلى مبلغ (١٢٠٠٠٠) باون ودفع المبلغ من دون تأخير. لقد كنا محظوظين بالحصول على هذا التعويض فلو تأخر ذلك سنة أو سنتين لما حصلنا على شيء أبداً على وفق الظروف في ذلك الحين.

يبدو أن العراقيين قد عدوا حرق السفارة حادثة سياسية اعتيادية وليس بالضرورة أن يكونوا فخورين بها أو خجلين منها. ولم يدرك الكثير من الناس أن السفارة قد تضررت بدرجة كبيرة، وتصوروا لمدة طويلة أننا ما نزال نسكن فيها.

وربما أن الرأي الصائب هو ما قاله **(ماكس مالوان)*** المنقب الآثاري في مدينة آشور في النمرود، بعد أن اطلع على الهيكل المحروق لمبنى السفارة التي كان يعرفها لسنين عدة، وبعد أن حك الحائط بإصبعه بتمعن قال: **(إنه حريق بدرجة سيئة، ولكن حدث ما هو أسوأ من ذلك في بعض قصورنا في النمرود)**. كان ذلك تعليقه على الأمر، وأضاف قائلاً: **(أنت تعرف أن مثل هذه الحرائق حدثت مرات عدة في تاريخ العراق)**.

---

* ماكس مالوان : هو المنقب الاثاري المعروف وعالم الآشوريات، عمل في العراق لمدة طويلة نسبياً، وكان زوج الكاتبة الروائية الانجليزية الشهيرة (أجاثا كريستي) التي عاشت معه في العراق واستوحت منه بعضاً من أهم رواياتها. (المترجم)

حالما أصبح الشيوعيون أكثر قوة، ابتدأوا بالضغط للحصول على أكبر فائدة ممكنة من الموقف بمهاجمة الجهات السياسية الأخرى ومجادلتها. لقد قضوا على حرية النشر في الصحف القومية المتبقية، الامر الذي أدى إلى اختفائها عن الصدور لمدة من الزمن، في حين أن قاسماً وعد بعدم إيقاف أية صحيفة عن الصدور. انتهجت صحيفة الحزب الشيوعي نهجاً يشير إلى أن الأمريكيين **(اللصوص وقاطعي الطرق الصغار)** حاولوا الإطاحة بقاسم باستخدام عبدالناصر أداة للإعداد لثورة ضده. وتشير الصحيفة كذلك إلى أن **(الأنذال القدامى البريطانيين هم الأعداء الأكثر خطورة وخبثاً ويجب أن يحترس العراق من حيلهم)**. بعد الثورة **(عينت الحكومة البريطانية أشخاصاً سبق وأن خدموا في العراق وكانت لهم اتصالات مع أشخاص عراقيين يدعون بأنهم تقدميون ويساريون)**، وكان إجراؤها هذا نوعاً من الإطراء بالجهود، وكنت مسروراً بأنهم لم ينسوا جهودي عندما كنت قنصلاً في بغداد قبل عشر سنوات لأبقى على اتصال مع المعارضة. أن **(الشيوعيين)** الآن يجازفون كثيراً ويبالغون بقوتهم اكثر من واقعهم الحقيقي. لقد خططوا للقيام بانقلاب من خلال الضباط الشيوعيين في الجيش. ولذلك وللمرة الأولى أصبحوا خطرين عند قاسم. اعتقل قاسم بعض الضباط الذين كانوا في مواقع رئيسة، وعيّن ضباطاً غير شيوعيين محلهم ليتخلص من الضباط الأعضاء في الحزب الشيوعي، ويستعيد ولاء الوحدات التي تأثرت بالأفكار الشيوعية. لذلك صمم الشيوعيون على استعادة **(الجبهة الوطنية)** التي يشاركون فيها، وبذلك يحصلون على التمثيل في

الحكومة. وقع العديد من الوزارء والمسؤولين طلباً لتأليف **(الجبهة)** لقناعتهم أن هذا التآلف هو الجانب الرابح. وتوصل قاسم إلى تسوية بتعيين أربعة وزراء من الجناح اليساري، وعضو واحد من الحزب الشيوعي في المناصب الوزارية ذات الأهمية الأقل. وكان هاشم جواد وزير الخارجية الجديد المعتدل في سياسته يلح على قاسم بأن يوقف الجرائم التي كانت ترتكب باسمه ضد المحتجزيـــن القومييـــن. ولم يكن واضحاً كم كان قاسم يعرف مقدار نفسه. وعلى أية حال، فقد أصبح مقتنعاً أن عليه أن يغير سياسته، وأمر بإيقاف المعاملة السيئة للقوميين المحتجزين وأطلق سراحهم.

أُعلن أن احتفالات ضخمة ستقام بمناسبة الذكرى الأولى للثورة. وكان أمراً بغيضاً لنا أن نشارك في الاحتفالات مع من قتل الملك الشاب، حليفنا القديم، ولكن دولاً أخرى من ضمنها الروس أرسلوا ممثلين لهم لحضور الاحتفالات، ومن السخف لنا أن نقاطعها بشرط انه لن يجري تعرض عدائي للرأي العام البريطاني، وقد أكدت هذا الأمر لوزير الخارجية العراقي. وأكدت أيضاً عدم المشاركة في بعض الحالات من ضمنها الاحتفال في حدائق القصر، حيث قتل الملك والوصي رمياً بالرصاص.

وفي الواقع لم تجر أية إشارة إلى الماضي. وكان الشيوعيون يأمرون الشعب بالخروج إلى الشوارع، وكان قاسم محاطاً بحماية مسلحة حيثما يذهب، وكانت الجماهير الغفيرة تهتف له وتقاطع خطاباته بالهتافات البغيضة المرائية. ويبدو واضحاً أنه كان يستمتع بذلك. ومنذ قيام الثورة كان يطلق عليه من لدن الشعب وفي الصحف بأنه **(المنقذ**

والمحرر ومحبوب الملايين) وهي عبارات تبدو مضحكة في اللغة الإنكليزية أكثر مما تبدو في اللغة العربية ولاسيما عندما يسبقها لقب **(صاحب السيادة)** التي ألغيت بعد قيام الثورة، ولكن عاد استخدامه مرة أخرى.

كانت الورود تنثر على طول الطريق، ويستذكر العديد من الناس الأيام السابقة للثورة... كيف كانت الجماهير تتجمع حول عربة الملك الشاب وهي تحاول تقبيل يده. والآن ظهر قاسم وهو يعتقد فعلاً أن الشعب يحبه، ويعد نفسه المنقذ الحتمي لبلاده.

وفي الوقت الذي كانت تجري فيه الاحتفالات في بغداد، كانت كركوك تشهد أحداثاً دموية. وكركوك هي المدينة المحاذية لكردستان التي تضم عنصراً تركمانياً قوياً. وقد استمرت المسيرات هناك وتخللتها أحداث شغب وقتل، كانت مرتبة بشكل مؤكد من الشيوعيين الأكراد من أجل إرهاب أعدائهم التركمان القدامى [١٣]. وكان رد فعل قاسم قويا. لقد

---

[١٣] لوأنصف السفير نفسه لقال إن الشيوعيين الأكراد والملا مصطفىالبارزاني يدعمهم ويؤيدهم منذ اليوم الأول الذي وصل فيه إلى العراق في تشرين الأول ١٩٥٨ صمموا على تكريد مدينة كركوك بطرد التركمان والعرب منها سلماً أو بقوة السلاح إن رضي عبد الكريم قاسم أو لم يرضَ. ومما زاد الأمر سوءاً أن قاسماً لم يعر أهمية إلى رسائل قائد الفرقة الثانية العميد الركن ناظم الطبقجلي إلى مراجعة وفهم عبد الكريم قاسم محذراً ومنذراً من خطورة ما يقوم به الملا مصطفى البارزاني او الشيوعيون على أمن وأمان كركوك ولاسيما التركمان والعرب. ولما وقعت الواقعة في ١٤ تموز ١٩٥٩ وبزغ الفجر على شهرزاد ودفن التركمان وهم أحياء وأحرقت دورهم وممتلكاتهم عند ذاك نهضت شهرزاد من فراشها ومن بين ذراعي عشيقها واصفة الشيوعيين بالفوضويين، والبارتيين بالعنصرية الفاشست ولكن ولات ساعة مندم.

أظهرت بعض الصور للأعمال الوحشية في كركوك في مؤتمر صحفي أتهم فيه الشيوعيون بكونهم مسؤولين عن الأعمال الوحشية التي انتهكت فيها حرمة القانون. وارتكبت العصابات الشيوعية أحداث قتل في مناطق عدة (في العراق). وفي بغداد كانت تقع أحداث قتل كل بضعة أيام. وأدرك المتطرفون من كلا الجانبين أنه قد حدثت ثغرة بين قاسم والشيوعيين. وإذا كان علينا أن نصدق البعثيين فإنهم أعلنوا في تصريح لهم أنهم قد أوقفوا تآمرهم ضد قاسم مكتفين بالانتظار لما ستؤدي إليه هذه الثغرة بينه وبين الشيوعيين بعد توسعها. وربما بتأثير من موسكو، نشر الحزب الشيوعي بياناً أعلن فيه صراحة أنه يعترف بالأخطاء التي ارتكبها الشيوعيون. وقال البيان إن هناك أخطاء ارتكبتها القيادة الشيوعية، وكان بعض القادة مذنبين بمغامراتهم اليسارية، يجب أن يعود الحزب إلى مساراته التقليدية ذات الرأي القويم. ويعتقد زميلي السفير اليوغسلافي أن الحزب قد أخفق من خلال عزمه على إقرار الضبط والنظام. لقد أدرك الشيوعيون الآن أن تبريراتهم أدت إلى رد فعل معاكس ضدهم، إذ لم تعد لديهم قاعدة راسخة بما فيه الكفاية بين الجماهير للاستحواذ على السلطة والاحتفاظ بها، وأنه يجب عليهم العودة إلى حالة الاعتدال الظاهري، ويعيدوا النظر في إنشاء قاعدتهم خلال مدة زمنية طويلة قبل أن يتطلعوا للحصول على السلطة.

إن قوة الشعور القومي في البلاد، والذي كان سرياً،عاود تأكيده العلني من جديد، وإن القوميين الذين أصابهم الهلع وثبطت هممهم وتعرضوا إلى الانكسار النفسي بعد ثورة الموصل، ابتدأ نشاطهم من

جديد. وأصبح الشيوعيون الان يتعرضون الى الاغتيال. وبدأ القوميون في الجامعة برفع رؤوسهم من جديد. وقد قسمت بغداد والأرياف على مواقع يسيطر على بعضها الشيوعيون المسلحون والى قواطع أخرى خالية من الشيوعيين. وتركزت القواطع المناوئة للشيوعيين في منطقة الرمادي غرب الطريق المؤدي إلى الأردن، والمعروفة لدى الشيوعيين بالمحافظة السوداء، وكذلك في الموصل وفي معظم المنطقة الشمالية خارج حدود كردستان والعديد من المناطق الجنوبية في البلاد، إذ قام الشيوعيون بإرهاب السكان وإخافتهم في الأيام الأولى للثورة، وحوالى نصف مدينة بغداد، وفي حي الأعظمية من بغداد لم يجرؤ أي شيوعي بالسكنى هناك. وعندما قتل شاب قومي رفع نعشه في مسيرة جماهيرية طافت الشوارع والصقت صوره على واجهات المخازن والمحال التي يملكها القوميون. ولم يجر التعرض إلى صور قاسم من أي طرف. وإذا ما ظهرت صورة المهداوي إلى جانب قاسم فإن البيت الذي يعلق هذه الصورة يعد شيوعياً. وفي البيت الذي يتبع النهج القومي تكون صورة قاسم مصحوبة برسومات دينية أو صور لأحد القوميين الذين اغتيلوا من الشيوعيين. وحدث انقسام خطير في البلاد. ففي أواسط آب تغيرت الأحداث بشكل مفاجيء. وخلال الأشهر المنصرمة جرت محاكمة الضباط الذين شاركوا في ثورة الموصل وقد تمت محاكمتهم من المهداوي في محكمة الشعب. واما الضباط ذوو الرتب الكبيرة المشكوك في كونهم جزءاً من الثورة فقد تم اعتقالهم، ولم يقدموا بعد إلى

المحاكمة. وفي وقت لاحق أخبرني وزير المالية بأن قاسماً تسلم معلومات تفيد أن الجناح اليميني يتهيأ للقيام بانقلاب ضده بتشجيع خفي من عبد الناصر. وربما كانت تلك المعلومات إشاعة كاذبة روج لها الشيوعيون. وكان رد فعل قاسم عنيفاً. وفي مؤتمر صحفي أعلن قاسم عن ثقته التامة بالمهداوي الذي كان يتعرض آنذاك إلى هجوم عنيف من القوميين.

واعتقل العقيد (**رفعت الحاج سري**) وهو ضابط في وزارة الدفاع، وأُمر المهداوي بمحاكمته ومحاكمة ضابطين آخرين برتبة لواء هما (**الطبقجلي والعقيلي**) اللذين اعتقلا بعد ثورة الموصل. أصدر المهداوي حكمه بإعدام الطبقجلي وسري. كان الطبقجلي واحدا من اكثر الضباط الأقدمين الذين لديهم شعبية بين الضباط الآخرين، ولذلك كان يشكل خطرا على قاسم. وللمرة الأولى منذ تأسيس محكمة الشعب، لم يكن هذا الحكم صادراً بإجماع هيئة المحكمة، ولكن المهداوي مارس صوته المرجح (**الذي يدلي به رئيس المحكمة عندما تتساوى الأصوات**) لصالح الحكم بالإعدام. وقبل ذلك تم تنفيذ حكم الإعدام بمجموعة من الذين شاركوا في شكل مباشر بثورة الموصل. وفي إحدى الأمسيات أعلن راديو بغداد أنه سيجري في صباح اليوم التالي تنفيذ حكم الإعدام بمجموعة أخرى شاركت في ثورة الموصل وإعدام بعض رجال العهد السابق، ولم يذكر أسماء الذين سيجري إعدامهم. وقد اخبرني لاحقا اللواء الداغستاني (**المحكوم بالإعدام**) أنه جرى تقسيم سجناء العهد السابق في تلك الليلة على مجموعتين، ولم يدرِ أي شخص

في المجموعتين إن كان سيبقى على قيد الحياة أو لا. وفي وقت مبكر من صباح اليوم التالي تم تنفيذ العديد من أحكام الإعدام. ولم يوجه اللوم إلى قاسم لإعدام الذين شاركوا في ثورة الموصل، وقد بذل جهداً كبيراً لتشويه سمعتهم. وجرى إعدامهم رمياً بالرصاص بحضور أعداد غفيرة من القطعات العسكرية العراقية .

وقد نقلت الصحف كيف أن زوجة أحد الضباط قد بصقت في وجه زوجها وهو ينتظر تنفيذ حكم الإعدام بسبب خيانته، ولكن عُرف فيما بعد أن تلك المرأة لم تكن زوجة ذلك الضابط وإنما كانت مومساً جُلبت خصيصاً لتقوم بتمثيل هذا الدور. ومن ثم جرى إعدام الطبقجلي ورفعت الحاج سري. ويبدو من المحتمل أن الطبقجلي كان يعرف بمؤامرة الموصل سابقاً ولكنه لم يشارك فيها انتظاراً لمعرفة النتيجة. ومن المحتمل أن رفعت الحاج سري أيضاً كان على اطلاع بمجريات المؤامرة على الرغم من انه لم يشارك في تنفيذها. ومهما كانت التبريرات فإنهما كانا خطرين لدى قاسم، وكان لهؤلاء مساندون أقوياء استثيروا نتيجة لذلك إلى الحد الذي جعلهم مستعدين للعمل ضد قاسم.

وأخيراً، جرى تنفيذ حكم الإعدام بأربعة من رجال العهد القديم، وكان هؤلاء يتعقبون الشيوعيين، ويحدون من نشاطهم في العهد الملكي وكانوا غير محبوبين ويرأسهم سعيد القزاز وزير الداخلية **(الكردي)** في وزارة نوري السعيد، وكان إعدامه بمثابة استرضاء للشيوعيين في وقت كان قاسم بحاجة إلى دعمهم[١٤]. وقد وفر إعدام القزاز للشيوعيين

---

[١٤] ستجد في الملحق المرفق في آخر البحث سبب إعدام قاسم للقزاز، ومن كان وراء هذا الإعدام، ومن هو القزاز وما هي مواقفه؟

فرصة الانتقام بسبب إعدام أربعة من قادتهم من لدن نوري السعيد سنة ١٩٤٩. وكان ذلك أيضاً جواباً لإذاعة القاهرة التي كانت تتعرض لقاسم بشكل ساخر منتقدة إياه لإعدامه القوميين في حين يترك رجال العهد القديم أحراراً وربما أن ذلك قد يثبط همة أعداء قاسم.

وقد تقبل الوزراء بشكل سلبي قرار قاسم. وإن الذي كان يمكن أن يقف ضد هذا القرار ويقاومه هو **(هاشم جواد)** وزير الخارجية الذي كان في نيويورك. واخبرني لاحقا حاكم كردستان الشرقية* آنذاك أنه في اليوم الذي سبق تنفيذ حكم الإعدام، أكد قاسم من خلاله لزوجة سعيد قزاز أن زوجها لن يمس بأذى. ولذلك فقد خسر قاسم ثقة أولئك الذين ربما كانوا موالين له.

ازداد التوتر مباشرة **(بعد تنفيذ هذه الاعدامات)** وابتدأت المؤامرات نشاطها. وتم كشف مؤامرتين على الأقل في آن واحد في آخر مرحلة من التخطيط. لقد خطط البعثيون بمساعدة أصدقائهم السوريين في نصب كمين لمهاجمة سيارة قاسم في جزء ضيق من الشارع الرئيس في بغداد. وخطط آخرون ربما القوميون لعملية مشابهة تنفذ في بيت أحد أصدقاء قاسم الذي كان يزوره باستمرار. وقد راجت تلك المؤامرة وأصبحت وشيكة الوقوع في شهر تشرين الأول إلاّ أنها انكشفت بشكل واسع. وقد أخّر العراقيون المصطافون في لبنان رجوع عوائلهم، إذ كانت تقضي العطلة الصيفية هناك. وقد سمعنا كالعادة روايات عدة عن مؤامرة البعثيين من خارج القطر، وعن أخرى من أحد الوسطاء الذي

---

* المقصود به متصرف لواء السليمانية.

طلب المساعدة والمال إلا أننا رفضنا طلبه بشكل صريح، إذ لم يكن في نيتنا التدخل في شؤون العراق الداخلية سواء لصالح قاسم أم ضده. وكانت مبادرة البعثيين هي الأولى ولكنهم أخفقوا في مهمتهم. لقد قتل السائق وجرح قاسم ومرافقه الخاص. وامتد قاسم على أرضية السيارة، في حين فرّ المهاجمون بعد أن اعتقدوا أن قاسماً قد قتل. أصيبت ذراع قاسم وكتفه برصاصات، وأصيب بدن السيارة بأكثر من ثمانين إطلاقة. وأسرعوا به إلى المستشفى. وكان الموقف في بغداد حرجا لساعة أو ساعتين. تجمع الشيوعيون القياديون في وزارة الدفاع لأغراض أمنية. وتوافدت الجماهير على بغداد وهم مسلحون بالعصي والهراوات آملين في القيام بأعمال السلب والنهب. وجاءت هذه المجاميع من أكواخ من الطين (**الصرائف**)، إذ يسكن بها ربع مليون نسمة في ظروف قذرة غير صحية حول المدينة. وفرض منع التجول فوراً، ووضع الجيش بالإنذار. ورابطت الدبابات والمدرعات في النقاط المهمة. وتشافى قاسم بشكل تام وظهر على شاشة التلفزيون ليبين للشعب أنه ليس ميتاً.

إن كبار ضباط الجيش الذين كان بإمكانهم الاستيلاء على السلطة ظلوا موالين لقاسم، أو يحتمل أنهم كانوا خائفين أو غير مهيئين للقيام بهذا الأمر. وقد احتقرهم الكثير من العراقيين لأنهم أضاعوا فرصتهم.

أستقر قاسم بارتياح في المستشفى، والظاهر أنه كان يشعر بالابتهاج وهو يستقبل الزائرين ويتسلم بطاقات ورسائل التهنئة بسلامته. وكانت السيارة التي أصيب فيها منخوبة بثقوب الاطلاقات قد وضعت في ساحة المستشفى. لقد اقتنع قاسم أنه كان محمياً بقدرة الله بشكل خاص. قال

لي: **(عندما هاجموني ابتسمت لأنني كنت أعرف أنهم ليسوا قادرين على قتلي)**، وقال إن الجهات الأمنية تؤكد تماماً ضرورة ظهوره أمام الميكرفون والتلفزيون لطمأنة **(الشعب)**، لأن **(الشعب يحبني ويقبل ثقوب الاطلاقات في السيارة)**. ويؤكد قاسم أنه نظراً لأن الشعب يحبه لذلك يجب أن يكون أعداؤه عملاء للأجانب الإمبرياليين.

لقد أصبح في وضع فكري شاذ. وبعد أن خرج من المستشفى عُرض قميصه الملطخ بالدم ورمز الحماية الإلهية، عرض في حاوية زجاجية بجانب ساعة جدارية **(دقاتها كصوت الوقواق)** في غرفة بوزارة الدفاع، حيث كان قاسم يستقبل زواره. ووضعت سيارته في مكان في واجهة الوزارة لتثير إعجاب المارة. وسمعنا بوجود خطة لإخلاء الساحة في المكان الذي تعرض فيه قاسم للهجوم، إذ يقام في مركز الساحة تمثال ضخم للزعيم وتحت قدميه مثل كلب صيد أمين، وتوضع السيارة تحت قبة خارجية من الرخام وقبة داخلية من الزجاج مرتبة بطريقة يتمكن الزوار من المرور حولها. والزجاج من النوع المقاوم للرصاص، ويبدو أن السيارة قد أصبحت امتداداً لشخصية الزعيم وتحتاج إلى توفير الحماية لها ضد الإمبرياليين.

ومرت الأسابيع وقاسم مايزال مستمتعاً بحياة المستشفى وبالاطراء المفرط الذي يقال عنه، وكان مبتهجاً جداً.

لقد سقطت من على ظهر الحصان وجُبست ذراعي. واعتدت على مقارنة **(كلتا الحادثتين البسيطتين اللتين حدثتا لنا)**.

خُفف منع التجول وتلاشى التوتر. وعاود العراقيون زياراتهم إلينا مرة أخرى، وابتدأوا يسخرون من زعيمهم وفي الخفاء يكرهونه ويخشونه علناً. وقد وصل سفير جديد من الشرق إلى البصرة، وقيل له إنه سيعيش في بغداد مع عقرب. وكان الناس يخشون من كون قاسم بعد خروجه من المستشفى سوف يستدير ويلسع أعداءه. لقد تم التعرف على البعثيين الذين شاركوا في المؤامرة وأثناء الرمي على جانبي السيارة قتل أحد المهاجمين وقد عثر في جيبه على دفتر ملاحظات فيه أسماء بعض الأشخاص. لم يكن المتآمرون ذوي خبرة. واعتقل عدد كبير من الأشخاص **(بعثيين وغير بعثيين)**، وهرب بعضهم خارج الحدود. وكان من بين الأشخاص المعتقلين شخص من جميكا أسمه **(مارش)** وهو مستخدم في شركة بريطانية. وخلال الشتاء كان مصيره متوقفا علينا. كنا نتوقع أن أعداءنا سيهاجموننا من خلال المحاكمات. وأخيراً خرج قاسم من المستشفى في يوم تم الاحتفال فيه وأُطلق عليه **(عيد السلامة والابتهاج)** وفي الذكرى الأولى له استمر الاحتفال لمدة خمس ساعات ونصف من دون توقف، ولم تتخلله فرصة زمنية لتوزيع المرطبات. وقبل أن يغادر قاسم المستشفى عقد مؤتمراً صحفياً أستمر ست ساعات وبدأ فيه مرة أخرى ميله نحو الشيوعيين، وأعلن أن البعثيين وليس الشيوعيون هم الذين كانوا وراء أحداث كركوك .

خلال الأشهر الأولى من سنة ١٩٦٠، قدمت للمحاكمة مجموعتان من المتآمرين وجئ بالمهداوي لمحاكمتهم. وكان في نيته محاكمة **(مارش)** وكان علينا أن نعمل جاهدين لإحباط محاولته هذه. وفي

المحاكمة المتعلقة بمؤامرة القوميين، ادعى أحد المتهمين أنه كان يجتمع باستمرار مع عميل استخدم اسم **(أبو جاسم)**، وأورد أيضاً في المؤامرة أسماء رئيس مجلس السيادة ورئيس الأركان العامة ومدير الأمن، وقد علمنا أن لهؤلاء علاقة بالمؤامرة. ومن المحتمل أن قاسماً قد سمح بذكر أسمائهم في المحكمة ليسخر منهم ويضايقهم ويبقيهم تحت سيطرته. وكانت مهمتنا أن ننقذ رجلنا الذي يعتقد قاسم انه أحد الوكلاء البريطانيين وأنه اشترك في المؤامرة. وكان وزير الخارجية يساعدنا بهذا الأمر. وقد قال لي إن الحكومات جميعها تستخدم جواسيس - كان ذلك مفهوماً - ولكن يجب أن نقنع قاسماً أن **(مارش)** لم يكن متآمراً، وتلك قضية مختلفة. لقد نفيت أن يكون **(مارش)** قد مارس إحدى هاتين العمليتين **(أي التجسس والاشتراك بالمؤامرة)**.

أستمر الوزير لأشهر عدة يحاول إقناع قاسم، وأخيراً قال لي إن الوقت قد حان لكي تقابله، ونصحني بالأسلوب الذي سأتبعه عند مقابلتي لقاسم. ومن الواضح أنه كان مرتاحاً للمقابلة لأنه كان يعتقد أنه في موقف أكثر قوة. وجرت المقابلة في يوم لم يرد في اليوم الذي سبقه أي ذكر عن العميل البريطاني **(أبو جاسم)** في المحكمة. ولم نكن قد سمعنا أنا والمستشار **(فول Falle)*** عن هذا الاسم من قبل أن له علاقة بالمؤامرة. استدار قاسم نحو **(فول)** الذي كان يتكلم اللغة العربية وقال

---

* هو سام فول السكرتير الشرقي للسفارة البريطانية في بغداد آنئذ، وهو الذي تشكل مذكراته القسم الثاني من هذا الكتاب. (المترجم)

له: (**أنت تعرف أبا جاسم – أليس كذلك ؟**) فأجاب فول أنه يعرف ما كان يعنيه اسم قاسم لأن هذا الاسم هو الاسم المستعار لاحد أصدقاء قاسم الذي كانت له علاقة جيدة معنا. كان قاسم يحاول أن يوقع (**فول**) في المصيدة ويجعله يعترف. لذلك فإن الإجابة عن هذا السؤال تحتاج إلى كثير من الإيضاح. لقد حصلنا على ما كنا نريد على أية حال، إذ وعد قاسم بعدم محاكمة (**مارش**). وجيء بـــ (**مارش**) بوصفه شاهداً في المحكمة على الرغم من أنه كان مريضاً وغير قادر على الوقوف. وقد هاجمه المهداوي بشكل متكرر بأنه جاسوس بريطاني. ومع ذلك لم يكن مسموحاً للمهداوي ان يحاكم (**مارش**). وقد ضغطنا على إطلاق سراحه وساعدنا في ذلك تدخل رئيس وزراء جامايكا بالموضوع. واخيراً سمح له بالمغادرة إلى بلده. وكانت الشركة التي استخدمته قد رزمت امتعته التي سفرت عن طريق الشرطة العراقية. وقد وضع في قعر أحد الحقائب غدارة وعتادها، ولم تكن الشرطة العراقية دقيقة في تفتيشها، إذ لم تعثر على السلاح والعتاد.

لقد حكم على البعثيين بالإعدام ولم يكن أي منهم قادراً على الاعتراض على عدالة الحكم. وفي نهاية شهر رمضان، وهو شهر الصيام الذي جرت العادة فيه عدم تنفيذ أي حكم للإعدام فيه، قرر قاسم أن يشنقهم. وفي مساء اليوم الذي سبق الموعد المقرر لتنفيذ حكم الإعدام كان قاسم مصراً على قراره بالتنفيذ. وفي الساعة العاشرة ابتدأ اجتماع مجلس الوزراء، وانتشرت دعاية عن البعثيين بأنهم سيقومون

بانتقام آني إذا ما نفذ حكم الإعدام بجماعتهم. واما الأمر الذي جعل قاسماً يغير رأيه فإنني لا أعرفه. وفي منتصف تلك الليلة بدأ قاسم بإلقاء خطاب في الراديو استمر ساعتين. وقد تضمن معظم ذلك الخطاب تفاصيل عن موضوعات اقتصادية من ضمنها سبب زيادة أسعار اللحوم. وفي نهاية الخطاب أعلن قاسم أنه كان في نيته إعدام السجناء خلال بضعة ساعات ولأن اليوم الذي سيجري فيه تنفيذ حكم الإعدام هو يوم الجمعة، ويقع في نهاية شهر رمضان المقدس، لذلك فإنه قرر تأجيل تنفيذ الإعدام. ولم يعلن أبداً عن اليوم الذي سينفذ فيه الحكم، ولم يعرف أي فرد السبب الحقيقي الذي دعاه الى أن يغير رأيه. وربما كان قرار تأجيل التنفيذ قراراً سياسياً [١٥].

لقد أصدرت (**المحاكم العرفية**) الجديدة أحكاما بالإعدام على عدد من الشيوعيين لارتكابهم جرائم قتل أشخاص غير شيوعيين. وكانت الصحافة والإذاعة السوفيتيتان، بضغط من الشيوعيين العرب، تلحان على تأجيل تنفيذ إعدام الشيوعيين المحكومين. ولم يكن في نية قاسم أن ينفذ حكم الإعدام بالبعثيين ويؤجل إعدام الشيوعيين، ولم يكن في نيته

---

[١٥] لا أدري كيف نسي السفير أن سبب عدم تنفيذ حكم الإعدام في البعثيين يعود إلى أن القائم بالاعمال اللبناني أمين (النصولي) نقل إلى عبد الكريم قاسم تحذير عبد الحميد السراج وزير الداخلية ومدير المكتب الثاني في الاقليم الشمالي من أنه إذا تجاسر قاسم ونفذ حكم الإعدام فلن يصل إلى الموانئ في سوريا ولبنان ولا قطرة واحدة من النفط العراقي في وقت كان العراق يمر بأزمة اقتصادية خانقة. وعند ذاك استجاب قاسم لهذا التحذير مكرهاً أخاك لا بطل.

إعدام الشيوعيين خوفاً من حدوث ثغرة نهائية معهم. لذلك لم يقم بأي شيء وترك الجهتين معلقتين بحكمهما بالإعدام. وتلك كانت سياسة التوازن المألوفة.

ولم ينفذ حكم الإعدام بالبعثيين أبداً.. وفي النهاية تمكنوا من إسقاطه. في السادس من كانون الثاني ١٩٦٠، أعلن قاسم نهاية **(المدة الانتقالية)** والسماح الفوري لتأسيس الأحزاب. وقد بدا واضحاً أن ذلك القرار لم يكن سوى حيلة سياسية لخلق واجهة سياسية كاذبة يتمكن قاسم من خلفها من الاستمرار بالاحتفاظ بالسلطة كلها لنفسه. كان البعثيون يعملون سراً. وأجيز حزب الاستقلال، المعارضة القومية قبل الثورة، وأجيز أيضاً الحزب الوطني الديمقراطي. ولكن بعد مرور مدة قصيرة حصلت بعض الانقسامات في الأحزاب، ورفضت إجازة الأحزاب القومية المنشقة، واستطاع أحدها أن يميز الحكم أمام المحكمة العليا **(التمييز)** وأن يكسب الحكم بنجاح، ولكنه قمع خلال بضعة شهور وأخذ يمارس نشاطه سراً. وقدم الشيوعيون طلباً بتأسيس حزب لهم. وأجاز قاسم حزباً شيوعياً مروضاً **(يأتمر بأوامره)**، ولم يكن الحزب الشيوعي سوى أضحوكة سيئة **(bad joke)**. واختفى الشيوعيون الحقيقيون واخذوا يمارسون العمل السري[١٦]، وأجيز الحزب الكردي وكان رئيسه

---

[١٦] قدم زكي خيري عضو اللجنة المركزية للحزب الشيوعي طلباً إلى وزارة الداخلية للترخيص بتأسيس الحزب الشيوعي إلا أن وزارة الداخلية لم تبت فيه وأحالته إلى الزعيم عبد الكريم قاسم الذي خط بقلمه (انهم عملاء). راجع ص ٤٨٢ من الجزء الخامس من موسوعة ١٤ تموز للعميد خليل إبراهيم الزوبعي.

مأجورا على وفق رغبة قاسم، وفقد الأكراد الثقة فيه والتجأوا إلى كردستان. وكل ما بقى من التشكيلة السياسية الأصلية هو وزير المالية وواحد أو اثنان من أصحاب الأعمال الأصدقاء تحت اسم وهمي، والشيوعي المروض من لدن قاسم الذي كان يمثل نفسه فقط ومبادئ قاسم. ليس هناك أي اعتراض لو أن الحكومة قد عملت بشكل صحيح ولكنها بدأت بالانحدار بسرعة من مستواها العالي إلى أسفل التل. كان قاسم يقرر كل شيء بنفسه. لقد أضنى وزراءه، إذ كان يبدأ الاجتماعات في وقت متأخر من الليل ويستمر طوال الليل مستغلاً الوقت باستئثاره بحديث طويل. وعلى أية حال كان الوزراء يتعرضون إلى الاستخفاف وقال أحد الأصدقـــاء المقربين لأحد الوزراء إنه يستطيع أن يدرك سبب بقائهم طوال الليل من أجل المقامرة أو النساء، ولكن أن يقضوا الليل جالسين على مائدة أمام ذلك الرجل المعتوه فهذا أمر لا يمكن إدراكه. ولقد أستعيض عن مجلس الاعمار بمؤسسة يديرها شيوعيون وانتهازيون. ولم تكن خططهم أكثر من خليط غير متجانس من المشاريع من دون وضع أسبقيات أو علاقة بالموارد المتيسرة. كانت المشاريع تتحدد من قاسم على وفق أسس تعتمد على النفوذ. وقد دمجت تقارير المستشارين الجدد من أوربا الشرقية مع التقارير القديمة الموضوعة على الرف. ولهذا انهارت مشاريع إصلاح الأراضي. وأدعى النظام الجديد أن مشاريع الإرواء التي ابتدأها النظام القديم إنما هي انتصارات له. وارتفعت كلفة التنمية والإدارة. وكان الموقف صعباً لروسيا أيضاً. قال لي السفير السوفيتي إن نوري السعيد ارتكب أخطاء

عدة، ولكن على الأقل كان بالإمكان الاعتماد على ما يقوله، ولا يمكنك أبداً أن تعرف أين أنت مع قاسم. وقال أيضا إن الإدارة غير كفوءة بشكل ميؤوس منه. وعندما اجتمع مع قاسم لمناقشة القضايا العملية بين البلدين جوبه بأحاديث لا تنتهي عن انتصارات الثورة. في البداية لم يكن الخبراء الروس جيدين بدرجة مقبولة. وبالميزات المضافة كلها للأجور والمترجمين المطلوبين أصبحت كلفتهم تعادل كلفة استقدام الخبراء الغربيين. وكانت جهودهم الطبية فاشلة. فلم يكن من الضروري إرسال مجموعة طبية (روسية) إلى الأرياف والقصبات لإجراء تلقيحات جماعية في حين كان يقوم بهذا الواجب سابقاً معظم المساعدين الطبيين العراقيين من الدرجات الواطئة لسنين عدة. ولم يكن الأطباء الروس بكفاءة الأطباء العراقيين الحاصلين على شهادة (**FRCS في الجراحة**) من جامعة لندن أو أدنبرة. وتصورنا أنه ربما كانوا يؤمنون بالدعاية التي روّجوها خطأ عن الظروف التي أنشأها الاستعمار. واختفى الأطباء الشيوعيون بسرعة. وهكذا كان الإجراء للطيارين والمهندسين الذين جيء بهم ليحلوا محل البريطانيين في ميناء البصرة. وكان مهندسو الارواء يعملون فقط في المشاريع القديمة للأراضي. وهذه المشاريع كانت خططها موضوعة قبل الثورة. وما كان مطلوباً هو وضع بعض الخطط موضع التنفيذ. وتعرضت التقديرات الخاصة بكلفة المعامل الروسية إلى الانتقاد، وبرزت اعتراضات بشأن المعدات الزراعية والمعدات العسكرية. وقد أطلقت الزيارات لموسكو بعد أن كانت ممنوعة قبل الثورة. ومايزال العراقيون يفضلون المعالجة الطبية

في لندن مقابل ثمن بدلاً عن الحصول على المعالجة الطبية المجانية في موسكو[١٧].

إن الروس الذين أصبحوا الأبطال الشعبيين في الأيام الأولى للثورة، بدأوا يخسرون موقعهم المرموق، إذ أن الأعمال المتطرفة وحالات الفشل العديدة للشيوعيين المحليين لم تكن عوناً للروس. ومع ذلك فما يزالون يحرزون بعض التقدم.

لقد أرسلوا إلى العراق خبراء أفضل وقلصوا الكلفة. وتمكنوا من الحصول على مناقصة توسيع قياس سكة حديد بغداد – البصرة. وقاموا بتنفيذها بكلفة رخيصة وبأقساط، ومن كان يدري ماذا سيحدث قبل الوقت المقرر لدفع القروض؟. وابتدأ سيل مستمر من الضباط العراقيين إلى الاتحاد السوفيتي لغرض التدريب على الأسلحة الجديدة، وسيل مستمر من الطلبة للدراسة في الجامعات الروسية، وكان بعضهم غير

---

[١٧] لاشك أن البريطانيين يتقدمون الروس في المجال الطبي بعشرات السنين وكذلك في مجال الصناعات الكهربائية والنسيجية وغيرها. ولكن الروس في مجال الأسلحة لا يقلون تقدماً عن البريطانيين والغربيين الآخرين، هذا ولابد من الإشارة الى أن الخبير الروسي لا يتجاوز راتبه عن ١٥٠ ديناراً شهرياً، ويجتمع كل خمسة منهم في دار سكن واحد، ولا يجوز لأي منهم استصحاب زوجته. وينتقل هؤلاء الخمسة بسيارة واحدة في حين لا يقل راتب الخبير البريطاني في أي مجال عن ١٠٠٠ باوند إسترليني، ويسكن مع عائلته في دار سكني فاخر وتدفع الحكومة العراقية إيجارها، ويدفع له مخصصات خادم ويتنقل بسيارة خاصة يسوقها سائق عراقي، وهكذا يتضح أن كلفة الخبير البريطاني تزيد على كلفة الخبير الروسي بعشرة أمثالها.

مقتنع بنمط الحياة الروسية. وتدفقت الأسلحة الروسية إلى العراق، والبعثة العسكرية ما تزال موجودة – استبدلت الآن ببعثة روسية. وكان قاسم يمثل مصدر القوة الرئيسة للروس، إذ أنه ظل مقتنعاً أن الغرب هو عدوه الحقيقي وأنه بحاجة إلى العون الروسي. وضمن الرفاق المقربين لقاسم مايزال بينهم عدد من الشيوعيين. وكان يلحّ على مسؤوليه الرسميين بقبول العروض السوفيتية. ومنحت موسكو إسنادها التام لقاسم على الرغم مما كان يفعله ضد الشيوعيين المحليين، ولم تهاجمه شخصياً. إنهم كانوا يعرفون أن الشيوعيين المحليين غير قادرين على تسلم السلطة فوراً. كانوا يعملون للمستقبل فقط، في غضون ذلك يمكنهم العمل بشكل مؤثر من خلال التعاون مع قاسم. وبعد مرور ثلاث سنوات تمكنوا من ترسيخ مكانتهم من خلال مئات الفنيين العاملين في العراق والمعززين بخبراء جيك وبولونيين يحسنون التكلم باللغة الإنكليزية واصبحوا وجهاً بارزاً من الصورة الممثلة داخل العراق.

وفي أحد الأفلام الكارتونية المصرية ظهر قاسم على رأس قطعاته العسكرية وهو يعطي الإيعاز: **(يسار–يمين، يسار–يمين)***. مع تعليق على الصورة يقول:**(اتخذ القرار)**. وببساطة كانت سياسته تتضمن تصعيد العداء بين الجانبين **(القوميين و الشيوعيين)** لمصلحته، ويتخذ الاجراء ضد أي طرف يشكل مصدر تهديد له. وعندما أدرك كل حزب أن ليس باستطاعته ضربه والاستيلاء على السلطة، وأنه هو الرابح الوحيد في هذه اللعبة قل ميلهم للمشاركة في هذه اللعبة. ولذلك فقد عزل

* هو الإيعاز الذي يعطى لرتل عسكري راجل لتوقيت حركة خطواته. (المترجم)

نفسه في النهاية و احتفظ فقط بدعم الذين ربطوا مصيرهم معه إذا ما سقط. وفي الوقت الحاضر تمكن من دحر محاولات البعثيين والقوميين لقتله، وانقسم كلا الحزبين على أقسام عدة. وكان قادة الشيعة ورجال الدين السياسيون في الجنوب ضده بشكل علني، ولكن لم تعد لديهم القدرة التي كانوا يتمتعون بها في العشرينات عندما كان باستطاعتهم إثارة العشائر وإسقاط الحكومة. إن دبابات الجيش هي التي غيرت من ذلك. والآن جاء دور الشيوعيين لكي يعانوا. فقد بدأ المحافظون والشرطة المحلية يستعيدون سلطاتهم المحلية تدريجياً. وتعرضت الصحف الشيوعية إلى القمع واعتقل العديد من الشيوعيين ووضعوا في معسكرات الاعتقال، وألغيت قوة المقاومة الشعبية. ولغرض موازنة محكمة الشعب الموالية للشيوعيين، ابتدأت **(المحاكم العرفية)** المعادية للشيوعيين سياسياً بمحاكمة الشيوعيين المسؤولين عن أحداث القتل التي وقعت في الموصل وكركوك في أيام تسلطهم. وقامت الحكومة بالتدخل في الانتخابات وتغيير الوجوه في الاتحادات العمالية والجمعيات المهنية التي أصبحت الآن ضد الشيوعيين. وفي الموصل أخذ المعادون للشيوعية بالانتقام لأنفسهم. وكان الشيوعيون وأصدقاؤهم يتعرضون إلى الضرب بالرصاص في الشوارع، أولاً بعد حلول الظلام ومن ثم في ضوء النهار. ولم تتدخل الشرطة في الحد من تلك الأحداث ومطاردة القتلة. وتتحدث إحدى الروايات بأن الآخذين بالثأر ربطوا رؤوس ثلاثة من مساندي الشيوعيين على بدن سيارتهم ودحرجوا السيارة إلى قريتهم. وفي بغداد وضعوا رأساً مهشماً على أعلى الجسم بشكل متوازن

وأجلسوه على كرسي باعتناء شديد في المكان الذي يقف فيه قاسم عند أدائه التحية للقطعات العسكرية التي تستعرض في ١٤ تموز. وتقوم الشرطة الآن بإطلاق النار من دون خوف من العقاب على مثير الشغب في الشوارع. وأنشيء عدد جديد من معسكرات الموقوفين، وربما بلغ عدد الموقوفين الآن أكثر مما كان عليه في العهد الماضي (**الملكـــي**). ولم يظهر قاسم موقفه المعادي للشيوعيين بشكل علني ومايزال هو المفضل لهـــم.

يركز قاسم الآن على جعل الموقف صعباً فيما يخص أية جهة تحاول قتله. ويستخدم سيارة مضادة للرصاص قدمت له هدية من الروس، وبسبب عدم توفير الحماية الكافية بهذه السيارة، قدمت له سيارة أخرى نوع (**كاديلاك**) مضادة للرصاص أيضاً. وكانت ترافقه دائماً عجلتان عسكريتان محملتان بالجنود المسلحين. وكانت نوافذ شقته الجديدة في وزارة الدفاع مضادة للرصاص أيضاً. وفي الاحتفالات الرسمية كان الجنود المسلحون من الانضباط العسكري يحيطون به، ويصل بعضهم إلى مكان الاحتفال في وقت مبكر قبل مجيء الضيوف لتفتيش المقاعد وفحصها، وذلك للتأكد من خلوها من القنابل اليدوية. وفي المراسيم والاحتفالات العسكرية لم يكن يسمح لأي شخص بالتقرب من قاسم. وعلى أقل تقدير، تتوفر لدى قاسم ست خدمات استخبارية يتجسس كل منها على الأخرى وعلى الآخرين أيضاً، وكان يقوم بنقل أي ضابط برتبة عالية إذا ما أصبح اكثر شعبية في منطقته العسكرية. وكان يعمل على عدم السماح لأي وحدة عسكرية لأن تقع تحت تأثير الشيوعيين أو

القوميين وسيطرتهم. لقد كان قائد القوة الجوية شيوعياً وكان بإمرته مباشرة آمران قوميان، وكان القائد ذا تأثير قوي. وكان قائد الفرقة الثانية في الشمال قومياً، وكان أحد آمري ألويته في الموصل **(ذات الاتجاه القومي)** شيوعياً. ولذلك في كل مكان، كان الضباط الشيوعيون والضباط المعادون للشيوعية يشجعون للتجسس على بعضهم البعض. وكانت الدوائر الأمنية تتجسس على كبار الضباط، وكانت السلطة الفعلية بيد عملاء قاسم الشخصيين. وكذلك كان الحال في الجانب المدني. وكان بعض الوزراء يؤيد الشيوعيين وبعضهم الآخر ضد الشيوعيين. وقد ألقى الشيوعيون القبض على بعض الوزراء، في حين ألقى القوميون القبض على وزراء آخرين. واختفى زعماء الشيوعية، إذ أخذوا يعملون سراً، وربما كانت الشرطة تعلم أين هم ولكنها لا تريد إلقاء القبض عليهم: وأصبح بإمكان أي صحيفة الآن أن تهاجم أعداءها بشرط أن تساند قاسماً، وأن تكون معادية للاستعمار. واخذ قاسم يغدق الأموال على الصحف لتهاجم أصدقاءه أو أعداءه. وكان هجوم الصحافة ضد وزير معين إشارة له لكي يسير في خط قاسم إذا ما أراد الاحتفاظ بمنصبه وإلا فإن مصيره سيكون خارج الوزارة. وقد أُحيل على التقاعد الضباط الكبار ذوو الشخصية المرموقة جميعهم أما الضباط الصغار الموالون لقاسم بدرجة أو أخرى فقد تم منحهم بيوتاً سكنية وأجهزة تلفزيون وسيارات بأقساط مريحة. ولم يكن قاسم اشتراكياً، حيث بإمكان أي رجل أعمال أن يكوّن ثروته الخاصة بشرط أن يساند قاسماً الذي سمح لمسانديه والمقربين إليه أن يعملوا بشكل جيد ومفيد لهم.

في كل شهر نسمع عن مؤامرة جديدة وغالباً ما تحدد أسماء المتآمرين واليوم المقرر للقيام بالمؤامرة. وفي الذكرى الثالثة للثورة، أعلن قاسم أنه تمكن من سحق (٢٧) مؤامرة كانت محاكة ضده. وفي عيد ميلاد شاه إيران في ربيع ١٩٦١، كان من المتوقع كالعادة أن يحضر قاسم حفلة السفير الإيراني بهذه المناسبة. وكان جنود الانضباط العسكري في انتظاره، وجاء أحد الشباب وقال لأحد أعضاء سفارتي: **(انتبه جيداً.. إنهم سيحاولون اغتياله هنا، لا تحاول الاقتراب منه كثيراً)**. ولم يحضر قاسم احتفال السفارة الإيرانية، وربما أنه علم بالمؤامرة ضده أيضاً.

لم يكن بإمكاننا منع الناس من المجيء إلينا وإخبارنا عن وقوع المؤامرات أو الإعداد لها. وقال أحدهم إن العشائر كانت متهيئة، وإن جزءاً من القوة الجوية كان متفقاً لتنفيذ المؤامرة، وإن كل ما كانوا يحتاجونه هو المال والوعد بتقديم الدعم للحكومة الجديدة. وقال آخر: **(لقد تم تثبيت كل شيء، وكل ما نحتاجه هو مبلغ من المال مقداره (٥٠) الف باون للعوائل في حالة فشل المؤامرة)**. وقد قلنا للجميع بعدم الاتفاق معهم على أي شيء، وليس لنا علاقة بما يقومون به. وربما كان بعضهم قد أرسل من قاسم في محاولة للإيقاع بنا. وعلى أية حال لم نكن عازمين على التورط في أية محاولة انقلابية.

كان معظم الناس ضد المؤامرات لأن الحياة بدأت في التحسن أفضل من أي وقت مضى منذ قيام الثورة. وإن انقلاباً جديداً لن يعني سوى حالة من الفوضى والتشويش. وحتى في الموصل،إذ تطور قتل

الشيوعيين إلى حوادث قتل لأسباب شخصية،بدأت الأمور هناك تميل إلى الهدوء. إن انفصام الوحدة المصرية- السورية أدى إلى زوال الخطر من قيام ثورة قومية موجهة من المصريين. وفي سنة ١٩٦١ أطلق سراح الموقوفين المتبقين من سجناء العهد السابق **(الملكي)** والبعثيين الذين حاولوا اغتيال عبد الكريم قاسم، وكذلك أطلق سراح عبد السلام عارف ورشيد عالي الكيلاني ومعظم الموقوفين الآخرين وخرجوا من المعتقلات وهم بحالة صحية جيدة. ويبدو أن الأمور بدأت تتطلع نحو الأحسن.

ما هي الفائدة من الثورة إذا كان الأمر كله يعني استبدال عسكري غبي مكان عسكري غبي آخر؟. ولكن ظل الخطر قائماً من وقوع انقلاب حتى تمكن البعثيون في النهاية من قتل قاسم. أخبرني وزير خارجيته إنه قال له :

(إذا كان لديك مجلس وزراء ومجلس نيابي وتفويض مناسب من السلطات فليس هناك من يستطيع قتلك). وقال لي وزير المالية المساند الوحيد الآن لقاسم من بين السياسيين، إنه في العراق لايمكن للحزب السياسي أن يعمل إلا سراً. لقد عدنا إلى أيام نوري السعيد مع الفارق أن مساندي نوري السعيد كانوا من الإقطاعيين والرجعيين. وأضفت أن نوري السعيد ظل جالساً على الغطاء لمدة طويلة حتى تعرض إلى النسف.

كان قاسم يعد باستمرار بالعودة إلى الحياة السياسية ولكن لم يصدقه أحد. لقد ظل **(الزعيم الأوحد)** كما كان يرغب أن يدعى بهذه الصفة.

ولا يأخذ بأية نصيحة تقدم إليه معتمداً على مكره وجعل كل شئ تحت سيطرته. لقد مر وقت طويل لم يشهد ظهور مظاهرات شعبية تأييداً له. ولم يبد أن الشيوعيين متهيئون لتنظيم الشارع له، وكانت سيارته تمر من دون أن تجلب الانتباه. ورفعت صوره من الشارع بأمر من الشرطة ولكنه ظل نرجسياً (**يحب ذاته**) كما هو حاله دائماً.

لقد امتلأت غرفته بلوحات وتماثيل نصفية لشخصه ويبدو أنه لم يمانع من أن يعلق صورته مادام هناك الكثير من هذه الصور المعلقة. وكان يصغي إلى خطاباته التي يعاد بثّها بنظرة متأملة مستغرقة تبدو على قسمات وجهه. ونشرت في الصحف تفاصيل عن الجولة التي قام بها قاسم بصحبة ممثلي شركة النفط في بغداد، والتي شملت الأحياء الفقيرة في بغداد، وكان يتجول بين أبناء الشعب من دون حماية شخصية وقد استقبلوه بفرح وابتهاج متناه. وكان يُبقي زواره ينتظرون ساعات ويهمل المواعيد الرسمية، في حين كان يتحدث مع أي فرد يلتقيه صدفة. وفي الشارع يطلقون عليه اسم (**البلبل**) لكثرة ما يلقي من الخطابات التي لم يعد من يصغي إليها ماعدا أولئك الذين يحاولون إيجاد الخطوة التاليةالتي سيتخذونها ضده. ومع ذلك يعتقد هذا الرجل خطأً أنه قادر على جذب الناس إليه، في حين ليست له القدرة على ذلك. وهو منطوٍ على تخيلاته وغروره معتقداً أنه أقوم أخلاقاً من الآخرين وأن الله بجانبه حتماً، فيه مسّ من الجنون وذو عينين متفرستين، وتمكن من الحفاظ على مكانه في السلطة والبقاء حياً لأربع سنوات ونصف بالمكر

والحيلة وتوطيد العزم لإدامة سلطته. وفي النهاية، فهذا هو ما استهدفه كله من الثورة العراقية.

استمرت المباحثات من دون انقطاع بين شركة النفط والحكومة العراقية **(مالكة النفط)**. وحتى قيام الثورة، لم تكن المباحثات سهلة دائماً، ولكنها كانت تدار على أساس الاعتراف بشرعية سريان الامتياز النفطي وبالارتياح الودي المتبادل بين الجانبين. وكانت تحدث بعض المجادلات، اشتكت الحكومة العراقية مبينة أن الشركة كانت متباطئة في تدريب العراقيين للاضطلاع بالمواقع المسؤولة، وفي تعديل الامتياز ليتلاءم مع تغيرات الزمن، وفي استكشاف المصادر النفطية الواسعة في البلاد وتطويرها بشكل نشط وفعال بما فيه الكفاية، والاعتراف بأهمية علاقة الشركة مع الحكومة العراقية.

وأهملت هذه الشكاوى عدداً من الصعوبات التي كانت تواجه الشركة، والتي بذلت كل ما في وسعها لمعالجتها. تدار أعمال الشركة في لندن، ولم يوضع المقر المحلي في بغداد ولكن وضع في طرابلس وهو موقع ذو مناخ أصح من بغداد، ويقع في نهاية خط أنابيب النفط على البحر الأبيض المتوسط. ولكن بعد مدة وجيزة من الزمن حصلت بعض التغييرات الضرورية، إذ جرى نقل الوظائف المهمة من لندن والدائرة المحلية **(في طرابلس)** إلى بغداد. وارتفعت عائدات النفط العراقي الى ٩٠ مليون باون استرليني سنويا. وابتدأ العمل اللازم لمضاعفة إنتاج النفط خلال ثلاث سنوات، وتضمن ذلك إنشاء محطة ضخ في البحر العميق على بعد بضعة أميال داخل الخليج العربي.

إن اسم (**شركة نفط العراق**) كان يعني المجموعة النفطية المؤلفة من شركات نفط العراق والموصل والبصرة، والتي كانت تعمل فعلاً بوصفها شركة واحدة. في سنة ١٩٣٨، ونتيجة للمباحثات المتوالية، حصلت هذه الشركات على امتيازات تغطي عملياً القطر العراقي جميعه. وعلى أية حال ابتدأت مباحثات جديدة لبحث التخلي عن امتياز بعض المناطق. ولم تكن المباحثات سهلة بسبب تركيبة الشركة التي كانت مملوكة من لدن شيل (**SHELL**) وشركة بريتيش بتروليوم وستاندرد أويل أوف نيوجرسي وسكوني موبيل وكومبني فرانسيس دي بترول وامتياز كولبنكيان*. وبعد الثورة تعرضت الشركة إلى هجوم عنيف بعدّها أداة إمبريالية تحت حماية الحكومة البريطانية والنظام الرجعي (**الملكي**)، وإنها قد امتصت ثروة البلاد واستغلت الموارد العراقية من أجل مصالحها الأنانية فقط. وكانت وزارة النفط بشكل متوالٍ بأيدي الانتهازيين والنفعيين. ولم يقم الوزير الأول فيهم بزيارة أي حقل نفطي ما عدا حقل (**باكو**) خلال مدة وجوده الذي أستمر ثمانية عشر شهراً. وتمكنت الشركة من القيام بالإنتاج الاعتيادي في ظروف اتسمت بالصعوبة البالغة بسبب هيمنة اتحاد العمال الذي سيطر عليه الشيوعيون واعتقال بعض موظفي الشركة بعد ثورة الموصل. وقد

---

* وهو الاحتكار النفطي الغربي الذي كان يملك امتياز أكثر من٩٠% للتنقيب عن النفط واستخراجه. (المترجم)

تأخر التوسع في أعمال الشركة بسبب الظروف المحلية وعدم التأكد مما سيجري في المستقبل**.

واستمرت المباحثات بشأن إعادة النظر في الأمتيازات النفطية لمدة ثلاث سنوات، وكانت تقاطع وتعارض من لدن قاسم ووزرائه. وتركزت المباحثات في السنتين الأوليتين على التخلي عن حق التنقيب عن النفط في المناطق التي كانت مشمولة بامتياز التنقيب للشركات. وابتدأ النقاش بشأن النسب التي ابتدأت بالزحف من ٢٥% إلى ٥٠% ورفعها قاسم الى٥٩%. وقد وافقت الشركة على ذلك. وكانت حسابات قاسم صحيحة، إذ فكر أن بإمكانه الضغط على الشركة بدرجة أكبر من دون الأخذ بشرط الشركة في اختيار المناطق المراد التخلي عنها، وكان هذا هو سبب الاختلاف الرئيس. وماطل قاسم في المباحثات، وبث الإشاعات بأنه سيقوم بتأميم الشركة، ولكن لم تكن لديه النية للقيام بذلك لأن ثلثي ميزانيته المالية تأتي من النفط وإذا ما توقف ضخ النفط فإنه سيسقط.

وفي صيف ١٩٦٠، وبناءً على طلب الشركة للتدخل في كسر حالة الجمود والإخفاق في التوصل إلى حل، اتفق الطرفان على صيغة جديدة تتنازل فيها الشركة فوراً عن ٧٥% من امتيازها في التنقيب في الأراضي التي كانت مشمولة بالأمتياز سابقاً على ان تبقى الشركة تتمتع بـــ١٠% فقط بعد ١٤ سنة. وكان قاسم مسروراً بذكائه الذي مكنه من

** هذه وجهة نظر المؤلف التي تعكس وجهة نظر الشركات، وينبغي أخذها بتحفظ.(المترجم)

التوصل إلى هذه النتيجة. وقد أعاد المناقشة كلها مبقياً مدير الشركة ينتظر أسابيع وبالتالي أوقف المباحثات.

في هذه المرحلة أبتدأ قاسم بتوسيع نطاق المناقشات قائلاً إن القضايا جميعها في السلسلة يجب أن تحل سوية. ومرت أشهر عدة في النقاش بشأن تحديد فيما إذا كانت مبالغ حقوق الامتياز القديم الذي دفعته الشركة إلى الحكومة العراقية **(قبل أن تؤسس الشركة)** خاضعة للضرائب. وطرح للنقاش أيضاً الحقوق المتعلقة بالغاز المحروق. وتطور الجدال بشان زيادة عوائد ميناء البصرة على النفط المصدر والمتفق عليها (من جانب واحد). وأخيراً قدم العراقيون قائمة تتضمن (١٢) مطلباً من ضمنها المشاركة بالحصة وزيادة في واردات الحكومة **(النفطية)** عن حصة مناصفة (٥٠/٥٠) في الأرباح الجارية حالياً. وكانت المناقشات مطولة ومعقدة. ومازال قاسم يضغط على الشركة رافضاً التسوية. وفي سنة ١٩٦١ عندما تدهور الموقف السياسي، اضطلع وفد على مستوى عال من مجموعة الشركات بالمناقشات. واقترح الوزير العراقي أن توافق الشركات فوراً على تخليها على حق الامتياز بنسبة ٩٠% وإجراء مضاربة مشتركة في نسبة الـ١٠%، والتي لم تستثمر حتى ذلك الحين. قد توافق الشركة على ذلك لولا أن قاسماً، ربط ذلك مع شرط المناصفة في أرباح الشركة من عوائد النفط. وأخيراً توقفت المباحثات، إذ لم يتم التوصل إلى حل مقبول. وصدر قانون بمصادرة المناطق جميعها الخاضعة للامتياز خارج حقول النفط

المستثمرة في الإنتاج فعلاً. وبموجب هذا القانون فقدت الشركة حوالى نصف حقل الرميلة الثمين جداً الذي قامت باستكشافه.

ربما كان ممكناً التوصل إلى اتفاقية ذات نفع أكثر للشركة فوراً بعد الثورة عندما لم يكن قاسم متأكداً من موقفه (السياسي). ولكن من المشكوك فيه أن الشركة كان باستطاعتها في أي وقت أن تتوصل من خلال العملية الطويلة من المباحثات إلى إقرار اتفاقية مع الحكومة العراقية. لقد كان قاسم ذكياً إلى حد ما، ولكنه أخذ يغامر جداً بالمبالغة بتقدير قوته، ولم تتوفر أية فرصة أخرى للشركة.

لم يقدم قاسم أي خدمة لبلده. ونتيجة للتخطيط المرحلي أصيب الإنتاج بالركود وخسر العراق الكثير من ملايين الدولارات في عوائده، والتي كان من الممكن أن يحصل عليها العراق لو كان قاسم على استعداد للتعامل بشكل عقلاني مع الشركة [١٨].

في الخامس والعشرين من حزيران ١٩٦١ أعلن قاسم إدعاءه بالكويت. كانت الإمبراطورية العثمانية قد أعلنت سيادتها على الكويت

---

[١٨] لم يكن السفير البريطاني منصفاً عندما قال (لم يقدم قاسم أية خدمة لبلده)، إذ أن القانون النفطي رقم ٨٠ الصادر في ١٥ كانون الأول ١٩٦١ يمثل ثورة البلدان المنتجة للنفط على مستغليها فضلاً عن خروج العراق من ميثاق بغداد وخروجه من نظام الإسترليني، وتحرير عملته، وحل مشكلة السكن، ودخول العراق العصر النووي، وصدور قانون الإصلاح الزراعي، وإلغاء قانون نظام دعاوى العشائـــر.

ولكن لم تكن هناك إدارة تركية في الكويت*. وفي سنة ١٨٩٩ عندما قتل مبارك الصباح **(في الكويت)** إخوته، طلب الحماية من الحكومة التركية التي أغدقت عليه لقب الشرف قائمقام أو حاكم منطقة الكويت تابع للحكومة العثمانية، ولكنه في الحقيقة ليس تابعاً لمنطقة البصرة كما ورد ذلك في التقارير العثمانية. وفي وقت لاحق طلب مبارك الصباح من الحكومة البريطانية أن توفر الحماية له فلبّت طلبه مقابل قبوله بوضع تحديدات على سيادة الكويت. وكان النفوذ البريطاني هو الأقوى في المنطقة، إذ لم تستطع الحكومة التركية تمديد سلطتها إلى ما وراء حدود البصرة. واستمرت الكويت بوصفها جزءاً من مناطق الخليج وليس جزءاً من العراق.

وفي سنة ١٩١٣ وقعت الحكومة البريطانية وحكومة الباب العالي **(الحكومة العثمانية)** اتفاقية تقرر بموجبها الاعتراف بالسيادة التركية على الكويت بشرط أن الإدارة التركية لا تشمل الكويت. ولم تقر الاتفاقية بسبب اندلاع الحرب العالمية الأولى. وفي سنة ١٩١٤ بعد أن اندلعت الحرب قام المقيم البريطاني في الخليج بتشجيع الشيخ على مهاجمة الأتراك في منطقة البصرة، وفي تشرين الثاني ١٩١٤ عندما احتل البريطانيون البصرة، تم الاعتراف رسمياً باستقلال الشيخ تحت الحماية البريطانية على وفق اتفاقية ١٨٩٩.

---

* لم يكن هنالك شخص تركي يدير الكويت، ولكن شيخ الكويت كان يديرها بوصفه قائمقاماً عثمانياً تابعاً لولاية البصرة العثمانية معيناً بفرمان عثماني نظامي. (المترجم)

وفي سنة ١٩٢٠ عند إعلان الانتداب البريطاني على العراق كانت الكويت خارج الحدود العراقية. وفي سنة ١٩٢٢ تباحث السير بيرسي كوكس مع العربية السعودية بشأن الحدود بين الكويت والسعودية، إذ تنازلت الكويت عن بعض المناطق الواقعة إلى الجنوب والغرب من الكويت في الأصل، وأعلن عن منطقة واحدة بوصفها منطقة حياد تحت سيادة العربية السعودية والكويت. وفي سنة ١٩٣٢، كان نوري السعيد رئيساً لوزراء العراق آنذاك وبالموافقة على شروط استقلال العراق أكد أن الحدود الموضوعة للمناطق التي كانت خاضعة للانتداب هي التي ستكون حدود العراق المستقل. وفي سنة ١٩٣٨ أدعى الملك غازي شفوياً بالكويت ولكن هذا الادعاء قوبل بالرفض. ولم تثبت الحدود بين العراق والكويت بشكل تام. وفي ربيع ١٩٥٨ واجهت الحكومة العراقية صعوبات للاتحاد مع الأردن وطالبت بإلحاق الكويت بالعراق لمواجهة الانتقادات إذ أن النتيجة الوحيدة للاتحاد كانت تحويل العائدات العراقية من النفط لمعالجة العجز في ميزانية الأردن. وقد رفض الشيخ بامتعاض الانضمام إلى الاتحاد. ولذلك حاول نوري السعيد أن يضغط عليه ولكن ليس بالادعاء بالكويت كلها على أساس تاريخي وإنما الادعاء بالجزر الواقعة إلى الشمال من الأراضي الكويتية بوصفها جزءاً من المياه الإقليمية العراقية. وقد تم تجاوز هذا الادعاء عند حدوث ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨.

خلال السنوات الثلاث الأولى من الثورة، لم تبد الحكومة العراقية أي إدعاء بالكويت وكانت اجراءاتها تدل على أن الحكومة العراقية تعترف

بالكويت بوصفها دولة منفصلة عن العراق. وفي كانون الاول ١٩٥٨ طلبت الحكومة العراقية من الكويت الموافقة على المداولة بشأن المسائل المعلقة بينهما. وفي عدد من المناسبات وجه العراق رسائل إلى حكومة الكويت بأسلوب يدل على ان الكويت ليست جزءاً من العراق. وتماماً قبل شهر من إدعاء قاسم بالكويت، وقّع وفد كويتي اتفاقية تجارية مع العـــراق وصدر بلاغ رسمي يشير إلى القطريـــن الشقيقيـــن. وبدعم من العـــراق أصبحت الكويـــت عضواً في عدد من الوكالات الدوليـــة المتخصصة. وقبل أسبوعين من الادعاء العراقي بالكويت تحدث الممثل العراقي في منظمة العمل الدولية مرحباً بعضوية الكويت في هذه المنظمة قائلاً إنه يرحب بالتحاق أخ عربي أصغر بالمجال الدولي، وأن هذا الأخ هو جزء من العائلة العربية. وبناء على مبادرة عراقية، أنشئت منظمة (الأقطار المصدرة للنفط) مع الكويت بعدّها أحد الأعضاء المؤسسين لهذه المنظمة [١٩]. وكانت الكويت أيضاً عضواً في العديد من

---

[١٩] بادرت الحكومة العراقية بتوجيه الدعوة في آب ١٩٥٩ إلى كل من إيران والسعودية والكويت وفنزويلا لعقد اجتماع في بغداد في العاشر من شهر أيلول ١٩٦٠ لتدارس الوضع والعمل على تنسيق السياسات النفطية للأقطار المجتمعة بشكل يحقق مصالح شعوبها، وذلك بوصفه رد فعل مباشر لتلاعب شركات النفط بالاسعار على وفق مصالحها وتجاهل تلك الشركات مصالح الأقطار المنتجة ومصالح شعوبها صاحبة الثروة الحقيقية، وحضرت قطر هذا الاجتماع بصفة مراقب . ويلاحظ ان عبد الكريم قاسم وجه الدعوة إلى أقطار منتجة و ليس الى حكومات تمهيدا لمطالبته بالكويت مستقبلا، ولذلك سميت المنظمة بمنظمة الأقطار المنتجة للبترول و ليس الحكومات OPEC.

اللجان الفنية لمنظمة الجامعة العربية، وفي اجتماع عقد قبل بضعة أشهر في بغداد تم قبول الكويت عضواً في البنك العربي المقترح وفي الخطوط الجوية العربية. والسبب الذي جعل الكويت لم تحصل على الصفة الدولية حتى ذلك الحين هو أنها كانت تحت الحماية البريطانيـــة بموجب اتفاقية ١٨٩٩. واما عدّها إقليماً منفصلاً فكان أمراً معترفاً به بشكل تام. وخلال سنة ١٩٦٠ قدم شيخ الكويت طلباً إلى الحكومة البريطانية لمراجعة اتفاقية ١٨٩٩ وعدها غير سارية المفعول. واستمرت المباحثات حتى منتصف ١٩٦١، وقد أشير إليها في الصحافة الكويتية، ولم يبد العراق أي اعتراض على تلك المحادثات. وفي نيسان ١٩٦١ أشار قاسم في خطاب جماهيري بسخرية إلى قصة لا أساس لها من الصحة بالمرة في أن الكويت ستنظم إلى الكومنولث البريطاني مستهزئاً بالفكرة على أساس انه ليس هناك اتصال بين الكويت وبريطانيا. وأشار إلى الاتصالات القديمة بين العراق والكويت قبل وبعد حرب ١٩١٤-١٩١٨، والى عدم وجود حدود بين العراق والكويت. واستفسرت في حينه من وزير الخارجية (العراقي) عن معنى هذه التلميحات فأجاب بأنها إشارات تاريخية بحتة. وسمعت بعد ذلك أن زميلي السفير الألماني قد وجّه السؤال نفسه إلى وزير الخارجية العراقي، وانه قد ألقيت عليه محاضرة عن النوايا الشريرة البريطانية في فصل الكويت عن العراق، وعن سؤال بشأن ما ينوي العراق القيام به بشأن الإدعاء بأن العراق والكويت بلد واحد، أجاب وزير الخارجية (العراقي) بأن ذلك يعود إلى شيخ الكويت .

لم نعد إجابة قاسم بشأن الكويت بأنها ذات أهمية. لقد كانت الحكومة العراقية تؤكد مفهوم العائلة العربية، وإن الإشارة إلى الحدود لم تكن سوى مصطلح للملاطفة العربية بين الجيران. واستخدمت حكومة العربية السعودية العبارة نفسها عند الإشارة إلى الكويت. وتقريباً في الوقت نفسه قلت لوزير الخارجية العراقي نيابة عن حكومة الكويت إن الكويت موافقة من حيث المبدأ على تبادل التمثيل الدبلوماسي بين الكويت وكل من العراق والجمهورية العربية المتحدة بمستوى قنصل. وكانت الترتيبات اللازمة لتدريب الكويتيين في العراق على الخدمة الخارجية متيسرة، وأخبرني وزير الخارجية (العراقي) أن العراق سيرد خلال بضعة أسابيع على رسالة وردت من الحكومة الكويتية تطلب فيها إنشاء لجنة مشتركة لتحديد الحدود العراقية - الكويتية، وضمنياً سيوافق العراق على ذلك. وقد أجبت عن استفساره عن المباحثات المعقودة في لندن بشأن استقلال الكويت، وقلت له إنني لا اعرف أي شيء عن المباحثات المذكورة. وسألته كيف ينظر العراق إلى مسألة استقلال الكويت فأجاب أن العراق سيرحب بظهور أية دولة عربية مستقلة. وعندما ذكّرته بهذا الموضوع في وقت لاحق، لم ينكر ذلك ولم يحاول أن يفترض أنه لم يكن يشير إلى الكويت بالذات، وأخبرني في وقت لاحق أن وزارة الخارجية غير مخولة للإجابة عن هذا الموضوع بعد أن سمعت قاسماً ما يعبّر عن آرائه بصدد الكويت مرات عدة في مجلس الوزراء.

في بداية حزيران ١٩٦١، علمت أنه قد تم التوصل إلى الاتفاقية الانكلو – كويتية، وإنها جاهزة للتوقيع. وقبل التوقيع على الاتفاقية أراد الشيخ أن يعرف رأينا فيما سيكون عليه رد فعل قاسم تجاه الاتفاقية. وطلب مني إبداء رأيي بشأن الموضوع. وكانت إجابتي أنه ليس من المؤكد إن قاسماً سيقوم برد فعل معاكس لأنه منذ وقت قريب خاطب الشيخ بطريقة ودية جداً. ومع ذلك يعتمد رد الفعل على مزاجه، في الوقت الحاضر، في كيفية تقبله الخبر. وأوصيت بعدم الإعلان عن الاتفاقية حتى عودة وزير الخارجية العراقي من اجتماع الجامعة العربية في القاهرة، وأن يُسمح لي أن أخبره سابقاً (أي قبل الإعلان الرسمي عن الاتفاقية). واعتقدت أن ذلك قد يقضي على فرصة القيام برد فعل معادٍ. ومن حسن الحظ أن توصيتي هذه لم تحظ بالقبول. وقد اعترض المعتمد السياسي في أنه لا يمكن تأجيل التوقيع على الاتفاقية، اكثر من الموعد المقرر له لأن الناس عامتهم يعرفون حصول الاتفاقية، وقد ثبت يوم ١٩ حزيران موعداً للتوقيع عليها.

لقد خُولت أن أخبر الحكومة العراقية في تلك الليلة. وكان قاسم يقوم بوكالة منصب وزير الخارجية. لم أذهب لمقابلته لأنني لم أرد أن أظهر أن الاتفاقية كانت على قدر كبير من الأهمية. لقد افترضناها مجرد أداة لتنظيم الموقف الراهن. وفضلاً عن ذلك كانت هناك أزمة في الشؤون الخاصة بشركة نفط العراق آنذاك. ولم يكن بإمكاني التحدث من أجل الشركة ولم أرغب التورط في ذلك. ولاجل ذلك سلمت نص الاتفاقية إلى الموظف الأقدم في وزارة الخارجية. ولم يبد الموظف المسؤول أي

تعليق أو إشارة إلى احتفاظ الحكومة العراقية بالرد على الموقف، وبعد بضعة أيام قال لي إنه سلم الاتفاقية إلى قاسم مع مسودة برقية إلى الشيخ للتهنئة باستقلاله. وقد مزق قاسم مسودة برقية التهنئة أملى بنفسه برقية مهنئاً إياه لأنه تخلص من اتفاقية ١٨٩٩، ولكنه لم يذكر في البرقية أي شئ عن الاستقلال .

كذلك أساء آخرون تقدير رد فعل قاسم. كان وزير التجارة العراقي يمثل العراق في اجتماع لمجلس الاقتصاد العربي في دمشق وكانت الكويت ممثلة في ذلك الاجتماع. لقد شارك الوزير العراقي الوزراء العرب الآخرين في إرسال برقية تهنئة إلى الشيخ. وبعد انتهاء اجتماع الجامعة العربية في القاهرة كان وزير الخارجية (العراقي) في بيروت في طريق عودته إلى بغداد. ولم يبد له أن هذا الموقف يمثل وقتاً حرجاً لأنه لم يعد إلى بغداد إلا بعد ثلاثة أيام. وفي مقابلتي الأولى معه بعد أن أعلن قاسم ادعاءه بـــ(الكويت)، لم يكن مرتاحاً لأن الاتفاقية أعلنت عندما كان هو خارج القطر، وقال إن المخاطر أو المجازفات تلعب دوراً كبيراً في الشؤون الدولية، ولكنه كان موجوداً في بغداد قبل ثلاثة أيام من انعقاد المؤتمر الصحفي ويبدو أن الموظف الأقدم* في وزارة الخارجية كان مصيباً عندما قال لي إن ليس هناك فرق فيما لو كان وزير الخارجية موجوداً في بغداد في وقت الإعلان رسمياً عن الاتفاقية. وسمعنا لاحقاً أن وزير الخارجية قد وجه سؤالاً لقاسم فيما إذا كان

---

* المقصود به – على ما يبدو – وكيل وزارة الخارجية. (المترجم)

مؤتمره الصحفي سيدور حول الكويت، لكنه أخبره (سوف ترى). وفي تلك الأيام ابتدأت الحكومات العربية الإعلان عن اعترافها باستقلال الكويت .

وفي مساء الأحد ٢٥ حزيران كنا في حفل رسمي عندما وصلتنا الأخبار عن اعلان قاسم إدعاءه بالكويت، وفي اليوم التالي أصدر مرسوما جمهورياً عين فيه الشيخ قائمقاماً لقضاء الكويت التي هي جزء من محافظة البصرة. إنه أكثر من ادعاء. إنه إعلان عن أن الكويت لم يعد لها كيان منفصل وانما هي جزء من العراق.

ولم يتخذ أي إجراء عملي بطرق سلمية بشأن الادعاء، وعلى العكس فقد كان الافتراض أن الكويت جزء من العراق وعليه فبإمكان القطعات الحركة داخل الكويت بوصفها إجراء اعتيادياً للحفاظ على الأمن الداخلي ضمن حق العراق في السيادة على أراضيه. ومن المحتمل أن الضباط الأقدمين المعنيين بالتخطيط هم الذين كانوا فقط يعرفون بنوايا قاسم. وفي الوقت الذي عقد فيه المؤتمر الصحفي، كانت هناك حفلة مقامة في بيت رئيس الأركان العامة حضرها الوزراء جميعهم. وكان مدير الامور

الطبيـــة حاضراً في ذلك الحفـــل، وقـــد أخبرني أنهم جميعاً فوجئوا باعلان قاســـم ادعاءه بالكويـــــت[٢٠].

وليس من شك في أن لدى قاسم نية مؤكدة في متابعة ادعائه. وقد وجه وزير الاسكان لزيارة الكويت ووضع الخطط لمشاريع الاسكان هناك. وقد أوقفت أجازة أحد كبار موظفي وزارة المالية لانه قد يكون مطلوباً لإعادة النظر في وضع الميزانية العامة التي تشمل الكويت. وأعلن عن أن الكويتيين لن يكونوا بحاجة لأن يتبعوا التعليمات والأنظمة

---

[٢٠] في يوم ١٨ حزيران ١٩٦١ سافر وفد عراقي يرأسه وزير الخارجية المرحوم هاشم جواد وعضوية اللواء الركن زيد ضياء محمود معاون رئيس أركان الجيش نيابة عن وزير الدفاع عبد الكريم قاسم والمقدم خليل إبراهيم حسين الزوبعي مدير الصنف الكيمياوي (مستشاراً للوفد) الى القاهرة لحضور اجتماعات مجلس الدفاع العربي المشترك، وقد قابل الوفد الرئيس عبد الناصر الذي رحب بعودة العلاقات العراقية- المصرية الى سابق عهدها، وإنه مستعد لدعم العراق بكل ما يمكن من المساعدات التي يطلبها. وعند عودة الوفد الى لبنان يوم ٢٤ حزيران وقد نشرت الصحف تصريحات بريطانية بالاعتراف بالكويت بوصفها دولة مستقلة سأل الصحفيون اللبنانيون رئيس الوفد العراقي الأستاذ هاشم جواد عن رد فعل العراق عن ذلك، فكان الجواب الترحاب والتهنئة والتبريكات وأن العراق يرحب بذلك. وفي بغداد واجه الوفد عبد الكريم قاسم الذي أخبرهم أنه قرر المطالبة بضم الكويت الى العراق بوصفها جزءا لا يتجزأ من تراب الوطن، ولما رجا وزير الخارجية عبد الكريم قاسم أن يؤجل هذا الموضوع بضعة أيام ليتسنى له دراسة الموضوع من جوانبه جميعها سكت عبد الكريم قاسم ولم يجب، ولكنه فاجأ الجميع ببيانه الذي أذاعه في دار رئيس أركان الجيش والحاكم العسكري العام ليلة ٢٥/٢٦ حزيران راجع صفحة ٢٤٩ وما بعدها، الجزء الخامس من موسوعة ١٤ تموز ١٩٥٨، العميد خليل ابراهيم الزوبعي.

الخاصة بالأجانب في العراق، وقيل للأجنبي الذي يريد أن يزور الكويت لن يحتاج إلى سمة مرور للخروج من العراق. وبسرعة ظهرت بوادر تشير إلى حركة قطعات عسكرية.

لقد تطور الموقف بشكل خطير، وزعمت الصحيفة الناطقة بلسان قاسم أن العراقيين مضطهدون من لدن العملاء الإمبرياليين في الكويت، ويبدو كما لو أن حملة شنت لتبرير التدخل. وفي الوقت نفسه ابتدأنا نحصل على معلومات موثوقة بأن أول كتيبة دبابات تحركت باتجاه البصرة. واستمعنا أيضاً إلى روايات تشير الى أن أعداداً كبيرة من القطعات العسكريـــة قد تحركت نحو الجنـــوب تحت غطاء إجراء ممارستين ليليتين للاحتفال العسكري الذي يجري يوم ١٤ تموز. وعلمنا أيضاً أن ضابطاً برتبة كبيرة توجه إلى البصرة ليقوم بترتيب إسكان كتيبة الدبابات. وأكد لنا مصدر موثوق وجود ذلك الضابط في البصرة. ولدى عودته تمكنا من الاتصال به بحجة أننا أردنا تأجير بيته، وعندما ضايقناه بالأسئلة اعترف بحالة عصبية مرهقة بأن الكتيبة تتهيأ للحركة وأنها زودت بقاطرات للسكك الحديدية. وبشيء من الفراسة قال الملحق العسكري (البريطاني) لأحد المسؤولين الكبار في السكك الحديدية في احتفال حضره هذا المسؤول: (لماذا سمحت باستخدام قاطرات السكك الحديدية لحركة الدبابات ؟). وبعد أن احتسى ذلك المسؤول كمية من الويسكي وزال الحذر منه، أجاب: (نعم كنت غاضباً لذلك. لقد قاموا بهذا الإجراء من خلال الموظفين المرؤوسين في السكك من دون اخباري بذلك). توفرت لدينا أدلة عدة عن حركة القطعات العسكرية.

وأخبرنا بعض العراقيين أن أفراداً من عوائل أصدقائهم في الكتيبة المذكورة كانوا في البصرة. وأكد لنا الملحقون* في إيعازنا الصباحي على حركة الدبابات. وفي وقت لاحق هاجم الملحق العسكري العراقي في لندن ملحقينا العسكريين في بغداد لنشرهما إشاعات كاذبة عن حركة القطعات، ولكنه اعترف بحركة الدبابات ولكن ليس إلى البصرة. وعلمنا بعد ذلك أن الدبابات عادت من مواضعها إلى داخل الأراضي العراقية. وعلمنا أيضاً أن (قوة واجب TASK FORCE) قد تألفت، واعلن عن اسم قائدها، وأن مجموعات أمامية من فرق عدة قد تحركت نحو الجنوب. وازداد الطلب بدرجة كبيرة على وقود العجلات وبنزين الطائرات وشوهد الجنود الأكراد (الذين لم يكونوا من منتسبي الحامية) يتجولون في أسواق البصرة قبل أن يجري تحريكهم. وابتدأ العمل بتوسيع الطريق من البصرة إلى الكويت (ليلاً) لأغراض المرور الثقيل. وجرى طلب عربات السكك الحديد لأغراض التنقل. وتشير الدلائل إلى أن قوة الواجب سوف تعزز بلواء مدفعية ودبابات وإسناد جوي.

زودت الصحافة بمعلومات غير صحيحة إطلاقاً عن الموقف في الكويت مستندة الى توقعات قاسم الخاطئة. وبعد يوم أو يومين من عقد المؤتمر الصحفي جاء مراسل صحفي بريطاني بالطائرة من الكويت إلى البصرة، واخبرني أن الطائرة استقبلت من لدن شخص من إذاعة بغداد الذي سأل أحد المسافرين العراقيين فيما إذا حصلت مظاهرات في

---

* المقصود هو الملحق العسكري والملحق الجوي البريطانيان في بغداد. (المترجم)

الكويت في اليوم السابق لوصول الطائرة إلى البصرة. وقال المسافر (نعم). (وهل كانوا يهتفون لعبد الكريم قاسم؟). (كلا، كانوا يهتفون للشيخ)، (هل كانوا يحملون صوراً ؟)، (نعم). (هل هي صور عبد الكريم قاسم ؟) .(كلا، إنها صور الشيخ). وانتهت المقابلة، ولكن ذلك لم يمنع إذاعة بغداد من التصريح بحدوث مظاهرات ضخمة في الكويت تأييداً لقاسم، ويبدو كما لو أن قاسماً، ينوي استخدام القوة. ذهبت إلى وزارة الخارجية وذهب الملحق العسكري (البريطاني) إلى وزارة الدفاع. وأوضحنا للعراقيين أن من الضروري أن ننفذ التزاماتنا لشيخ الكويت ويجب أن يأخذوا في حساباتهم نوايانا في هذا الخصوص. وأرسلت برقية إلى لندن بينت فيها أنه يجب التأكد من عدم وصول قاسم إلى الكويت قبل أن نكون متهيئين لمواجهته. كانت حاملة الطائرات الصولة (بلآرك) على وشك الوصول إلى الكويت في ٤ تموز، وقد أكدت ضرورة الإسراع بوصولها إلى الكويت وأن تكون على أهبة الاستعداد إذا ما تقرر إرسال قطعات بريطانية إلى الكويت، وأن ذلك قد يعني قطع العلاقات الدبلوماسية، وينبغي إنذارالسويسريين لكي يتولوا إدارة مصالحنا في العراق إذا ما حدث ذلك.

كانت معنويات القطعات العراقية واطئة وتدريبها وادامتها دون الوسط. وفي بغداد كنا نعتقد أن هجوماً عراقياً، حتى لو جرى ليلاً، يمكن معالجته باستطلاع وهجوم جوي من البحرين يتبعه إرسال تعزيزات من القطعات البرية. وإذا وضعنا قطعات برية في الكويت،

حيث يهيئ قاسم قوة واجب لاجتياح الكويت، فإنه سيكون قادراً على مهاجمتنا إعلامياً بوصفنا امبرياليين يحتلون دولة عربية من دون أي تهديد من العراق. ويجعل ذلك رأسمالاً سياسياً ضدنا في العالم العربي. ولذلك اقترحنا تأجيل وضع القطعات (البريطانية) في الكويت إلى أن يبدأ قاسم بحركة مكشوفة، وعلى أية حال فإن الحكومة البريطانية استناداً إلى تقرير وزارة الدفاع عن الاستحضارات العسكرية العراقية، وبعد الأخذ بالحسبان حالة المعنويات الكويتية، قررت إرسال قطعات برية بدءاً إلى الكويت. وبما أن أية تحركات عراقية عبر الحدود يعني سياقة (٥٠) ميلاً فقط إلى مدينة الكويت، والتي من المحتمل أن تجري ليلاً، فلن يكون كافياً الاعتماد على ضربات جوية.

في الأول من تموز دخلت القوات البريطانية إلى الكويت وبدأنا بحرق أوراقنا الرسمية ولكن لم يكن هناك قطع للعلاقات. وكان رد الفعل الرسمي العراقي متمثلاً بإرسال مذكرة إلى البعثات الدبلوماسية جميعها في بغداد تهاجم فيها الإجراءات البريطانية مؤكدين من جديد الإدعاء العراقي ورفض شرعية سريان الاتفاقية الأنكلو-كويتية. والآن للمرة الأولى أقرت الحكومة العراقية بشكل صريح أن ليس لديها أية نية باستخدام القوة، وصرّحت أنه لم يجر تحريك أية دبابة أو جندي باتجاه الكويت. وقال لي وزير الخارجية إنه كانت هناك خطة لتحريك كتيبة دبابات إلى الجنوب بوصفها جزءاً من عملية إعادة التنظيم المهيأة قبل أشهر عدة. ولكون أن هذا الإجراء قد يؤدي إلى سوء الفهم، فإنه قد تدخل وأوقف تنفيذ هذه العملية. ومن المحتمل أن قاسماً قد أخبره أنه لم

يجر تحريك أية قطعات، وأن الوزير المذكور قد صدّق ذلك. وعندما قال قاسم للسفير الهندي إنه يجب أن يرسل ملحقه العسكري إلى البصرة ليشاهد الحالة بنفسه، علمنا أن قاسماً قد أوقف تهيئة (قوة الواجب)، على الأقل في الموقف الراهن، وأن الدبابات مخفية بشكل جيد ولا يمكن مشاهدة أي شيء آخر.

وفي ضوء الأدلة التي جمعناها الآن قمنا بتقدير الموقف. ويبدو أن المسلك الأكثر احتمالا هو نية قاسم في الاستحواذ على الكويت بانقلاب يؤقت للتنفيذ يوم ١٤ تموز، الذكرى السنوية الثالثة للثورة، وربما قيل له أن يعلن ادعاءه بالكويت فقط، وان أغلبية السكان هناك سيقفون إلى جانبه ويعلنون تأييدهم له. وكان قاسم يخطط لإنشاء قوة الواجب تحت غطاء إجراء الممارسات للاحتفالات العسكرية يوم ١٤ تموز. وربما ابتدعت خطة إعادة التنظيم للتمويه بوصفها غطاء لتبرير تحريك القطعات. وعندما أصبحت القوة في مواضعها المقررة في نهاية حزيران تقريباً، كان من المقرران يصرح وبتبرير معين أنه سيرسل قوة الواجب لإكمال إجراءاته في الكويت. وربما اعتقد أنه حالما سيكون في الكويت فإنه سيتمكن من السيطرة على الموقف وأن البريطانيين، كما في تجربة السويس، لن يتمكنوا من طرده.

لقد باغتته اتفاقية ١٩ حزيران. فبعد بضعة أيام من الإعلان أدرك قاسم أن السبب السياسي لعمله قد نسف بسبب الاعتراف بالكويت من الدول العربية الأخرى. ولذلك كان عليه أن يعلن تصريحه أو يدع الموقف يتدهور بدرجة أكبر. وربما اعتقد أنه إذا نفخ أبواقه فإن أسوار

أريحـــا سوف تتداعى طواعية*. وربما أنه لم يأخذ بالحسبان أن البريطانيين جادون في قضية الكويت. لقد أرسل مراقبين إلى الكويت لمراقبة ردود الفعل، واستمر في تهيئة قوة واجبه، وابتدأ بحملة صحفية بشأن الفضائح الوحشية التي تجري في الكويت لإعطاء المبرر لقوة واجبه للتحرك (لحماية المواطنين العراقيين). لقد تظاهر السكان في الكويت تأييداً للشيخ واستمرت الدول العربية في مواصلة دعمها لاستقلال الكويت، وأظهر البريطانيون أنهم جادون في موقفهم. ولذلك انتهت اللعبة وأمر قاسم بإيقاف العملية واسدل الستار على آثارها. لقد أخفقنا في تحديد ما كان ينوي أن يصل إليه، ولكن هكذا كان حال كل من لم يكن متورطاً في هذه الرواية. لقد كان الحظ بجانبنا بعض الشيء. فلو أن الاتفاقية الانكلو- كويتية تأخرت ربما سارت خطة قاسم بشكل أفضل في جدول توقيته، ولو أنني أشك في إمكانية نجاحها ولكن ربما سببت للبريطانيين الكثير من المتاعب لسحقها. إن الاتفاقية قد خلخلت خططه وأربكتها*.

بعد أن سحب قاسم دباباته إلى داخل أراضيه وأوقف حركة الوحدات الأخرى، أخذ يركز على اتهام البريطانيين بأنهم اخترعوا قصة تحركات القطعات العسكرية لكي يبرروا عدوانهم بحركتهم الإمبريالية مهددين العراق والأقطار المجاورة. وهنا ظهرت حالة

---

* مثل أنكليزي.

* تعكس آراء السفير هنا آراء الحكومة البريطانية وعائلة الشيوخ الحاكمين في الكويت، لذلك أقتضى التنويه. (المترجم)

حقيقية من القلق النفسي وعدم الاستقرار بأننا قد نستخدم الكويت لمهاجمة العراق واستعادة الموقف البريطاني المهيمن بعد ثورة ١٤ تموز. وظهرت الدفاعات المضادة للطائرات حول المدن وفي النقاط الحيوية. وربما كانت هناك بعض المخاوف من نوايا عبد الناصر تجاه العراق لأنه كان من المعروف أنه يحتفظ بطائرات على أهبة الاستعداد في مطار سوري على الحدود العراقية. كان ثلاثة جنود بريطانيين ينتقلون بعجلة (سكاوت) في الأراضي الكويتية وقد ظلوا الطريق وعبروا الحدود العراقية، وتم اعتقالهم من السلطات العراقية حتى حلول عيد الميلاد، والظاهر أن العراقيين اعتقدوا أن هؤلاء الجنود قد أرسلوا عبر الحدود لخلق حادثة تبرر هجوماً بريطانياً.

في الوقت الذي جرى فيه إنزال القطعات البريطانية في الكويت طلبنا القيام بنوع من الدعاية لتغطية تحشد القوات البريطانية لأن الضباط العراقيين كانوا يقولون لنا إن حجم القطعات البريطانية في الكويت ضئيل وإننا غير جادين في الموضوع بشكل واضح. وظهر أن الموقف المطلوب هو كما لو أن تضع الجيش البريطاني كله والقوة الجوية كلها في الكويت لكي تزيد من حالة القلق العراقي، وقد يكون ذلك أمراً خطراً للبريطانيين في العراق. ولذلك طلبنا مرة أخرى التقليل من الدعاية وإظهار حجم القطعات البريطانية بدرجة أقل، وإظهار الانطباع الحقيقي عن حجم القطعات التي لا تحمل الطابع العدواني. وظل قاسم متمسكاً بأدعائه ومكرراً بشكل مضجر أن ليس لديه نية لأستخدام القوة. لقد حاول أن يضعف الدعم العربي للكويت ولكنه فشل

في ذلك عندما صدر القرار بقبول الكويت عضواً في الجامعة العربية وارسال قوة عربية إلى الكويت لتحل محل القوة البريطانية.

خلال الاحتفالات بالذكرى السنوية الثالثة للثورة، كان قاسم منشغلاً بشن هجمات عنيفة ضد البريطانيين. وهاجم الدول العربية الأخرى لأنها انخدعت بأضاليل البريطانيين. وكان يتحدث ساعات عدة بشأن ادعائه. ولأي وفد يزوره، وفي إحدى الأمسيات أبقى ألفي شخص ينتظرون لمدة ساعتين في حين كان يشرح موقفه من الكويت لبعض الزائرين الباكستانيين. بقيت بعيداً عن معظم الاحتفالات لكنني حضرت افتتاح مشروع توسيع مصفاة النفط في بغداد الذي أنجز من شركة بريطانية، وهي حقيقة لم تذكر ولو لمرة واحدة خلال التحدث عن توسيع هذه المصفاة. ابتدأ قاسم خطابه المسهب الاعتيادي ضد البريطانيين، ولم أكن أرغب بتوفير حالة الارتياح له ومغادرة مكان الاحتفال احتجاجاً على تعرضه ضد البريطانيين، ورأيت أن من الأفضل عدم اتخاذ أقواله محمل الجد. ولكنني بعد الاحتفال قلت له (سيادة رئيس الوزراء، إنك غضبان جداً معنا. ألا ترى أنه حان الوقت لأن نتحدث في الموضوع ؟). وفي اليوم التالي طلب أن أقابله، وكان ودوداً وهو يشرح ادعاءه بشيء من التفصيل ومستشهداً بالوثائق والخرائط المؤيدة لأقواله كطفل يعرض لعبه الجديدة.

وقلت إنه كان من المفروض أنه يعرف ماذا يقول للناس في بغداد. إن ما يدور من حديث بين أهل بغداد أنه هو وأنا قد أعددنا طبخة

الكويت سوية. وأجاب عن ذلك بأن العراقيين أذكياء جداً في التوصل إلى ما هو مخفي تحت الغطاء. وقلت له إننا لم نهدد العراق ولكننا وفينا بألتزامنا تجاه حاكم الكويت. وهدد قاسم بأننا إذا لم نغيّر موقفنا فسوف تتضرر المصالح البريطانية. واستمر حديثنا لمدة ساعتين وظل السفير اليوغسلافي ينتظر لمدة ساعتين كي يقابله مودعاً إياه لانتهاء مهام عمله في بغداد. في هذا الوقت كان قاسم يتحدث عن الحدود العراقية بأنها تمتد من شمال زاخو (على الحدود التركية) إلى جنوب الكويت. ويبدو مما يتحدث به هو ووزير خارجيته إلى الزائرين أن العراقيين لا يدعون بالكويت فقط وانما بالمنطقة التي أعطيت أيضاً للسعوديين استناداً الى قرار بيرسي كوكس سنة ١٩٢٢ وربما حتى في بعض حقول (ارامكو) النفطية في المناطق الساحلية السعودية. ويبدو كما لو أن لديهم طموحات غامضة للاستيلاء على الخليج عندما يغادروه البريطانيون. وكان وزير الخارجية يعارض اسلوب قاسم في السعي الى تحقيق ادعائه بالكويت، وقد قال لصديق عراقي إن لدى قاسم مائة وثيقة للبرهنة على ادعائه بالكويت، ولكن ليس أيّ من هذه الوثائق مفيداً لأدعائه. واعترف لي أحد الكبار المسؤولين في الوزارة بأن ادعاءه مليء بالثغرات، ولدينا دلائل بأن خطة الوزارة نفسها كانت تتضمن إحياء مطالبة نوري السعيد بالقسم الشمالي من الأراضي الكويتية على أساس جغرافي وليس تاريخياً. وقد أكد وزير الخارجية أنه سيستقيل إذا ما استخدمت القوة. وأكد لي أننا كان يجب أن نتوقع رد فعل قاسم تجاه الاتفاقية متجاهلين تصريحه

السابق، وأجبت أن هذه الفوضى كلها سببها عدم اتباع العراق سياسة مفتوحة بل سياسة الكتمان والتآمر.

لقد شوه قاسم جهود وزارة الخارجية لتحسين علاقات العراق مع الدول العربية الأخرى والعمل على تعزيز التعاون العربي الداخلي العام وتقدمه. وقد قام الوزير بمبادرة تجاه استئناف العلاقات مع الأردن. ونجح في إقناع الجامعة العربية لعقد اجتماع في بغداد للّجنة السياسية للجامعة العربية حضرها الدكتور محمود فوزي وزير خارجية الجمهورية العربية المتحدة بوصفه أول مسؤول مصري يزور العراق لسنوات ماضية عدة، وحضرها أيضاً وزير خارجية تونس التي رفضت حضور اجتماعات مجلس الجامعة العربية منذ ان اتهم بورقيبة عبد الناصر بمحاولة اغتياله. وتمكن أيضا من إحراز بعض التقدم الحقيقي في مجال تعزيز التعاون الاقتصادي العربي على أساس من المساواة. وقد تعرض لهجوم مصري موجه بشكل رسمي إلى حد القول إنه تحت التأثير الإمبريالي تمكنت الهاشمية الأردنية والانتهازية القاسمية من إضعاف حيوية السياسة العربية (أي سياسة عبد الناصر) وقوتها، وقد أصيبت هذه السياسة بالإفلاس. الدول العربية عارضت العراق في ما يتعلق بقضية الكويت، وكان البريطانيون على وشك الانسحاب خلف درع عربي، ولم يكن باستطاعة العراق أن يعمل أكثر من أن يغيّب نفسه عن اجتماعات الجامعة العربية. وتبدد حلم وزير الخارجية (العراقي) في بناء كومنولث (رابطة الشعوب العربية) ولم يعد ذلك

سياسة عملية. وقد جلبت الكويت إلى المقدمة المنازعات جميعها في المصالح في ما يخص الدول العربية، وأظهرت بشكل مقنع تفكك العرب مرة أخرى.

لقد تغيّر موقف قاسم الآن الى استياء مرير برز من خلال الإحباط الذي أصيبت به خططه. وفي آب لدى عودتي من قضاء بضعة أيام في لندن، سلمت قاسماً رسالة (من الحكومة البريطانية) أُرسلت له بناء على اقتراحي، كررت رغبتنا بإقامة علاقات ودية مع العراق، ومؤكدة عدم وجود أي تهديد للعراق من القوات البريطانية الموجودة في الكويت. وكان يوما سيئاً لقاسم عندما أذاعت في الصباح ذلك اليوم الاخبار بأن القوة العربية الموجهة للكويت، والتي حامت حولها الكثير من الشكوك سوف تتشكل بالتأكيد. وهذا الإجراء قضى على آخر أمل لقاسم الذي كان يتصوّر أن التراجع البريطاني لن تستره الجامعة العربية وأن البريطانيين سيجدون أن الصعوبات تزداد أمامهم في القرار على البقاء والانسحاب. ورد قاسم على الرسالة قائلاً إن البريطانيين قد طعنوا العراق من الخلف وإن كل إجراء اتخذته الحكومة البريطانية منذ الثورة في ما يخص العراق كان إجراءً عدائياً. والآن لا يمكنني الاستمرار في التباحث معه، وواصلت محادثاتي مع وزير الخارجية. لقد أراد إجراء مباحثات عراقية- بريطانية بشأن الكويت، وأجبته أن المباحثات يمكن أن تجري فقط بين العراق والكويت المستقلة، وإننا لن نشارك في مثل هذا الموضوع مادام قاسم مصراً على ادعائه بالكويت. الأردنيون الذين

كان موقفهم مائعاً لأنهم كانوا ينظرون إلى العراق ليسندهم ضد عبد الناصر، ولأنهم يفكرون دائماً بمشروع (الهلال الخصيب)، اقترحوا الآن إقامة اتحاد بين العراق والأردن والكويت. رفض العراقيون التفكير بهذا المقترح. ولذلك تحول الأردنيون إلى دعم الكويت، ولاسيما أن عبد الناصر أظهر دلائل تشير إلى رغبته في إنقاذ الموقف وربما بأمل الحصول على قرض من الكويت مقابل الدعم المصري لها. وظلّ الموقف السياسي المتأزم قائماً.

لم يظهر الشعب العراقي أنه معني بالأمر، ولم تظهر مظاهرات لإسناد قاسم. لقد كانت حركة قاسم إخفاقاً تاماً، وبفشلها خسر مكانته في الداخل. ولو أنه نجح في قضية الكويت لكان كل عراقي يسانده. والآن تأكد لدى العراقيين أنه كان أحمق. كان علينا أن نظهر أن لدينا رادعا مؤثراً تجاه قاسم، ولكن في الوقت نفسه نظهر أن النزاع هو نزاع عربي داخلي. وكالعادة، فإن وضع قطعات عسكرية في بلد أمر ليس صعباً جداً، ولكن المعضلة كانت في إخراجهم من ذلك البلد مرة أخرى. وفي لندن قال المسؤولون البريطانيون إن القوة العربية لن تكون قوية بما يكفي لكي تكون رادعاً للعراقيين. وفي بغداد كنا نعتقد أن الرادع السياسي كان قوياً بما يكفي وسيكون أمراً مهلكاً لنا إذا رفضنا القوة العربية وأبقينا قواتنا هناك. وقد حسم حاكم الكويت هذه المسألة بنفسه بأن جعل الأمر واضحا، إذ أراد الردع العربي وليس الردع البريطاني أن يبقى في الكويت. وبعد ذلك جرى التأكيد على أنه ينبغي علينا أن نقوم بترتيبات صريحة لعودة قواتنا إلى الكويت في حالة الحاجة إليها،

وأن نؤكد بشكل علني استعدادنا لتقديم المساعدة إلى الحاكم إذا ما طلب منا القيام بذلك مشيرين إلى هذا الاستعداد بوصفه رداً على سؤال بشأن الحاجة إلى تنامي قواتنا في البحرين. ولكن العراقيين كانوا يعرفون جيداً حجم قواتنا الموجودة في البحرين، ولم يكن من الحكمة أن نعلن أنّ للقوة العربية قوة بريطانية ساندة لها لأن ذلك ربما يثير طلباً بإلغاء الاتفاقية (الانكلو- كويتية) الجديدة بوصفها شرطاً لإنشاء القوة العربية.

لقد تغلبنا على هذه الصعاب، القطعات البريطانية غادرت الكويت وحلّت محلها القوة العربية وابتدأ الكويتيون بإنشاء قوتهم بمساعدة بريطانية. وفي عيد الميلاد ١٩٦١ بعد أن غادرتُ العراق، استنفرت القوات البريطانية بسبب انتشار إشاعة مفادها أن العراق سيهاجم الكويت، ولكن ثبت عدم صحة تلك الإشاعة. ولذلك فقد خرجنا من الكويت بشكل سليم يدعو إلى الاستغراب لأن المصالح العربية كانت متضاربة فيما بينها، وعندما دخلت القوات البريطانية الكويت قال لي السفير السوفيتي بنوع من التشفي: لقد كنتم حمقى جداً وربما أصبح العرب جميعهم ضدكم. لم يكن السفير السوفيتي على صواب. وفي ذلك الخريف جادل السيد (زورين) – الممثل السوفيتي في الأمم المتحدة – بشكل عنيف بأن الكويت لا يمكن أن تصبح عضواً في هيئة الأمم لأنه ليس لها حق المطالبة لكي تكون دولة. وبعد مرور سنتين كان لي زميل كويتي في موسكو (أي سفير كويتي في موسكو).

إن إحدى الشعارات التي طرحتها ثورة تموز هو توحيد العرب الأكراد تحت راية النظام الجديد. وخلال الأشهر القليلة الأولى للثورة

سمح للقائد الكردي المشهور (الملا مصطفى البارزاني) بالعودة إلى العراق، والذي كان لسنوات عدة ثائراً ضد الحكومة العراقية، وكان قد هرب سنة ١٩٤٧ إلى الاتحاد السوفيتي. وفي الوقت نفسه أطلق سراح أخيه الأكبر الشيخ أحمد زعيم العشيرة، أطلق سراحه من التوقيف في البصرة. وعاد مع الملا مصطفى مئات من البرزانيين إلى ديارهم القديمة (في شمال العراق)، إذ أعادت الحكومة إسكانهم، وأعطي للملا مصطفى داراً وسيارة في بغداد، وحصل هو وأخوه وعوائلهم على منح سخية من الحكومة . وأصبح الملا مصطفى رئيساً للحزب الديمقراطي الكردستاني ذي الاتجاه اليساري وانضم إليه بعض الشيوعيين والانتهازيين بوصفهم اعضاء في الحزب. وكان الحزب يدعو إلى حكم ذاتي وثقافي واداري لكردستان بما يتفق وتصريحات الحكومات العراقية المتعاقبة منذ دخول العراق بوصفه عضواً في عصبة الأمم المتحدة حتى الأيام المبكرة بعد قيام الثورة. وفي أوائل ١٩٦٠ منح حزب البارت (كما أصبح يعرف بهذا الاسم) إجازة ليعمل بشكل علني ورسمي. وقد تضمن الإعلان الأول للحزب عدداً من الفقرات المتطرفة، والتي تهاجم تركيا وإيران. وقد حذف قاسم فقرات عدة من هذا البيان وأجاز الحزب على أساس ما كان يريده هو. كان واضحاً تماماً في ذلك الوقت أن البرزانيين لن يستقروا في أراضيهم بحالة سليمة، فقد أصبحوا منشغلين بقتال متقطع مع جيرانهم الزيباريين والبرادوست. وعندما أجيز الحزب قررت أن أقابل ملا مصطفى بوصفه زعيم الحزب وكنت متلهفاً للالتقاء

به. وكان أخوه الشيخ احمد حاضراً، وكان هو الذي يسيطر على إدارة المناقشة وقد اتخذ الملا مصطفى موقفاً يحترم فيه أراء أخيه. ومن الواضح كان الشيخ يفكر بعقلية عام ١٩٢٠، فقد أسهب طويلاً في الحديث عن علاقاته مع الحكام البريطانيين في الموصل خلال مدة الانتداب، ولم يتركني في أي شك من أنه يعد الحكومة البريطانية عدوه الرئيس. وبعد تلك الزيارة بوقت قصير، قام الملا مصطفى برد الزيارة وتقديم التماس من أخيه الشيخ احمد بأن أرسل رسالة له تتضمن تأكيداً على أن تكون الحكومة البريطانية ودية في تعاملها مع البرزانيين. وقلت له يبدو أن الشيخ أحمد لا يدرك أن الانتداب قد انتهى، وإن أقصى ما أستطيع أن أعده هو أن أكتب رسالة مشيراً فيها الى أن العراق دولة مستقلة، وإننا ودودون وأصدقاء مع العراقيين جميعاً ومن ضمنهم البرزانيين ويمكن أن تكون لنا علاقات معهم من خلال الحكومة العراقية. وقال الملا مصطفى إنه كان يدرك أن ذلك هو جوابي ولكنه كان ملتزماً بإمرار طلب أخيه.

رويت هذه الحادثة إلى وزير الخارجية لكي أحول دون حدوث ما يسيء الفهم. فالمخابرات العراقية قد تقوم بالإخبار عن هذه الزيارة. وقال ليس من مصلحة بريطانيا أن تكتب رسالة إلى (لندن) بهذه المطاليب. وأدركت لاحقاً أنه كان مصيباً. إن كتابة أي رسالة يمكن أن تستخدم لإثارة المتاعب. وقام الملا مصطفى بزيارتي مرة أخرى وأخبرته نهائياً بأنني لا أستطيع كتابة رسالة من هذا النوع . وأبدى

شكاوى عدة ضد الحكومة العراقية ولكنني لم أقم بامرارها إلى لندن. قال إن الزيباريين يهاجمون البرزانيين وإن الاثوريين تحت حمايتهم يحرقون بيوتهم ويأخذون مواشيهم. والشرطة لا تساعد البارزانيين الذين كانوا ممتعضين من تصرفات الحكومة العراقية . وفي اجتماع ميثاق بغداد في أنقرة، قام الممثل البريطاني بإخبار الإيرانيين والأتراك بأنني قمت بزيارة الملا مصطفى. لم يكن الايرانيون معنيين بالأمر ولكن الأتراك لم يكونوا مرتاحين لذلك، وأرسلوا سفيرهم في لندن ليسأل عن سبب زيارتي للملا، إذ أنهم لم يصدقوا أبداً أن ذلك كان لمجرد حب الاستطلاع .

أخذ قاسم يفرق بين الأكراد وذلك باستخدام أحد القادة الأكراد ضد الآخر، وأخذ يغدق بالأسلحة والأموال على العشائر الكردية المتنازعة فيما بينها. ولاقت سياسته المألوفة هذه فشلاً ذريعاً. وفي خريف ١٩٦٠ قام الملا مصطفى بزيارة إلى الاتحاد السوفيتي بوصفه ضيفا على الحكومة السوفيتية. وبعد عودته بدأت العلاقات مع البارزانيين والحكومة بالتدهور. وازداد التوتر في كردستان بعد مقتل أحد رؤساء العشائر الكردية* بحجة أن ذلك قد تم بناء على أوامر من الملا مصطفى، وانسحب الملا مصطفى وأخوه احمد إلى الجبال. ولم تتوصل المحاولات المبذولة إلى تسوية موفقة. واتخذت الحكومة إجراء ضد الحزب الكردي. وفي أوائل صيف ١٩٦١ أندلع القتال بمقياس واسع

---

* هو المرحوم الشيخ أحمد الزيباري رئيس عشائر الزيباريين. (المترجم)

بين البارزانيين والزيباريين بإحراق قرى الزيباريين، وتمكن البرزانيون من السيطرة على القسم الشمالي – الغربي من كردستان. والتجأ الكثير من رجال العشائر إلى تركيا وإيران، وبدا الموقف وكأنه قد افلت من السيطرة. وعزز قاسم من قوة الشرطة والحاميات العسكرية، ولكنه رفض السماح للجيش بالتدخل، أملاً على ما يبدو أنه يستطيع أن يستعيد حالة السلم بمجرد التظاهر بقوته من دون استخدامها. وانظم الجناح اليميني (آغاس Aghas) في شرق كردستان إلى البرزانيين. وفي نهاية تموز جوبه قاسم بشيء قريب من ثورة كردية على نطاق واسع من زاخو إلى الشمال الغربي من حلبجة في الشرق على الحدود الإيرانية.

لم يحقق الأكراد ما كانوا يصبون إليه، إذ أرهقوا أنفسهم من دون التوصل إلى أهدافهم. ونزلوا من أعلى الجبال واقاموا متاريس لقطع الطرق الرئيسة في السهول، وهددوا تقدم العمل في مشروع دربندخان. والتحق عدد من الجنود والشرطة الكردية مع المتمردين. و قد كان قاسم ينتظر إبعاد الأكراد عن الوحدات المراد استخدامها ضد المتمردين. وقرر أخيراً اتخاذ إجراء قاسٍ ونفذه من دون رحمة. خلال عشرة أيام تقريباً انسحب الأكراد إلى أعالي الجبال. وباستخدام الصواريخ والطائرات القاصفة أخذ يهاجم أي شي يتحرك على الطرق الجبلية، ولمدة من الزمن ظل المسلحون غير النظاميين والشرطة في منطقة زاخو – الاحمدية في الشمال الغربي يواجهون صعوبات قاسية إلا أن القطعات النظامية استطاعت وبسرعة استعادة الموقف على الطرق وفي المدن والقرى التي دمر البعض منها بالكامل وتعرضت للقصف الجوي

الشديد، وأظهر الشيخ احمد خضوعاً ظاهرياً للسلطة، وربما كان يتوخى من ذلك إنقاذ العوائل البرزانية من الأكراد المسلمين غير النظاميين (الفرسان) الذين كانت الحكومة تستخدمهم ضد البرزانيين، ولكن الملا مصطفى انسحب إلى منطقة جبلية وعرة واستمر بعملياته ضد القوات الحكومية. في بغداد اعترفت الحكومة أخيراً بوجود التمرد الكردي.

وبالطبع لم يقر قاسم بأنه هو الملام بدرجة كبيرة. ولذلك فإنه ألقى باللائمة على البريطانيين الذين أفسدوا لعبته في الكويت. ومن الممكن أنه اعتقد فعلاً أن للبريطانيين يداً في إثارة الأكراد ضده، و لاسيما أن ذلك قد تزامن مع استبدال القوات البريطانية في الكويت بقوات عربية ومع الأزمة التي نشأت في مباحثات شركة نفط العراق. وقد اتهمت الصحافة العراقية (الرسمية) البريطانيين بإثارة الأكراد. وعقد قاسم مؤتمراً صحفياً اتهم فيه السفارة البريطانية بإرسال مبلغ قدره (٥٠٠٠٠٠) باون لدعم الثورة الكردية مستشهداً بمقتطفات من رسائل قديمة متبادلة بين الضباط السياسيين البريطانيين والملا مصطفى بوصفها دليلاً على الاتصالات الخيانية البريطانية معه. وقد أشرت إلى إحدى تأكيدات قاسم الشديدة بأن الملا مصطفى كان ضيفاً على الحكومة السوفيتية لسنوات عدة وأنه من وقت قريب قام بزيارة لموسكو مرة أخرى. فأجاب (نعم ولكنه ذهب إلى هناك بوصفه عميلاً بريطانياً، وهكذا برأ قاسم الحكومة السوفيتية من أي دور في الثورة (الكردية). وكما اعتقد فإن ذلك أمر صحيح لأن التمرد الكردي لا يخدم مصالح السوفيت.

قدمت احتجاجاً ورفض الاحتجاج بلهجة معتدلة نسبياً وأغلقت الحادثة. وقد وجدت شخصاً واحداً فقط صدق الاتهام. بعد مرور شهر على اتهام قاسم السفارة البريطانية، كان علي أن أغادر العراق لإجراء عملية جراحية. وعادت الحكومة العراقية إلى ممارساتها الدبلوماسية التي كانت قد توقفت عنها منذ الأيام المبكرة للثورة. وبدلاً عن إقامة حفلة كوكتيل اعتيادية لي في قصر الضيافة من الدرجة الثانية فإنها أقامت لي حفل عشاء في القاعة الرئيسة المعدة للاستقبالات. وكان قاسم ووزراؤه وكبار الموظفين المدنيين والضباط العسكريين حاضرين في هذا الحفل. وكان قاسم ودوداً جداً. وقال لي كم هو يقدر عملي بوصفي سفيراً وعلاقاتي الشخصية مع الحكومة. وقد اختفت الـ(٥٠٠٠٠٠) باون في ذلك الجو اللطيف ولم يجر التطرق إليها. وكان السواقون ورجال الشرطة يتحدثون خارج القاعة. وقال أحد السواقين (إنني لا أفهم ذلك. إن عبد الكريم قاسم يقول إن البريطانيين سيؤون والسفير البريطاني انسان سيئ. والان قاسم يقيم حفلاً للسفير)، وقال آخر: (ولكنك تعرف أن عبد الكريم قاسم يعمل لصالح البريطانيين). وتدخل رجل الشرطة قائلاً: (من دون البريطانيين، عبد الكريم قاسم لا شيء) وعند استدعاء السيارات أضاف سائق سيارتي قائلاً: (تعال يا أبا السفارات جميعها).

هكذا انتهت المدة المقررة لي في العراق على وفق النمط العراقي الدارج. لقد كان الاعتقاد منتشراً بشكل واسع في كون قاسم قد كان يستشيرني قبل أي اجتماع لمجلس الوزراء، وأنه كان علينا أن نعمل

بجد لإقناع أصدقائنا القوميين بأن ذلك عار عن الصحة تماماً، ولو أنه فعلاً قام بذلك لكانت سياسته اكثر عقلانية. وكان المصريون يؤكدون أننا نسانده وأننا كنا نعمل مع الشيوعيين ضد عبد الناصر. واعتقد قاسم أننا كنا مهتمين بالتآمر لقتله، وأنه قال إننا قمنا بتصعيد التمرد الكردي ضده. ولذلك لم يكن أمراً مباغتا أن أسمع من صديق أمريكي بعد مرور أشهر عدة عندما أعلن عن تعييني بمنصبي الجديد في موسكو، أن أحد العراقيين الذي غالباً ماكان يقترح عليه النظرية المتضمنة أن البريطانيين كانوا يحاولون القضاء على التأثير أو النفوذ الأمريكي في العراق، رأى في هذا التأكيد الواضح أنني كنت أعمل مع الشيوعيين. إن بعض العرب يصدقون أي شيء.

في شباط ١٩٦٣ لاقى قاسم حتفه المروع بعد أن تعرض لهجوم وانقضاض عنيف وهو في حصنه المنيع في وزارة الدفاع. ومن على شاشة التلفزيون ظهر رأسه المدمى ليراه الشعب الذي طالما اعتقد أنه يحبه. لقد قضى على الهاشميين الذين كان بإمكانهم أن يحققوا الاستقرار في العراق... إنه لم يقدم أي شيء للعراق سوى سلسلة متعاقبة من الحكام غير المتوازنين الذين حافظوا على سلطتهم بالدكتاتورية العسكرية. لقد كان العراق دائماً بلداً مثيراً* للمتاعب. إنه بلد يصعب

---

* كان رأي السياسة البريطانية الاستعلائية والمستعمرة للعراق في ذلك الوقت في أي ثورة وطنية تهدف إلى طرد البريطانيين من العراق بأنه بلد مثير للمشاكل، كما هو اتجاه السياسة الأمريكية الآن.

حكمه، وربما كان السياسي العربي مصيباً عندما قال لي إن رجلين فقط نجحا في حكم العراق، الحجاج والي العراق من الخليفة الأموي الثالث** الذي ذبح الناس يوم الجمعة في المسجد، ونوري السعيد الذي أصبح طاعناً في السن وغير مبالٍ ولذلك سقط. لكن. مع هذا الجو المليء بالغبار والحرارة العالية والعنف، قلما نجد شخصاً إنكليزيا عمل في العراق لم يتوصل إلى الشعور بتعاطف حقيقي مع أبناء الشعب العراقي الكرماء الودودين، ومن بين هؤلاء الإنكليز عائلتي وأنا إذ وجدنا بعضاً من أخلص الأصدقاء لنا في العراق.

** وقع تريفليان في خطأ، فالحجاج الثقفي ولي العراق للخليفة عبد الملك بن مروان وهو الخليفة الخامس وليس الثالث (معاوية، ويزيد، ومعاوية الثاني، ومروان الأول، وعبد الملك).

القسم الثاني

ما يخص العراق في مذكرات سام فول

السكرتير الشرقي في السفارة البريطانية — بغداد

١٩٥٧- ١٩٦١

التي صدرت بعنوان

(حياتي السعيدة في الحرب والثورة والسلاح والدبلوماسية)

((مهمة مثيرة))

كنت جالساً في مكتبي في أحد أيام شهر أيلول من عام ١٩٥٧، ولـم أؤذ أي شخص عندما رن جرس التليفـون، وكان علـى الطـرف الثاني صـوت (جـون هينكـر Henniker) المـرح رئيس إدارة الأشخاص، إذ دعاني لزيارته في دائرته فـي (كارلتون هـاوس تيـرس Carlton House Terrace) عبر متنزه (سنت جيمس بارك). لم يكن (جون) من الأشخاص الذين يبددون وقتهم أو وقت غيرهم، ولذلك يجب أن يكون هناك شيء مهياً، ربما منصب جديد لي. لقد كان مديراً للأشخاص من النوع المتعاطف جداً مع من يعمل بإمرته، وخبيراً في وضع الأشخاص في مكان يبعث على الاطمئنان. وواقعياً أن المناصب الرفيعة كانت دائماً توحي بنوع من التحدي وهي فرصة لكي تعطي للمرء سمعة وغير ذلك. ولكن (جون) كان يطرح مثل هذه المهام بشكل يتسم بالذوق وسماحة النفس. وكنا نعرف انه لا يمكننا أن نذهب جميعاً إلى باريس أو فينا أو واشنطـن.

لقد حيّاني (جـون) بطريقته الودودة المعتادة ودخل فـي الموضـوع مباشرة "هل ترغب فـي تسلم الواجب من ديك بومنـت (Dick Beaumont) في بغداد بوصفك قنصلاً شرقياً؟". كان ذلك المنصب بالتأكيد مثيراً للتحدي وهو مشابه للواجب الذي قمت به في طهران، باستثناء أن اللغة هي اللغة العربية في بغداد. قلت له انني أرغب أن اناقش الموضوع مع زوجتي. وبعد ذلك أضاف (هينكر) أن ذلك مجرد استطلاع أولي وانه يريد أيضاً أن يستشير السفير في بغداد

الموجود صدفة انذاك في لندن. ومما لاشك فيه انني سانتظر من السيد (مايكل رايت Michael Wright) اتصالاً هاتفياً بعد برهة وجيزة.

بعد عودتي إلى (برود برج هيث) لم تكن (ميريت Merete) فرحة جداً بفكرة المغادرة على عجل إلى بغداد. فالأطفال قد استقروا بشكل جيد في المدرسة وكنا مرتاحين على وجه العموم. ولكنك إذا ما التحقت بالخدمة الخارجية أو سلك الخارجية فعليك أن تتقبل ما هو غير متوقع عادة، ويبدو أن المنصب ممتع ويبعث على الارتياح والتقدير، لان (ديك) صديق قديم لي منذ تعييني الأول في وزارة الخارجية وكان يكبرني سناً أعلى رتبة. وقد أصبح في وقت لاحق سفيراً في الرباط وفي بغداد والقاهرة. لقد كان رجلاً ليس من السهل تسلم وظيفة منه ومواصلة العمل بعده. كانت (ميريت) امرأة شجاعة وواقعية. وهي بعد ذلك كله قد تزوجت شخصا بحاراً أكثر تجوالاً منه دبلوماسياً. لقد هيانا انفسنا ذهنياً للذهاب إلى بغداد ولكن كانت أمامنا ضروب من الانشطة والفعاليات غير المتوقعة الهازلة والخالية من الهموم.

وبعد بضعة أيام دق جرس التلفون في مكتبي: ((هذا هو السير مايكل رايت، السفير في بغداد. لقد سمعت أن هناك احتمالاً ضئيلاً بذهابك الى بغداد (احتمال ضئيل – يالها من طريقة لطرح الموضوع، ولكن ظهر فيما بعد انها دقيقة تماماً). هل ترغبان انت وزوجتك في تناول طعام الغداء معي وزوجتي يوم الثلاثاء المقبل في (بيركلي Berkleley) ؟)). وتلك بالطبع كانت بمثابة مقابلة لكلينا (انا

وزوجتي) ولكن الطريقة كانت جميلة لتنفيذ هذه المقابلة، وأجبت باننا سنكون مسرورين.

وتقبلت (ميريت) الدعوة بشكل مرضٍ، وسمح لي رئيس دائرتي اللطيف بإجازة عصر الثلاثاء المصيري، لكي يكون باستطاعتي أن ألطف الجو بتوفير فسحة لـــ (ميريت) في المدينة بعد تناول الغداء.

انه سيئ بدرجة كافية أن تقابل من أجل عمل، ولكن الصعوبة أن إجراء مقابلة من أجل الحصول على أمر يبعث على القلق والشعور بعدم الارتياح، ومما يزيد الأمر صعوبة أن زوجة ذلك الشخص السيىء الطالع (المعني بالمقابلة) هي الأخرى تخضع لهذا النوع من الاختبار. في سنة ١٩٥٧ كانت أسماء الزوجات ترد في التقارير السرية المرفوعة عن الموظفين، ولكن الخدمة الدبلوماسية لم تعد تحبذ ذلك، وانا مسرور لهذا الإجراء. ولا يسمح لزوجات الدبلوماسيين المعنيين في الخارج بالاشتغال، ولكن في الحقيقة كن يعملن في السفارة ويبقين رهن إشارتها، وحسب دعوة زوجة السفير. لذلك فان وجود (ميريت) في وجبة الغذاء لم يكن لمجرد المجاملة فقط، بل بالعكس كانت هي جزءاً من المقابلة.

وكانت تلك الثلاثاء فجر البداية. التقيت بـــ (ميريت) في محطة فيكتوريا وهي تشبه مليون دولار، وتحركنا إلى (بيركلي) واعتقدت انه إذا كان لـــ (رايت) أي تقدير للجمال الانثوي فانني سأحصل على المنصب ما لم تضع زوجته عرقلة. وصلنا إلى ذلك المطعم الانيق في الوقت المناسب والتقينا بـــ (رايت وزوجته). وكان ذلك اللقاء فيما يتعلق

بي يمثل إحدى لحظات الحياة المثيرة التي لا يمكن نسيانها عندما استعيد الأحداث الماضية والتأمل فيها. كان (مايكل رايت) لطيفاً ومتحفظاً وجدياً في حديثه وتبدو عليه الشدة في نظراته،ولم يجعلنا نشعر بحالة من الاطمئنان أبداً، وشعرت يقيناً أن هذه المقابلة ستكون دقيقة وتتطلب نوعاً من البراعة. وتأكد لي (من خلال الحديث) انه لم يشعر بالارتياح نحوي، وقد أثبتت الأيام فيما بعد صواب رأيي. وأما زوجته فكانت مختلفة تماما؛ كانت جميلة وجذابة، أمريكية المولد، ودودة ومنبسطة. واكتشفنا لاحقاً انها السيدة التي تحظى باحترام الآخرين، وان علاقتها كانت ودية مع زوجات موظفي السفارة، وانها تتمتع بحسن الفهم والتقدير كمن يود أن يؤدي دور السيدة الجليلة. وبدأت تميل إلى (ميريت) وتواجهها بجرأة.

وكان هناك ضيف آخر لتناول الغداء هو (يوسف الكيلاني) وكيل الوزارة في وزارة الخارجية العراقية. وكان رجلاً ذكياً يبعث على الارتياح. ومع ذلك، فان وجوده في هذا اللقاء سبب لي كارثة أو تحطيماً لآمالي، فقد قلت له بعض الكلمات باللغة العربية. ودار الحديث بيني وبينه أمام السير (مايكل رايت) الذي يجهل اللغة العربية تماماً. انه ليس غذاءً وصار الأمر واضحا بشكل مباشر، كان شعر رأس الكيلاني أشيب ونظراته تبعث على الارتياح بينما كنت انا غير ذلك. وكان انطباع (رايت) عني اني لم أكن الشخص المناسب لأخلف المستشار الشرقي لسفارتنا في العراق (ديك بومنت Dick Beaument). وكانت

زوجتي (ميريت) انيقة وجميلة ومعتنية بهندامها وملابسها، ومع هذا كله لم تجذب اهتمام السير (رايت)، على عكس زوجته التي انسجمت مع زوجتي وكانت محط اهتمامها كما انسجمت معي أيضاً وأولتني عنايتها ورعايتها. وكنت انا وزوجتي فرحين وذلك للوفاء بوعدي لزوجتي بان نذهب للتسوق بعد تلك الحفلة الجافة. هذه المقابلة جعلتني انا وزوجتي لا نأسف ولا نذرف الدموع إذا لم أعين في بغداد. في صباح اليوم التالي اتصل بي تلفونيا (جون هينكر John Henniker) وقال: "يعتقد مايكل رايت انك ما زلت شاباً يافعاً وتبدو وكانك طالب مدرسة إلى جانب (الكيلاني)، تفضل لمقابلتي".

كان (هينكر) ودوداً جداً معي وسألني عما إذا كنت أرغب في الخدمة في أي مكان آخر؟ واقترحت في واشنطن، ولكنه لم يوافق وقال أن مجال عملك هو في مكتب الشرق الأوسط. وشعرت عندئذ أن مايكل رايت قد قلل من أهميتي واني لأرجو أن لا يكون ذلك لسبب شخصي. كان قصد السفير أن يبقى منصب المستشار الشرقي في سفارتنا ببغداد شاغراً لبعض الوقت حتى يتسنى اختيار الشخص المناسب. وعلى أية حال فقد شعرت بالفعل اني لم أكن محبوباً ولا مرغوباً للعمل معه. وبعد أن عدت إلى (برودبرج هيث Broadbridg Heath)، إذ كان فصل الخريف الجميل في (Sussex) جميلاً ورائعاً وعدت إلى مكتبي للعمل في مجال النفط، وهو عمل روتيني خال من الأزمات. وفي نهاية تشرين الأول كلمني (جون هينكر) ثانية قائلاً: (سام احزم حقائبك)،

فأجبته إلـــى أين؟ فقال: (إلى بغـــداد). فرددت عليـــه (لاشك انـــك تمزح) فقال: (تعال لمقابلتي). وهكذا ذهبت إلـــى (كارلتـــون هـــاوس تيـــرس Carlton House Terrace)، واستقبلني كالعادة جون هينكر ذو الابتسامة العريضة، وقال لي: (بعد أن رفضك مايكل رايت قد عرض المنصب الى شخص مستعرب آخر له إلمام كاف بالمنطقة العربية وهو أعلى رتبة منك، ولكن رايت رفضه أيضاً، واخيراً استقر الرأي عليك). وكان رد فعلي المباشر (الاني) هو الرفض، إذ كنت مخيراً بين قبول المنصب وبين رفضه. وكان (هينكر) يتوقع الرفض، إلا انه أقنعني أن أعيد التفكير في الموضوع مرة أخرى. وكانت (ميريت) أقل ارتياحاً مني. وقد أخذت مشورة معاوني (بول غوربوث Paul Gore Booth) وهو رجل ليبرالي ذو ثقافة نيرة ويبعث على الارتياح، وقد عبر عن ثقته فيّ، وحثني على عدم رفض ما يراه تحدياً مثيراً جداً كما عبر عن إمكانيتي في أن أظهر لـــ (رايت) قدرتي للقيام بهذا الواجب، وكان متأكداً انني سوف اظهر لرايت انني أقدر على العمل، إذ قال لي: ((في الحقيقة أن مايكل رايت رجل لطيف جداً، إلا انه يتميز بقليل من التحكم والإصرار)).

وبعد إجراء مشاورات أخرى مع زوجتي التي عانت معي طويلاً قبلت المنصب. ومما زاد في مضايقتي وإزعاجي فعلاً أن (رايت) طلب مني المجيء إلى (بغداد) فوراً لأتسلم الواجب من (ديك بومنت). أن قبولي بالعمل مع (رايت) يعني أن أبذل ما أستطيع من جهد ووقت من

أجل منصبي الجديد. وهذا يعني أن انطلق بمفردي جواً وبسرعة إلى بغداد في الأسبوع التالي تاركاً (ميريت) لتقوم بالإجراءات اللازمة لبيع البيت أو تأجيره وترتيب الأمور الخاصة بمدرسة (سام) لعدم وجود مدرسة تناسبه في بغداد – كانت هناك مدرسة (ستينا) للراهبات – والقيام برزم الأمتعة والحقائب والترتيبات المطلوبة كلها لمثل هذا التنقل الواسع. الأمور تختلف الان بشكل سار، فقد حصل صهرنا الأصغر على مهلة لمدة تسعة أشهر قبل التحاقه بأول تعيين له خارج انكلترا (في فينـــا)! .

فـــي الوقت الذي امتدحني وأطراني بعض الأشخاص أمثال (غـــور بـــوث) و(هينكر)، واعتقدوا انني مؤهل للقيام بهذا الواجب، إذ وصفه هينكر بـــ (إرسال شاب غاضب ليعالج أمراً مستعراً منذ زمن قديم)، فانني أتساءل بعد تلك السنين الماضية كلها هل كان ذلك الوصف صحيحاً؟ بالتأكيد أن رجلاً أقل غضباً وأصغر عمراً مني كان بإمكانه أن يرى الموقف في العراق كما رأيته انا وان تسنح له فرصة أفضل لإقناع رايـــت.

وهكذا في الأول من تشرين الثاني ١٩٥٧، ابتدأت بإحدى مغامراتي المثيرة للاستغراب. وقد سارت بشكل مرضٍ فيما يخصني، ولكن بحزن بالغ كانت النتيجة حدثا مأساويا للعراق. سافرت على متن إحدى طائرات (BOAC) البريطانية من مطار (هيثرو Heathrow) متوجهاً إلى بغداد في صباح شديد الضباب، وكنت اشعر بعدم ارتياح كبير.

كنت أكره الانفصال عن عائلتي ولم ادرِ متى سأراهم مرة أخرى. لقد وافق رئيسي الجديد للعمل معه، وكان ذلك ضد إرادته وتقديره. لم اكن مرتاحاً لما شاهدت منه في (بيركلي) وقلت لنفسي، كما كنت أفعل في مثل هذه المناسبات: (لقد تمكنت من الصمود أمام اليابانيين الدمويين. لا يستطيع مايكل رايت أن يهزمك). انني أحب الطيران لان الطعام والشراب جيدان فيه – وهما يذكراني مرة أخرى بطعم الأسر –، وارتفعت معنوياتي مرة أخرى. وبعد بضعة ساعات نظرت من نافذة الطائرة وشاهدت الاقتراب إلى بغداد. وكان نهر دجلة ذو اللون البني بطيئاً في جريانه، وحوله عشرات الآلاف من أشجار النخيل، ويمتد سهل ترابي لا نهاية له في كل جانب من جوانب المدينة. (سوف نهبط في مطار بغداد بعد ١٠ دقائق من الان. درجة الحرارة على الأرض ٩٠° فهرنهايت). لقد جعلني صوت المضيفة أشعر بالسخف وانا ارتدي ملابساً تبعث على الدفء. وكان أمامي كثير من الرسميات والشكليات، والتي تعني أن أكون متهيئاً لمواجهة الإحتمالات كلها. وفي المطار آلتقاني سلفي (ديك بومنت). انني لم اره منذ سنوات عدة وقد صدمني مظهره (علماً انه الان ما يزال قوياً وبصحة جيدة وبعمر يناهز الـ ٨٣ سنة). كان يبدو عليه الإرهاق والتقدم في العمر، وقد أبيض شعره وبان عليه التعب وانهاك القوى. ولم يكن ذلك أمراً مشجعاً لي. ولكن (ديك) أكد لي انه في وضع جيد وليس هناك ما يبعث على القلق، سوى انه يعاني من تخمة سببها الإفراط في الأكل والشراب في حفلات التوديع.

وعرض (ديك) انه سيوجزني بمهام عملي في العراق واني سأحتل مكانه في بيته. وظهر لي انه ينبغي أن أسمح لـــ (ديك) وزوجته البهيجة (ألو Alou) الإيرانية بمغادرة بغداد من دون أن أضايقهما بالضيافة. ولذلك توجهت الى فندق السندباد، وهو مكان قديم مدهش يقع على الضفة الشرقية لنهر دجلة. وقد كانت تلك فرصة جيدة لي لاستكشف بغـــداد.

كان هذا سنة ١٩٥٧ قبل ظهور البنايات المرتفعة ذات الطوابق المتعددة، وقبل تزايد الدخان العارم من السيارات، وقبل أن تجلب الحضارة الغربية أسوأ ما لديها إلى بغداد، وقبل فرض العقوبات الاقتصادية (والعسكرية) التي أفسدت المكان. كان بإمكان المرء أن يتجول بشكل أمين في المدينة، في أية ساعة من النهار أو الليل. أن الغربة والبعد قد يزيدان من الافتتان بمناظر الطبيعة الخلابة، وقد أوحى لي ذلك في حينه أن أشرح مشاعري لزوجتي وهي ما تزال في انكلترا: (يعكس نهر دجلة وقت الغروب الواناً متعددة، وترسم أشجار النخيل المتطاولة ظلالها قبالة السماء الملتهبة بأشعة الغروب وتبعث في النفس نشوة غير اعتيادية. أن شارع الرشيد (نسبة إلى هارون الرشيد من العصر الذهبي للخلافة العباسية) يزخر بالمناظر الجميلة والروائح – الفحم والكباب والقهوة – والكتل المحتشدة من الناس المبتهجين وهم يرتدون الملابس الوطنية التقليدية ذات اللمسة الأوربية أحياناً. انهم اناس ودودون ومفعمون بالحيوية. وهم على ما يبدو مستمتعون بالحياة... حتى المتسولون والأطفال الحفاة. أن عدد السيارات قليل ويجري معظم

التنقل باستخدام العربات (الدرشكية Droshkis) التي تجرها الخيول، إذ يقابل الحصان سيارة التاكسي عندنا ويبعث ركوبها على المتعة. لقد جازفت بالتجوال في الشوارع والأزقة الضيقة المظلمة واندهشت من منظر البيوت القديمة ذات الطراز التركي، والتي تبرز شرفاتها فوق الشوارع وتظهر كانها متصلة مع بعضها البعض. أن هذه المدينة مكان يثير المشاعر ويبعث البهجة والتمتع في النفس. وانني أتطلع إلى اليوم الذي ألقاك فيه وأصحبك للتجول سوية في بغداد).

ربما تضمن هذا الخطاب قليلاً من السذاجة والرومانسية. هنالك الكثير من الفقر المدقع في بغداد، والذي سوف أطلع عليه لاحقاً، ولاسيما في الصرائف التي هي عبارة عن زرائب بائسة مبنية بالطين ومسقفة بجذوع النخيل وجريد السعف وتقع في الجانب البعيد من السدة الترابية التي تحيط بالمدينة .

تلقيت دعوة بوساطة (ديك) من طبيب عراقي اختصاصي بأمراض العيون كان قد تدرب في (مورفيلدز Moorfields)، وزوجته انكليزية، لتناول طعام العشاء في بيتهم ليلة وصولي بغداد. وكان بيتهم يقع تماما على ضفة نهر دجلة. ويؤكد هذا البيت حقيقة الشعور بالحلم، إذ يجد الانسان فيه الود والحنان بحديقته الغناء التي تمتد تماماً إلى النهر. أن كرم الضيافة التي قدمها (الطبيب) محمود كانت تمثل الضيافة العربية السخية. وقد دعا عدداً من أصدقائه للالتقاء بي والأكثر من ذلك لإطلاعي على أمور أجهل كثيراً منها. انظم الى المدعويين اثنان من الأطباء ومهندس معماري وموظف في البنك ومحامٍ واحد أو اثنان من

رجال الأعمال، ولم يكن أي سياسي بينهم. وكان المدعوون قد تلقوا تعليمهم في الغرب وهم مثقفون وأذكياء ويمتازون بالود والمرح وهم يمثلون الاتجاه السياسي للطبقة الوسطى الجديدة. لقد تناولنا وجبة عشاء فاخرة، كان فيها الطبق الرئيس مؤلفا من السمك العراقي (المسكوف)، وهو سمك من نهر دجلة، يشوى حول نار هادئة مضرمة في الهواء الطلق ومتبّلة بطريقة خاصة. وقد شربنا الكوكا كولا والويسكي، ولم تكن هذه المجموعة متمسكة بالتعاليم الإسلامية.

لقد كانت ليلة ممتعة وتعريفية بشكل عميق فيما يتعلق بي، وأظهرت مقدرة العراقيين الخاصة بالفصل بين السياسة والأشخاص. وكان الحاضرون قادرين على التعبير وتوجيه النقد المؤثر للسياسة البريطانية تجاه العراق والعرب عامة من دون أن يكون أي منهم ذا نزعة هجومية .

خلال الحرب العالمية الأولى ثار العرب على حكامهم الأتراك وتلقوا دعماً بريطانيا من (لورنس العرب)* بشكل خاص. وبعد انتهاء الحرب توقع العرب أن يحصلوا على ما يسمى بـــ (الدولة العربية المتحدة المستقلة) وزعموا أن البريطانيين قد وعدوهم بذلك. ولكن الذي حصل أن المشرق العربي قسّم على بلدان وضعت تحت الانتدابين البريطاني والفرنسي، في حين حصل اليهود على وعد بإعطائهم وطناً

---

* نؤكد أن هذه وجهة نظر المؤلف فقط، فلم يكن لورنس في حقيقة الحال إلا أحد عملاء المكتب العربي في مكتب المندوب السامي البريطاني في القاهرة ومنفذاً للسياسة البريطانية الخاصة بالمشرق العربي.(المترجم)

في فلسطين. وكان العرب يرون (ولهم ما يبرر رأيهم) أن ما قد حصل ستكون له نتائج خطيرة لتشكيل دولة (إسرائيل). وبقدر ما يتعلق الأمر بالعراق فقد منح البريطانيون حلفاءهم الهاشميين (الذين جاءوا من الحجاز وقاتلوا الأتراك) عرش العراق الذي ظل دمية بيد الانكليز، وأصبح الملك فيصل (ابن الشريف حسين ملك الحجاز) أول ملك للعراق ذلك البلد الذي حصل بالتالي على استقلال صوري في سنة ١٩٣٢. لقد أكد أصدقائي الجدد أن ذلك الاستقلال كان زائفاً وان البلاد ظلت تُحكم من لدن حكومات عميلة تتسلم أوامرها من السفارة البريطانية في بغداد لحد الوقت الحاضر، وأضافوا أن ميثاق بغداد وأحداث السويس (التي بحثتها في القسم الثاني) هما آخر برهان يثبت خضوع الحكومات العراقية تحت تأثير البريطانيين. وكان انتقادهم نظام الحكم في العراق، وبشكل خاص الوصي على العرش ونوري السعيد، نقداً ساخراً.

لقد أصغيت لما قيل كله باهتمام شديد جداً. وكان ذلك يتفق تماماً مع الأفكار التي كونتها لتهيئة نفسي لتسلم منصبي الجديد (في بغداد)، ومتفقة أيضاً مع التجربة التي حصلت عليها من لجنة الشرق الأوسط في وزارة الخارجية (البريطانية). وعلى أية حال كنت مندهشاً لكون محمود وأصحابه كانوا قادرين على التعبير عن هذا النقد القاسي للحكومة العراقية أمام شخص غريب تماماً وبريطاني بالذات. ولم يكونوا يعرفون انني أتعاطف معهم واتفق مع كثير مما قالوه. أن كل ما كانوا يظنونه هو انه باستطاعتي أن انقل تعليقاتهم الهدامة بدرجة عالية إلى الوصي ونوري السعيد أو إلى الاستخبارات العراقية. كانت هذه الأمسية مقدمة

مدهشة عن العراق، ولكن ما يزال عليّ أن ألتقي بأعضاء الحكومة العراقية، والزعماء السياسيين المعارضين، الذين كانوا جميعاً باستثناء واحد منهم متمتعين بحريتهم بالتعبير عن آرائهم. وأخبرني محمود وأصدقاؤه انهم كانوا مسرورين بلقائي. والاستثناء الوحيد في المعارضة هو (كامل الجادرجي) زعيم الحزب الوطني الديمقراطي المحظور نشاطه انذاك، والذي كان مودعاً في السجن بتهمة الشيوعية، وبالتأكيد انه لم يكن شيوعياً. والحزب الوطني الديمقراطي (العراقي) هو نسخة معتدلة من حزب العمال(البريطاني)، وصاغ الديمقراطيون منهجهم على منواله. وكان علي أيضاً أن أقوم بمهمة حيوية وهي أن أسافر في عموم البلاد لمعرفته بعمق.

كان (علي جودت الأيوبي) في تشرين الثاني ١٩٥٧ رئيساً للوزراء. وهو رجل يناهز عمره ألـ (٧٠) سنة، وكان كنوري السعيد ضابطاً في الجيش العثماني. وكان نوري السعيد قد استقال في حزيران ١٩٥٧ لأجل الراحة. وكان يتمنى أن يبين بشكل ماكر نوعاً ما أن العراق يُحكم من قبله ومن الوصي فقط. وفي الحقيقة فان العراق كان يحكم هكذا، كما اظهر المصير اللاحق لـ (علي جودت) في الحكم. وكان العراقيون يعتقدون اعتقاداً جازماً أن (الباشا والقصر)، أي نوري وعبد الإله، هما اللذان يديران الحكم في العراق، وهما بدورهما كانا، اتباعاً خاضعين للبريطانيين أسيادهم الذين كانوا يحركونهم كالدمى. وربما كان هذا الزعم الأخير صحيحاً في الماضي، ولكن بالتأكيد لم تكن الحالة كذلك في سنة ١٩٥٧.

لم يكن علي جودت شخصية قوية وكان يفتقر إلى القدرة في التأثير في الآخرين، ولكنه كان يملك شيئاً من الحكمة. لقد ادرك أن تصعيد الصراع بين القاهرة وبغداد أمر خطر لنظام الحكم العراقي. وكان يفهم جيداً أن الرئيس عبد الناصر يمثل لغالبية العرب العراقيين رائد القومية العربية الجديدة والنهضة العربية الحديثة والعصر الجديد للتحرر من الإمبريالية. لذلك كان أمراً حتمياً أن يعارض العراقيون بشدة وجود حكومة تحاول السباحة ضد المد المتعالي لهذا الانبعاث الجديد. وقد سعى علي جودت إلى إجراء مصالحة مع مصر، وأجرى محاولات عدة للالتقاء بعبد الناصر ولكنها لم تنجح. وفي بغداد لم تكن هناك دعاية عراقية مضادة للدعاية المصرية. وفي الوقت الذي كان فيه علي جودت يشعر انه لا يستطيع الخروج من ميثاق بغداد، أخذ يقلل من أهميته بكل ما يستطيع. وقد نجحت مثل هذه السياسة إلى حد ما في تقليل حدة التوتر بين مصر والعراق في وقت وصولي إلى بغداد.

قبل الحرب العالمية الأولى تدرب نوري السعيد ليكون ضابطاً تركياً في القسطنطينية، وشارك في الخدمة العسكرية الفعالة خلال حرب البلقان سنة ١٩١٢ في الحملة التي شنها الأتراك ضد البلغاريين. وعلى أية حال فانه كان من المساندين الأوائل لاستقلال العرب، والتحق بالثورة العربية مميزاً نفسه بوصفه قائداً عسكرياً. وكان موالياً مخلصاً ومسانداً ثابتاً لفيصل، وخلال الانتداب البريطاني (على العراق) ركز جهده لتزويد الدولة الفتية بنوع من القوة العسكرية. لقد أصبح رئيساً للوزراء لأول مرة في سنة ١٩٣٠، ومن ثم تناوب على رئاسة الوزارة

(١٣) مرة قبل أن يصبح أول رئيس وزراء (والوحيد) للاتحاد العربي المقبور بين العراق والأردن في مايس ١٩٥٨. وفي الحقيقة كان نوري (مستر عراق) أي سيد العراق لمدة (٤٠) سنة. وعندما غادرت لندن إلى بغداد قال لي رئيسي (غوربوث): (ان ما نريد أن نعرفه يا سام هو ماذا سيحدث بعد نوري؟ لقد أصبح عجوزاً (٦٨) سنة، وقد صدمته أحداث السويس بشكل سيىء). وعلى الرغم من تعاطفي مع القومية العربية الجديدة، فقد كنت من المعجبين جداً بنوري. فقد كان نوري السعيد يمتلك كفاءة ومقدرة كبيرتين وقد أكسبته السنون خبرة واسعة، ولم يكن أي من الوزراء الذين أعقبوه من يستحق أن يكون خلفاً كفؤاً له باستثناء عبد الرحمن البزاز (رئيس الوزراء في عهد عبد الرحمن عارف – وفي الحقيقة كان هناك اثنان في أواسط الستينات). انه رجل مدهش كبير في السن، وهو أفضل وأحسن حليف حصلنا عليه في الشرق الأوسط. ولكنه تدرب في كلية عسكرية تركية وعاصر حربين عالميتين وقاتل من اجل استقلال بلاده. ولم يكن يؤمن بهذا (الهراء الغربي الحديث الذي يدعى بالديمقراطية)، كما أن أبناء بلده كانوا عنودين وصعبي المراس منذ فجر التاريخ، وليس من الممكن أن يحكموا بنظام الديمقراطية، فقد اعتادوا على الشدة في أسلوب الحكم وكانوا بحاجة إلى أب صارم. ولكن كان نوري يرى نفسه أباً يهدف إلى تحقيق النفع العام وليس الربح، وربما كان مصيباً في رأيه، ولكن عجلة التاريخ كانت تتحرك سريعاً جداً ضد نوري.

في الوقت الذي كان فيه نوري السعيد وعبد الناصر يحملان آراءً مختلفة تماماً بشان السياسة الخارجية، إلا انهما ليسا متباعدين كثيراً فيما يخص السياسة الداخلية. فكلاهما كان وطنياً مخلصاً يعمل بتفان من اجل صالح شعبه. وكانا يؤمنان بإخضاع الفرد وحقوقه إخضاعا كاملاً لمصلحة الدولة. وكانا ينظران إلى التطور الاقتصادي بوصفه أسبقية أولى، واعتقدا أن هذا التطور يتعثر بإعطاء الحرية السياسية للشعب الذي لم يكن متهيئاً لممارستها بعد. وفي الوقت الذي كان فيه عبد الناصر يمسك بزمام التفوق السياسي في معركته مع نوري، كان الأخير (أي نوري) أقوى اقتصادياً إلى ابعد الحدود. كان النفط العراقي من النوعية الجيدة ويضخ بشكل اعتيادي. وكانت ٧٠% من عوائد النفط مخصصة للتنمية الاقتصادية التي كانت تجري بشكل كفوء ومخلص بإدارة مجلس إعمار يرأسه (مايكل آيونايدز Michael Ionides). ولسوء الحظ أن مجلس الإعمار لم يلتفت إلى الحسابات السياسية إلا بدرجة قليلة جداً وركزّ جهده على المشاريع طويلة الأجل، والتي لا تظهر نتائج فعالة مباشرة . لقد اعتقد نوري أن التنمية الاقتصادية سوف تعمل على تحسين ظروف الشعب العراقي، إذ انهم لن يفكروا بالقيام بثورة ضده . ويمكن التصور أن هذه السياسة التي اتبعها نوري، كان يكتب لها النجاح لو لم تقع أحداث السويس ولو أن التنمية الاقتصادية جرى توجيهها سياسياً أكثر من واقعها الحالي (أي لو أن التنمية ركّزت على مشاريع قصيرة الأجل).

تعرض نوري السعيد لانتقاد لاذع من شعبه والليبراليين الغربيين لأسباب أربعة :

١. قيل عنه انه قائد قاس وفاسد ومستبد .
٢. انه كان تابعاً خنوعاً لبريطانيا، قسم العالم العربي بانضمامه إلى ميثاق بغداد بشكل خاص، وموقفه من أزمة السويس.
٣. لم يتحرك مع تطور الزمن، ولم يفهم روح الحركة العربية الجديدة وقوتها.
٤. كان متأكداً انه هو الشخص الأكثر معرفة بالأمور، وقد فشل في الإصغاء للتحذيرات التي قيلت له عن حتمية وقوع ثورة.

ان الاتهام الأول مبالغ فيه. صحيح انه كان شديدا لا يتسامح مع أية معارضة جادة، وفعلا نتذكر انا و(ميريت) كيف أن ابنتنا الصغيرة أصابها الرعب عندما رأت جثثاً معلقة خارج مدرستها في بغداد. وكان نوري السعيد يؤكد أن شعبه بحاجة إلى ضبط صارم وإلا فانهم سيكونون كالمسعورين يندفعون إلى الشوارع ويعتدون على كل من يصادفهم*. انه لمن الحماقة سياسياً إيداع شخص سياسي مهم مثل (كامل الجادرجي) إلى السجن على الرغم من انه لم يتعرض إلى المعاملة السيئة أو التعذيب. والمهم جداً أن المرء عندما ينظر إلى قادة العالم الثالث، في الماضي والحاضر، لا يجد نوري السعيد قائداً فاسداً بل انه كان يعيش بتواضع وحياء. وكان يحظى باحترام الكثير من العراقيين

---

* وردت هكذا في الأصل وينبغي اخذ ذلك بتحفظ شديد. (المترجم)

الذين لم يتوقعوا إمكانية تطبيق الديمقراطية بشكل واقعي. وكان ذلك النوع من الإدراك السياسي متركزاً على الطبقة السياسية الوسطى، إلا أن عدم القناعة والسخط كانا منتشرين في الأوساط الأخرى.

الاتهام الثاني، هل له ما يبرره أم لا ؟ لقد كان اتهاماً أكثر جدية وأسهم بالتأكيد في سقوط نوري السعيد. وبغض النظر عن الدعم الغربي (لإسرائيل)، فانه شارك في تأييد وجهة النظر الأمريكية – البريطانية عن العالم ولاسيما تأكيدها على مقاومة التهديد السوفيتي. يعتقد العرب أن (عدو عدوي صديقي)، ولذلك كان التحالف الغربي ملازماً لصداقة نوري السعيد. وكانت سياسته الخارجية تمثل اختياره الحر ولم تفرض عليه من الغرب. ولسوء الحظ انها أدت الى انقسام العالم العربي كما أوضحت ذلك في القسم الثاني. واما فيما يتعلق بالتهمة الثانية وبغض النظر عن كونها مبررة أو لا، إلا انها أسهمت في سقوطه وفيما عدا إسناد بريطانيا وأمريكا لإسرائيل فان نوري السعيد قد شاركهما إرادتهما بشان السياسة العالمية ولاسيما تصميمها على مقاومة التهديد الشيوعي. هنالك مثل عربي يقول (عدو عدوي صديقي) كذلك كانت نظرته للتحالف الغربي، لقد كان نوري السعيد يتصرف بملء إرادته ولم تكن تفرض عليه من الغرب. أن السفير البريطاني (مايكل رايت) كان في جيب نوري السعيد وليس العكس. لقد كان (رايت) يكنّ تقديراً متفهماً عميقاً وكبيراً لنوري السعيـــد، وهكذا كان زميله السفير الأمريكي (والدمر جي غالمان Waldemar J. Gallman). وعندما كنت أقوم بتزويد (رايت) بملاحظاتي السياسية، كنت معتاداً على سماع عبارة

(ولكن نوري يقول...)، وكان (رايت) أحياناً ونتيجة لدفع وإلحاح مني، يذكر نوري باعتدال بان هناك ضرورة لإجراء إصلاحات اقتصادية واجتماعية، الأمر الذي يتطلب تحجيم سلطة شيوخ العشائر، ولسوء الحظ لم يلتفت نوري السعيد لتلك الملاحظة المهمة أبداً، وربما كان من الأفضل لو اننا كنا قادرين على ممارسة نوع من التأثير.

بلغ الملك (فيصل الثاني) سن الرشد في ١٩٥٣، ومنذ ذلك التاريخ أصبح الملك الرسمي الذي يحكم البلاد. ومع ذلك فان خاله (عبد الإله) الذي كان وصياً على العرش منذ أصبح (فيصل الثاني) ملكاً سنة ١٩٣٩، لم تكن له نية للتخلي عن أي من سلطاته، وغيّر لقبه إلى (ولي العهد) وواصل هيمنته على فيصل. كان الملك أريحياً، وسهل المعاشرة، ودمث الأخلاق وذكياً، ومتعلماً وهو نتاج كلية (هارو). في البداية، بارك العراقيون بلوغ فيصل سن الرشد وتسلم مهامه بوصفه ملكاً، وكانوا مستعدين لإعطائه فرصته للحكم، ولكن سرعان ما خابت آمالهم، إذ اتضح لهم انه لم يكن قادراً على فرض شخصيته على الآخرين. وكان يختلف عن ابن عمه في عمان الملك حسين الصغير الذي كان يمتاز بصلابته وقوة شخصيته. فلو كان فيصل قادراً على تحجيم عبد الإله إلى أقل ما يمكن، فلربما وفّر أمام الملكية فرصة للبقاء. وفعلاً حتى في سنة ١٩٥٨، وقبل الثورة كان معظم أصدقائي الوطنيين على استعداد لدعم بقاء فيصل ملكياً دستورياً بشرط أن يتخلصوا من الوصي (عبد الإله) .

كان عبد الإله كارثة يندر لها مثيل، حتى وان لم تكن سيئة بقدر ما كان يوصف به. ولمعظم العراقيين كان عبد الإله هو الشخص المسؤول بلا منازع عن كل ما يحدث من أذى وتخريب للعراق، وكان مكروهاً ومحتقراً، ويوصف بانه مستبد ويهتم بسلطته فقط، وقد تجاهل الموقع المناسب للملك الشاب، وقد أطلق العنان لأهوائه وهو فاسد وحقود ومذعن لأسياده البريطانيين. وهذه التهمة الأخيرة (أي خضوعه للبريطانيين) سببت له أذى كثيراً ولاسيما بعد أزمة السويس. وهذا الشخص غير المحظوظ كان فعلاً يحب انكلترا، وغالباً ما كان يزورها، وحاول من دون روية أن يقلد البريطانيين. ومثال على ذلك ممارسته الصيد الملكي، والذي يجري فيه صيد ابن آوى لقلة وجود الثعالب. ويرتدي الفرسان ستراً قرمزية على وفق الانموذج الانكليزي. وقد اعتاد بعض زملائي المشاركة في هذه اللعبة غير المؤذية والسخيفة من بعض الأوجه. وقد استغلت ممارسة هذه اللعبة من قبل أعداء عبد الإله بوصفها مثالاً آخر على التزلف للإمبرياليين. على أية حال كان عبد الإله مريحاً في اللقاء، ويبدو لأول وهلة انه خجول ومتواضع ولكن شخصيته الشعبية غير محبوبة، وربما كانت تعابير وجهه المتشامخة والمكروهة هي نتيجة لخجله. كان مستبداً لا يطاق النظر إليه. وكانت إرادته الواضحة للاحتفاظ بالسلطة الفعلية بعد سنة ١٩٥٣ خطأ جسيماً أفسد مصالح بلده وسرع في سقوط السلالة الهاشمية الحاكمة، والذي لم يكن أمراً حتمياً لولا سلوكه المشين. ربما لم تكن دوافعه عدائية بشكل

مطلق، ولم يبد انه كان يرغب في تسليط الأضواء عليه .وبالتأكيد كان يشعر أن من واجبه حماية فيصل وتوجيهه، والذي يحبه بصدق. وكان يعتقد أن استمراره بالتأثير في الحكم يخدم العراق والسلالة الهاشمية الحاكمة. وقد حاول المنتقصون منه أن يظهروه بانه كان يعيش حياة ماجنة ومسرفة. ولم يثبت لدي بأية وسيلة كانت أن عبد الإله يمارس هذا النمط من الحياة، وإذا كان الأمر صحيحاً فربما كان ذلك يجري في الخفاء. وكان أسلوبه في الحياة عدم إظهار التباهي. لقد عشت مجاوراً للقصر الملكي في ضاحية المنصور في بغداد، وقد لاحظت أن عبد الإله كان متواضعاً إلى أبعد الحدود. كان عبد الإله، مثل نوري السعيد، يعتقد بصدق أن مصلحة العراق تكمن في التعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا. وكان مقتنعاً أن عبد الناصر مصمم على تدمير السلالة الهاشمية، إذ كانت إذاعة صوت العرب (من القاهرة) تصرخ وتنادي بذلك في كل وقت. ولم يفكر أن أية اتفاقية مع عبد الناصر أمر ممكن، وكان يعتقد أن عبد الناصر يخدم الاتحاد السوفيتي، مثلما كان(انتوني أيدن) يعتقد ذلك. ولم يكن عبد الإله مقتنعاً بسياسة اللين التي كان يتبعها (علي جودت الأيوبي) تجاه عبد الناصر، كما أن (الأيوبي) لم يكن سعيداً بمنصبه رئيساً للوزراء. لقد انتخب المجلس النيابي (البرلمان) عندما كان نوري السعيد رئيساً للوزراء، ولذلك فانه كان مكتفياً برجاله (النواب المؤيدين لسياسته). وقد شعر(علي جودت)، بتبرير كافٍ، أن طبيعة تشكيل المجلس قد حددت أسلوب عمله، وكان

يرغب في حل المجلس وإجراء انتخابات جديدة. ولم يؤيد الوصي الأمير عبد الإله هذه الفكرة، وبالتالي استقال (علي جودت) من رئاسة الوزارة، وتلك في رأيي كارثة للعراق. وبعد ذلك جاءت ثورة ١٩٥٨ التي وان لم تكن أمراً لا مفر منه فانها كانت محتملة بدرجة عالية.

لقد كان نظام الحكم الملكي في العراق (قبل الثورة) على النمط البريطاني. كانت هناك ملكية دستورية ورئيس وزراء ومجلس وزراء مسؤولون أمام البرلمان الذي يتألف من مجلس منتخب ومجلس أعلى يجري تعيين أعضائه من الملك بناء على توصية من رئيس الوزراء. ويجب أن تحظى القوانين بموافقة المجلسين. وكان ذلك نظرياً، إذ أن بغداد بعيدة عن لندن، وعملياً لم تجر الأمور بالصيغة أعلاه. كانت الانتخابات ترتب من لدن (القصر والباشا). وبشكل عام كان من المستحيل لأي فرد أن يرشح نفسه للانتخابات ضد رغباتهما. تلك كانت إحدى الأمور التي يشتكي منها محمود وأصدقاؤه.

السفارة البريطانية والحكومة العراقية

في اليوم التالي لوصولي إلى بغداد في ٢ تشرين الثاني ١٩٥٧، توجهت إلى السفارة البريطانية. وكانت تقع في جانب الكرخ من المدينة (الذي لم تتوافر فيه المظاهر الصحية)، وخلف جدران عالية تقع السفارة في موقع جميل على نهر دجلة.وكان شعب العراق يعتقد أن بلدهم تحكم من خلف الجدران (أي من السفارة البريطانية). قدمت نفسي إلى السفير من دون أي قلق أو خوف. لم أكن قلقاً بشدة لانه سبق أن قررت مع

نفسي بشكل واضح أن على المرء أن يعمل بقدر استطاعته وان يتقبل حالات الفشل وسوء الحظ. واستقبلني السفير بلطف، وكنت أتخيل تصوره عني وعن السرعة التي استطعت بها التحرك اعتماداً على مجهودي الخاص في العيش والعمل في موقع جديد، وكيف اني أصبحت تحت إمرته بسرعة. وأخبرني عن الشيء الذي يتوقع مني أن أمارسه، وهو باختصار أن أحيطه دائماً بالموقف، وان أزوده بالمعلومات في كل يوم عن أي شيء يجري في العراق. وفي الأحوال كلها ينبغي أن أقدم تقريراً يومياً له في الساعة (٩٠٠ صباحاً). وكان عليّ أن أبقي عيوني وآذاني مفتوحة، وان أقوم بدور القادم الجديد الذي يهتم بما يدور في البلد، وفعلاً كنت كذلك. وقد بدت تلك النصيحة جيدة لي، ولو انها لم تكن بدرجة كافية من الوضوح. وبعد ذلك أخبرته بشيء من التفصيل عما دار في حفلة العشاء التي حضرتها على شاطئ نهر دجلة. وبالتأكيد لم يكن يتوقع أن يسمع ذلك كله من مستشاره الشرقي الجديد تماماً في أول لقاء معه.وأخبرني أن لا أعير أهمية كبيرة لآراء (الطبقة الوسطى الساخطة). ومع ذلك لم يكن لديه اعتراض لاستمراري بالاتصال بهذه الطبقة. وحسب رغبته كان عليّ أن أتصل بأكبر عدد ممكن من العراقيين البارزين، وان أقوم بجولتين في البلاد، الجولة الأولى إلى الشمال والثانية إلى الجنوب. وكان ذلك أمراً لطيفاً جداً، إذ أعطاني حرية كاملة لان أتحرّى الأمور بنفسي. وان ما لم اكن أعرفه في حينه توصلت إليه في النهاية، إذ وجدت انه يواجه صعوبة في الاعتقاد بما كنت أتوصل إليه.

ولكي أبدأ عملي بسرعة رتب لي السفير ثلاث دعوات عشاء لأتمكن فيها من الالتقاء بالشخصيات الرسمية الرائدة في البلد، وبالطبع باستثناء الوصي (عبد الإله) ونوري السعيد رئيس الوزراء لانهما خارج محطة عملي. ولغرض التحول من جو (الوطنيين الديمقراطيين) على ضفاف نهر دجلة إلى الجو (الإمبريالي) للقرن التاسع عشر الذي يسود السفارة، كان عليّ أن استنزف قواي كلها لكي أوفق بين الاثنين. وكنت خائفاً أخشى أن أسكب ما في كأسي على ملابسي، أو أن أقول شيئاً سخيفاً جداً أو انهار في قهقهات بائسة، أو أشعر بالأبهة السخيفة. وأتذكر انني قد حافظت على سلوكي الرزن وكنت أشعر بالارتياح والمساعدة التي أتلقاها بلطف وود من الضيوف العراقيين في حفلات العشاء الثلاث. ولكي أكون منصفاً لـــ (رايت) وعقيلته أقول انهما كانا مضيّفين جيدين على طريقة الطراز القديم، وكانا مؤدبين تماماً ويتصرفان بلطف وكياسة وليس بطريقة تظهر الشعور بالتفوق على ضيوفهما. وحتى إذا عدّا أن بعض الضيوف هم رعايا مخلصون لبريطانيا فانهما لم يظهرا ذلك علناً. قبل أن التقي بالمسؤولين العراقيين كنت أميل إلى كتابة أسمائهم، ولدى مراجعتي هذه الأسماء لم أجد أياً من العراقيين الذين التقيت بهم في حفلات العشاء المقامة في السفارة وخلال اتصالاتي الرسمية بهم، مَنْ يمكن وصفه بانه تابع خنوع للإمبريالية. في الحقيقة انهم كانوا ينتقدون بشدة كثيراً من جوانب سياستنا ولاسيما ما يتعلق بفلسطين والسويس. وعلى عكس المعارضة الوطنية كانوا يعدون الاتحاد السوفيتي بمثابة التهديد الأعظم لأستقلال

العراق. ولذلك كانوا يؤيدون نوري وعبد الإله في ضرورة التحالف مع الغرب. وأما فيما يتعلق بعبد الناصر فقد كانوا مختلفين بعض الشيء ولهم آراء متباينة لتحديد العلاقة معه. انهم جميعاً يدركون الميل الكبير لتعاطف الجماهير معه، وهم غير مرتاحين لدعايته (المسعورة) ضد العراق، وهم في الوقت نفسه يدركون وكذلك (علي جودت) أن سياسة المجابهة مع عبد الناصر سياسة غير حكيمة. وانني أتذكر عدداً منهم باحترام وود فهم رجال شجعان وذوو مقدرة وكفاءة، وعملوا ما كانوا يعدونه صحيحاً ولاسيما في الظروف الصعبة. وكانت الشخصية المحببة لي هي شخصية (سعيد قزاز) وزير الداخلية، وهو رجل كردي يتصف بشجاعة عظيمة. وقد أعدمه ثوار تموز ١٩٥٨ بعد إجراء محاكم صورية له، والتي دافع فيها عن نفسه من دون خوف. وكانت الجريمة التي اتهم بها هي نشاطه الفعال ضد الشيوعيين، وبعده كان (فاضل الجمالي) وزير الخارجية، وهو أيضاً رجل شجاع ومبدئي وموال للغرب جداً. وكان بإمكان بعض هؤلاء (التابعين بخنوع للإمبريالية!) الاستمرار في حكم العراق لسنوات عدة ولصالح بلدهم فيما لو أن (الباشا والقصر) قد أدركا ما كان يحدث، وانهما قد أديا دورهما بشكل مختلف. وفي الحقيقة لم يكن هناك سبب وجيه يجعل كثيراً من العراقيين المسؤولين في الدولة لا يعملون مع المعارضة المعتدلة في حكومة تضم الاتجاهات جميعها، وكان نوري وعبد الإله عنيدين جداً، ليقروا هذا الأسلوب.

كانت حياتي في بغداد مثيرة ومحفزة، إذ أن كثيراً من الأمور

تستلزم البحث والاستقصاء. وظهر لي أن (رايت) أفضل مما كنت أتوقع، حتى انه وصفني أمام شخص معين بانني كنت رائعاً. ومع ذلك فكان أمامي الكثير من الأمور التي يجب أن أتعلّمها. ولكي أكون منصفاً فقد كان (رايت) رجلاً متكاملاً ومخلصاً بدرجة كبيرة لواجبه، ويعمل بعناية وطاقة مكثفتين. ولا يمكن توجيه اللوم إليه لانه كان يؤمن بنوري بدلاً عن المستشار الشرقي الشاب في سفارته.

رحلات في العراق

يمثل كل من شهري تشرين الثاني وكانون الأول وقتاً ملائماً في السنة للسفر. لقد انخفضت درجة الحرارة وأصبح الهواء منعشاً وأخذت البرودة بالتزايد كلما اتجهت شمالاً. غادرت بغداد بسيارتي ألـ (لاند روفر) بشعور مليء بالسعادة، ووصلت إلى بداية الطريق المؤدي إلى كردستان. وكانت مثل هذه الرحلة في تلك الأيام (التي تختلف تماماً عن الوقت الحاضر) تمثل نوعاً من المجازفة. وانه لمن الانصاف القول إن القانون والنظام كانا مستتبين نسبياً في العهد الملكي، ولم تمارس فيه حالات من القمع المتوالية ولم يكن الحكم في ذلك العهد يمثل دولة بوليسية. كان باستطاعتي أن أتحرك بملء حريتي وان أسافر إلى أي مكان أريده.

لقد تم انجاز كثير من المشاريع خلال زمن قصير نسبياً، فيما يخص تفكيري كانت تدور في ذهني مسألة التركيز على المشاريع الكبرى – السدود الضخمة مثلاً. وفي حين أن مثل هذه المشاريع كانت

ضرورية في المدى البعيد، إلا انه لم يكن لها تأثير مباشر في الاحتياجات الانية لأبناء الشعب. وكنت أشعر أن الإصلاح لم يصل نهائياً إلى المناطق الواقعة خارج المراكز الرئيسة في العراق. كانت البلاد بحاجة إلى مشاريع للتنمية الأساسية مثل مشاريع تعبيد الطرق، ومشاريع الآرواء الصغيرة والمؤثرة، وحفر الآبار الارتوازية، وانشاء التعاونيات الزراعية والتربية الحيوانية، وعمليات التسويق المحسّن للمنتجات الزراعية في مدينة (عقرة) الصغيرة التي هي مركز لمنطقة زراعية واسعة، وقد أكد لي القاضي المحلي (وهو كردي ودود وذكي) أن ظروف المنطقة ليست جيدة. والأسباب التي عرضها هي أن الطرق كانت بدائية فيما يخص تسويق المحاصيل الزراعية، كما أن ملاكي الأرض جشعون (وهو تذمر عام)، وان أسعار الحبوب منخفضة، وكان انطباعي الشخصي هوانه ليس للتنمية أثر في معظم المناطق الريفية، وقد يصبح الموقف خطيراً إذا لم تبذل جهود جادة وسريعة لرفع مستوى المعيشة.

وعلى المستوى الشخصي كانت رحلتي إلى الشمال ممتعة، أرض الريف في كردستان مكسوة بالحشائش الخضراء والنباتات، وتمتاز بكونها جبلية وذات مناظر طبيعية خلابة. ويمتاز الناس هناك بالصلابة والود ويبعث منظرهم على إراحة النفس. ولم تلتفت الحكومة لمعالجة مشاكلهم وكانوا يتلقون أسوأ معاملة منها*.

* هذا أمر يبدو مبالغاً فيه على عادة الكتاب الانكليز بشكل خاص عندما يتناولون أي شيء يكون الطرف الثاني فيه عربياً أو ثورياً أو قوميا أو وطنيا . (المترجم)

وفيما يتعلق بالسياسة لم تبد قضية الانفصال الكردي فعالة بشكل عميق كما أصبحت عليه في مدة لاحقة. وبنوع من الغرابة فهمت أن كثيراً من الكرد كانوا آسفين على رحيل اليهود إلى (فلسطين) لانهم يعتقدون أن اليهود العراقيين كانوا عناصر مهمة ومحترمة في المجتمع العراقي، وقد أسهموا في تنمية البلاد اقتصادياً. ولم يكن الكرد يصغون كثيراً إلى إذاعة صوت العرب التي تبث برامجها من القاهرة. ومما يبعث على الارتياح أن الشعب في كردستان لا يثير أي شئ ضد (إسرائيل)، وكان الحديث عن الوطن العربي والوحدة العربية قليلاً جداً. وفيما يتعلق بغالبية الناس لم تكن الحياة جيدة هناك، ولكن مسؤولي النظام الحاكم كانوا يعملون ما بوسعهم لتخفيف معاناتهم. وفي الحقيقة أن الظروف لم تكن سيئة فيما يتعلق ببلد نام، وربما كانت الظروف في شمال العراق أفضل من ظروف الشعب في مصر. وعلى أية حال كان الفقر سبباً مساعداً لاندلاع الثورة فضلاً عن السبب السياسي الذي كان محفزاً لها.

كانت مدينة(الموصل) تمثل البؤرة الرئيسة في الشمال للوحدة العربية، وتوقير عبد الناصر. وقد أخبرني مدير الشرطة هناك انهم يعدون عبد الناصر بمثابة نبي، وكان الطلاب بشكل خاص والشباب عامة متحمسين لعبد الناصر. وأما في مدينة (كركوك) النفطية فقد حصل لي الانطباع أن وجود خليط من القوميات (الأتراك والكرد والأثوريين وبعض العرب) وتعدد الأديان، قد قللت من المطالبة بالوحدة العربية.

بعد جولة استمرت (١٢) يوماً عدت إلى بغداد وقدمت تقريري عن هذه الجولة إلى وزارة الخارجية البريطانية التي لم تعر له إلا اهتماماً سطحياً. وفتح الأرشيف الان ليتسلم التقارير التي انفق فيها كثير من الوقت والطاقة. ومن المحزن لي انها لم تلق الاهتمام اللازم.

بعد مرور(١٠) أيام على انتهاء رحلتي الأولى ابتدأت رحلتي الثانية إلى الجنوب، إلى الكوت ذات السمعة السيئة في الحرب العالمية الأولى*، والى العمارة. وكانت هذه الرحلة كئيبة تثير الحزن بشكل عميق، ولكنها أعطتني الكثير من الخلفية عن المأساة الوشيكة الوقوع، وكنت مندهشاً للصراحة التي كان كل فرد يتحدث بها معي على الصعيدين الرسمي والشعبي.

في ١٧ كانون الأول ١٩٥٧، تحركت من بغداد بسيارتي الوفية (اللاندروفر) . وكانت مسافة الـ (٣٨) ميلاً الأولى مريحة بشكل اعتيادي على طريق مبلط بالإسفلت بشكل جيد. وبعد تلك المسافة تطلبت السياقة خبرة وتجربة بالطرق غير المعبدة. ولكن كان هناك بعض الأعمال الانشائية تجري لإكمال تعبيد الطريق. وكانت المسافة إلى الكوت تبلغ (١٠٤) ميل ولكن المرء يشعر وكانها مسافة طويلة جداً.

وفي سنة ١٩٥٧ كانت الكوت مدينة متخلفة تبعث على الاكتئاب وانقباض النفس. وكان المتصرف صريحاً في حديثه بشكل يثير الدهشة،

---

* يشير المؤلف هنا إلى محاصرة العثمانيون القوات البريطانية بقيادة الجنرال طاوزند (Tawsend) في الكوت وأسرها. (المترجم)

فقد قال لي المتصرف وآخرون عديدون أن المدينة تعاني من البطالة الواسعة والفقر المنتشر بين السكان وحتى من الجوع. وتبدو المنطقة هادئة في ذلك الوقت، وقد بدأت الحكومة في بذل جهد مستمر لمعالجة حالة عدم الاستقرار الجدي. وكان السبب الرئيس لحدوث المشاكل وجود ملاكي الأرض الإقطاعيين أو الشيوخ، إذ يتعرض الفلاحون إلى الاضطهاد والقمع ويلاقون صعوبة في الحصول على قوت عيشهم، وكانت النتيجة انهم تركوا الأرض ونزحوا إلى المدن للحصول على عمل بسيط، وحتى أن بعضهم نزح إلى بغداد. وقد شاهدتهم وهم في ظروف تعسة في ضواحي مدينة بغداد. وعلى وفق ما قاله لي متصرف الكوت إن ملاكي الأرض الكبار لهم تأثير قوي في بغداد وانهم خارج نطاق سلطة القانون. وحتى ذلك الوقت لم تشرع الدولة قانوناً لتوزيع الأراضي الزراعية في منطقة الكوت، وليس هناك تخطيط للقيام بأية مشاريع تنمية كبيرة على الرغم من أن الفحوصات الأولية تجري الان لانشاء جسر جديد وان هناك مشروع إرواء وتسوية للأرض. وتيتسر في المدينة بعض المباني والمدارس ومستشفى. ولكن الطرق داخل المدينة رديئة جداً.

واستغرقت الرحلة ذات الـ (١٤٠) ميلاً من الكوت إلى العمارة ثمان ساعات، ولم يكن هناك طريق ملائم، كما أن الرحلة لا يمكن القيام بها في جو ممطر(موحل).

وفي العمـــارة كان حوالى نصف السكان الذين يقدر عددهم انذاك بـــ (٥٤٠٠٠) نسمة يعيشون في ظروف تعســـة وفي فقر مدقـــع في

الصرائـــف. وكان كثير منهم عاطلاً عن العمل فـــي معظم أيام السنة ويشتغلون أحياناً بأعمـــال متقطعة. وكان دخل العائلـــة مـــا يعادل (٦) دولارات شهرياً، وكان ذلك المبلغ ضئيلاً جداً حتى فيما يخص مستوى المعيشة قبل (٣٧) سنة.

وكما وجدت في الشمال والكوت، كان المسؤولون المحليون مكرسين جهدهم لواجباتهم من طراز عال. لقد ابتدأ المتصرف بمشروع تجفيف مستنقع خارج المدينة وتسويته، وقد أعدّ خطة لبيع الأراضي المجففة للمواطنين بسعر رخيص لكي يتمكن الناس الفقراء من بناء بيوت لهم. انها كانت فكرة جيدة ولكن لا أدري ماذا تمخّض عنها، فضلاً عن وجود عدد قليل من البنايات الجديدة في العمارة من ضمنها دار استراحة للضيوف، فان مشروع التنمية الوحيد كان متمثلاً في انشاء جسر جديد. وقيل لي أن هناك خططاً لانشاء معمل للورق ومشروع للارواء. ومما لاشك فيه انها خطط تدعو للإعجاب في التصور ولكنها كباقي مشاريع التنمية في العراق تقريباً قليلة وبطيئة جداً.

ان الأراضي الزراعية في المنطقة مملوكة من الدولة، ومع ذلك فان الأراضي الجيدة جميعها مستثمرة من الشيوخ في المنطقة. وكانت الشروط المفروضة من الشيوخ على الفلاحين قاسية جداً، الأمر الذي اضطر العديد منهم إلى ترك الأرض. وقد قاوم الشيوخ قانون توزيع الأراضي الذي كان يهدف إلى إعطاء ٥٠% من الأراضي المستثمرة من الشيوخ إلى الفلاحين. وقد استغل الشيوخ فقرة غامضة من القانون للحصول على جزء من حصة الفلاحين المخصصة لأقاربهم .

لقد كان المتصرف والمسؤولون الحكوميون الآخرون متألمين جدا من كبار الشيوخ المتنفذين، لكنني كنت مندهشاً من سهولة الانقياد أو الطاعة الواضحة لسكان الصرائف في العمارة. انهم اناس تبدو عليهم البساطة وكانوا فرحين بفاعلية المتصرف والتقدم السريع لمشروع تجفيف الهور. لقد طلبوا مني أن أعمل من أجل صالحهم لانهم يرون أن البريطانيين بمثابة (الأب) لهم، ولكن المسؤولين الحكوميين قالوا لي أن عبد الناصر هو بمثابة (الرمز) لهؤلاء الناس.

في القسم الشمالي من البلاد الذي تسكنه غالبية من غير العرب، والمتميز بكونه أقل فقراً من الجنوب، وباستثناء الموصل، كانت دعاية عبد الناصر ذات أثر قليل. وفي العمارة كانت إذاعة عبد الناصر تصرخ ليلاً ونهاراً مستمرة في البث من كل راديو ترانسستور وفي كل حقل وصريفة وفي كل مبنى في المدينة وفي المقاهي المنتشرة في الأرياف والقصبات. وكانت هذه الإذاعة تثير مشاعر الناس بعنف وتطرف، وتؤكد أن الفقر والبؤس والجوع واستغلال الفلاحين من الشيوخ تمثل أخطاء جسيمة. وهذا الكم الهائل من الأخطاء سببه الإمبرياليون واتباعهم الخنوعون المجرمون الصهاينة، ونوري السعيد وعبد الإله اللذان يسيئان استعمال سلطتهما بشكل يفسد سمعتيهما ولاسيما تذللهما للبريطانيين.

وكان لهذه الدعوة أبعاد مدمرة على مستويين، فمن الواضح انها كانت مؤثرة في الفقراء، إذ تدعوهم لكي يثوروا ويقطعوا سلاسلهم ويذبحوا مضطهديهم. والأشخاص المثقفون أكثر نضجاً ويميلون إلى

المحاججة والإقناع ويعتقدون أن حكام العراق يمثلون أعداء القومية العربية المنبعثة من جديد، ويسعون إلى تجزئة الأمة العربية بميثاق بغداد وبخضوعهم الذليل للإمبريالية البريطانية، وهذا الاتجاه هو نفسه الذي سمعته من أصدقائي الوطنيين.

وكان القائمون ببث الدعاية لصالح عبد الناصر يتلقون مساعدة بدرجة كبيرة بحصولهم على بعض الحقائق التي يبنون عليها أكاذيبهم. وكان البريطانيون والهاشميون، وحتى نوري السعيد الرجل الشجاع العجوز، يتصرفون بطريقة تعود على عبد الناصر بفائدة وعليهم بالضـــرر.

على الرغم من أنني كنت مرعوباً وخائفاً فعلاً مما قد شاهدته إلا أن تدريب وزارة الخارجية (البريطانية) علمني أن أكتب تقريري بشكل إيجابي وموضوعي، ومن دون انفعال قدر الإمكان: أن لواءَي الكوت والعمارة لواءان مهملان وان مستوى المعيشة فيهما واطيء بشكل مخجل. والأسباب الرئيسة لذلك هي وجود ملاكي الأرض و اللصوص سالبي أقوات الفلاحين والزراعة غير الكفوءة. ولم يكن لبرنامج التنمية أي تأثير ملموس. وليس هناك خطر واضح أو مباشر من إحداث الشغب ولكن الأساس موجود لكل من القومية (العربية) والشيوعيين والقوميين الفوضويين. (وقد قيل لي إن الشيوعيين سينجحون في انتخاب حر). ويمكن إثارة المشاعر الوطنية إما بإحداث سياسية خارج العراق وإما بالرفض الحكومي المستمر لاتخاذ إجراء حازم ضد الشيوخ،

أوبمزيج من كلا الإجرائين. أن كل مْن أتحدث إليه ينتقد سياسة الحكومة بشدة. وكان بعضهم يرى أن بالإمكان إعطاء فرصة للحكومة لإعادة النظر بسياستها. كان علي جودت الأيوبـــي رئيساً للوزراء، في حين أن آخرين كانوا يشكّون في طبيعة دوافع الحكومـــة التي لا تبعث على التفـــــاؤل.

انني أرى أن من الضروري أن تتخذ الحكومة العراقية الإجراءات الآتيـــة:

١. زيادة الاعتمادات المالية المخصصة إلى الإدارات المحلية لغرض القيام بمشاريع ذات الأمد القصير لإعطاء نتائج سريعة. أن العمل الجاري لاستصلاح أراضي المستنقعات وتجفيفها في العمارة تحت إشراف المتصرف مثال واضح لما يمكن القيام به. وسوف يحتاج برنامج الإسكان في العمارة إلى تخصيص رأسمال، إذ أن الأشخاص الذين ستوزع عليهم الاراضي لغرض بناء دور لهم لن يكونوا قادرين على توفير المال الضروري للبناء. ويجب القيام بتحسين الطرق في مدينة الكوت.

٢. ينبغي إدارة قانون توزيع الأراضي الزراعية في لواء العمارة بسيطرة تامة، ويجب إزالة حالات الغموض كلها، والتأكيد على عدم خرق النظام. وينبغي أن يتم التوصل لتوزيع الأرض، إذ أن ٥٠% من الأراضي المستغلة من الشيوخ ويجب أن توزع فعلاً على الفلاحين.

٣. يجب عدم ترك التسويات الزراعية الجديدة من دون متابعة في التنفيذ، وإلا فانها ستصبح تحت سلطة الشيوخ. ومن الامور الأساسية الحيوية لنجاح هذه المشاريع هو ضمان توفير المياه والقروض لشراء البذور والاسمدة والمعدات الزراعية وتأسيس مشروع تسويق تعاوني. ولا أستطيع أن أقدر كم سيكون حجم الآلات الزراعية الضرورية، ولكن إذا ما استخدمت فيجب أن يكون هناك مركز للآلات الزراعية ومعهد لتدريب الاشخاص عليها.

٤. يجب القيام بمشاريع ارواء جديدة لسقي الأراضي الزراعية الجديدة وتحسين الأراضي الصالحة للزراعة فعلاً في لواء العمـــارة.

٥. تدعو الحاجة إلى معالجة توزيع الأراضي في لواء الكوت (لأغراض الزراعة).

٦. ان المشاريع ذات الأمد الطويل لها قيمة كبيرة. وبشكل خاص تحدث متصرف العمارة عن مشروع لانشاء معمل للورق.

يجب أن تعير الحكومة اهتماماً كبيراً للظروف المشار إليها في هذا التقرير. ويفترض أيضا أن تدرك الحكومة أن أعمالها سوف تحكمها النتائج، وانها بحاجة للقيام بمشاريع سريعة الأجل لكي تظهر انها تدرك المعضلات التي يعاني منها أبناء الشعب وانها مهتمة بمعالجتها. وعلى سبيل البداية فان الوزراء المعنيين- وبشكل خاص وزراء الداخلية

والزراعة والشؤون الاجتماعية والاقتصاد والإعمار- ينبغي أن يقوموا بجولة تفقدية للواء الكوت ولواء العمارة. وإذا لم يجر القيام بأكثر مما هو قائم حالياً فان ذلك يعني أن الحكومة، على الرغم من رجالها الشباب، هي ليست أفضل من أسلافها وانها ما تزال تحت تأثير الشيوخ المترفيـــن.

استقبل السفير تقريري باهتمام بالغ، ورفعه إلى وزارة الخارجية (البريطانية) مع التعليق التالي: (انني سأعمل ما باستطاعتي لتشجيع الحكومة(العراقية) لمعالجة القضايا المهمة المذكورة في هذا التقرير. وانني آمل انه بإظهار الاهتمام والتعاطف من خلال الحديث مع الوزراء والموظفين المسؤولين قد يكون ممكناً عرض بعض النقاط من دون إظهار صفة التعالي عليهم أو انتقادهم بشكل لاذع). وهكذا تعرض (رايت) إلى مأزق صعب. فعلى الرغم من انه كان أقل قدرة مني على التنبؤ بمجريات الأمور، إلا انه كان يدرك تماماً أن كثيراً منها يجري بشكل خاطيء وانه من الضروري اتخاذ الإجراءات الفورية لاصلاح الأوضاع الفاسدة. اننا لم نكن نمثل (السلطة) العليا في البلاد. وما فعله (رايت) كله هو التحدث بأدب ولطف أيضاً... ولكنهم لم يفعلوا أي شـــيء.

وفيما يتعلق بتقريري، فقد جرى تسجيله ووضعه فـــي ملف من أحد الموظفين الصغار في وزارة الخارجية (البريطانية) مع تعليق عليه.. (هذا هو الجانب المظلم جداً من التنمية العراقية). وما عدا هذا

الموظف الشاب لم يقرأ تقريري أي مسؤول آخر فـــي وزارة الخارجية (البريطانيـــة).

سنة الثورة تبدأ

بعد عودتي إلى بغداد كان علي أن أتدارس الموقف، وأقدر كم هو في الحقيقة خطر وان أتوصل إلى الطريقة التي يجب القيام بها. وكما كنت أتصور كانت الطريقة إلى ذلك هو أن التقي بأكبر عدد من الأشخاص ذوي الآراء المختلفة. وعلى الرغم من حرية التنقل الكبيرة المسموحة لي فهناك بالتأكيد بعض التحديدات لهذه الحرية، فلم يكن باستطاعتي مثلاً زيارة (كامل الجادرجي) وغيره من السياسيين الآخرين المحتجزين، وقلما كنت أتجول بين الأحياء الفقيرة على الرغم من إطلاعي على الظروف التي يعيشها أصحاب الصرائف. وكانت الأسواق مكاناً جيداً للتجول والتحدث، وكنت انا و(ميريت) نجد متعة عند التجوال في هذه الأماكن. وكان التجار ودودين ويتحدثون من غير كلفة. كم كان ذلك الوقت متسماً بالحرية والانبساط !.

كنت أقضي كثيراً من الوقت وانا أصغي إلى المعارضة السياسية العلنية والصريحة. وكان الأمر لي سهلاً جداً، فما كان علي الا أن أتصل بهم هاتفياً وان أعرف نفسي وأطلب فيما إذا كان بإمكاني المجيء إليهم والتحدث معهم. وكباقي العرب فان العراقيين مضيافون إلى أبعد الحدود، ولم يرفض أحد طلبي أبداً (أهلاً وسهلاً أبو سامي) تلك كانت

العبارة الدارجة للترحيب بي. وعندما أخذت أعرفهم بشكل أفضل ازدادت علاقتي بهم، وأصبحت زياراتي لهم من دون موعد سابق وكنت دائما موضع ترحابهم. وقد اتسمت تلك الزيارات بالمتعة، إذ كانوا متحمسين وودودين جداً ولم يوجهوا إلي أي لوم بسبب سياسة حكومتي. وكانوا أيضا سعداء حينما يأتون لزيارتنا.

وتلك الحالة أسعدت قلوبنا، وكنت أشعر أن باستطاعتنا أن نعمل شيئاً للتكفير عن ذنوب آبائنا، عندما قال أحد أصدقائنا الوطنيين (العراقيين): (ان حكومتكم استعمارية وتحب الصهيونيين وتضطهد الشعب العربي، ولكن انت يا أبا سامي صديقنا)، أحسست انهم كانوا يشعرون أن لديهم قضية حيوية عادلة، وان من مصلحة بريطانيا الحيوية أن تعير اهتمامها لهم، وان تعمل بشكل سريع بما يخدم مصلحة الطرفين، ولكن كيف!.

ان معظم المعارضة الذين كنت اتصل بهم قد أصبحوا وزراء بعد الثورة، وكانوا رجالاً ذا وزن ثقيل.. لقد حدث ذلك منذ زمن أستطيع أن أذكر أسماءهم من دون أن أسبب لهم أي خطورة أو لاعقابهم. وفضلاً عن ذلك فانهم كانوا يحملون مباديء وطنية عراقية صحيحة لاشك فيها، وكانوا يعارضون النظام الملكي (القديم) والبريطانيين بشدة وبشكل عقلاني. وكان المرشد والدليل لي في دراسة القومية العربية هو عبد الرحمن البزاز، وهو محام وكان عميداً لكلية القانون قبل أن يعفيه

نوري السعيد من الخدمة[1]، وهو انسان هاديء، ودمث الأخلاق ومثقف جداً ورزين وترتاح له النفس، ولم يكن رجل عنف جداً، وكان يتطلع إلى عراق ديمقراطي، وإلى السماح بتأسيس الأحزاب السياسية، وإلى الحرية من الحكم الاستبدادي والاضطهاد. وبالطبع كان ذلك حلماً ولكنه حاول أن يدرك ذلك عندما أصبح رئيساً للوزراء سنة ١٩٦٥. ولقد اخفق ولكن لم يكن سبب ذاك بخطأ من عنده.

ومن المعارضة أيضاً محمد حديد زعيم الحزب الوطني الديمقراطي المحظور عندما كان كامل الجادرجي في السجن. درس محمد حديد الاقتصاد في جامعة لندن (مدرسة لندن للاقتصاد)، وهو رجل أعمال ناجح وكان خصماً عنيداً للنظام القديم. وبقدر ما أعلم، فان الحكومة لم تعرقل أعماله، ومؤكداً انها لم تودعه في السجن، وربما كان سبب ذلك انه لم يكن يؤيد أو يدافع عن سياسة العنف، ولان نوري السعيد لم يأخذ في حسبانه جدية نشاطه السياسي وتأثيره. لقد كان محمد حديد فيما يتعلق بي صديقاً ودوداً ومفعماً بالحيوية وذكياً، وقد أصبح بعد الثورة وزير المالية لقاسم والوزير الأقدم في حكومته.

---

[1] لم يعف نوري السعيد ولا عبد الكريم قاسم، البزاز من الخدمة ولكن الأول نفاه إلى شمال العراق والثاني أودعه التوقيف ثم أطلق سراحه، فالتجأ إلى (الجمهورية العربية المتحدة) ومن هناك بعث باستقالته المدوية، والتي تنبأ فيها بزوال نظام قاسم والشيوعيين. هذا ولابد من الإشارة إلى انه سيصدر جزءان من موسوعة ١٤ تموز للعميد خليل إبراهيم الزوبعي عن وزارتي البزاز الأولى (أيلول ١٩٦٥)، والثانية (نيسان ١٩٦٦)، وما لهما وعليهما معززة بالوثائق.

لم يكن أولئك الرجال رجال عنف، ولكنهم كانوا يخشون وقوع العنـــف ما لم يغير النظام سياسته جذريـــاً. ومن جانبي فقد سجلت محادثاتي كلها وقدمتها للسفير الذي تسلمها وهو يشك في بعض ما ورد فيها، وجعلني أعتقد انه قد ناقش بشكل عام تلك المعلومات مع نوري السعيد، وان الباشا قد نفاها بإزدراء بوصفها (تبجحات خالية من الصحة لمحامين متطرفين) لا تؤخذ مأخذ الجد. وقد رفض (رايت) مقترحي في أن أدعو صفوة المعارضة للالتقاء بهم في داري وذلك لانه أعتقد أن نوري السعيد لن يروق له ذلك.

انني أشك في أن الرجل العجوز (نـــوري) يهتم لهذا الأمر إطلاقا، وحسب معلوماتـــي فان (رايـــت) لم يلتق أبداً بأي فرد من المعارضة، إذ ترك لي ذلك الأمر، وكان يعتقد انني متأثر جداً بآراء أصدقائي القوميـــن ولذلك فانه لم يعتقد كثيراً بحسن تقديري للأمور حتى في أوائل سنة ١٩٥٨ عندما كنت أؤكد له أن النظام الملكي في وضع خطر وآيل للسقـــوط.

ومما ساعد في زيادة خطورة تهديد النظام فـــي العراق، التطور السياسي المهم جداً الذي حدث خارج العراق. ففي الأول من شباط ١٩٥٨ أعلنت الجمهورية العربية المتحدة (وحدة سوريا ومصر). وكان القوميون العراقيون تغمرهم الفرحة بهذا الحدث، في حين كان نوري وعبد الإله ينظران إلى ذلك الحدث بانه تبلور لمخاوفهم جميعها من عبد الناصر، وكانا يخشيان أن يؤدي ذلك إلى الإطاحة بالنظام

الهاشمي في الأردن، ومن خلال سيطرته على انابيب النفط فانه سيعمل بوصفه قوة خانقة اقتصاديا ضد العراق. وكان الاتحاد العربي بمثابة تحد سياسي قوي، لان عبد الناصر كان بطلاً للعراقيين، وهو القائد الوحيد الممكن لحركة وحدة الشعوب العربية.

قدم السياسيون جميعهم من المعارضة طلباً موقعاً من قبلهم إلى نوري السعيد في ١٥ آذار ١٩٥٨. وكان طلباً رائعاً ومثيراً ليس فقط لمحتواه وانما أيضاً لانه لم يتخذ أي إجراء سيىء ضد الموقعين علية البالغ عددهم (٤٢) شخصاً. وفيما يأتي نص الوثيقة:

إلى صاحب الفخامة رئيس الوزراء

لقد عدتم إلى السلطة في وقت يقف العراق فيه على مفارق طرق عدة، وان مصير الأجيال القادمة سوف يعتمد فيما إذا كان المسار المتبع هو المسار الصحيح. في السابق اخترتم سياسة معينة أدت إلى انحراف مسار العراق عن الأمة العربية، لكي تربطوا العراق بميثاق بغداد وبالاتفاقية الخاصة مع بريطانيا. أن السير بهذه السياسة يؤدي إلى تعطيل الحقوق الدستورية للشعب. وفي هذا الجو الخانق الذي يسود في العراق أصبح من المستحيل للشعب أن يعبر عن وجهة نظره من دون خوف. اننا الموقعون رأينا انه من الصواب التعبير بصراحة إلى فخامتكم عن الحقائق الصحيحة على أمل أن هذه الحقائق سوف تقنع الحكومة لاتباع المسار الصحيح الأوحد الذي يتماشى مع مصالح الشعب ومطاليبهم وتطلعاتهم الوطنية (والقومية).

وبعد التوسع في هذا الموضوع والإشادة بالوحدة بين مصر وسوريا ينتهي الطلب بما يأتي:

لذلك فاننا نعد انه من واجبنا الطلب من فخامتكم أن تعطوا أهمية إلى أماني الشعب، والتي هي واضحة بشكل تام، والرغبة في توحيد الصفوف العربية والتحرر من ميثاق بغداد ومن الاتفاقية الخاصة مع بريطانيا واستعادة الحريات الدستورية، والتي تتضمن الحرية لتنظيم الأحزاب والاتحادات السياسية، واطلاق سراح الأشخاص المتهمين بالقضايا السياسية، لكي يصبح الشعب قادراً على التعبير عن إرادته بشكل صريح، والتي تهدف إلى التوصل إلى الوحدة المنشودة بين الدول العربية جميعها.

نرجو يا صاحب الفخامة أن تتقبلوا خالص إحتراماتنا.

بغداد في ١٥ آذار ١٩٥٨

نسخة إلى القصر (الملكي)

ان النصيحة التي قدمت إلى الحكومة والقصر هي أن يأخذوا ما جاء في هذا الطلب المهذب جداً في صياغته بشكل جدي، إذ انه من الصعب جداً عدم الاكتراث بما جاء فيه وانه (تبجحات فارغة لمحامين متطرفين). وفعلاً كان ذلك الطلب موقعاً من أعضاء المعارضة جميعهم باستثناء كامل الجادرجي الذي كان مودعاً في السجن. وفي أعقاب هذا الطلب أصدرت المعارضة في الخامس من نيسان (بياناً إلى شعبنا العراقي النبيل) تدعو الشعب فيه إلى مقاطعة الانتخابات. وقد وزع ذلك

البيان بشكل واسع في أوساط الشعب على الرغم من انه لم يطبع. وعلى عكس الطلب الذي سبقه فان هذا البيان لم يوقع ولكنه أقر من الموقعين جميعهم على الطلب السابق مع بعض الإضافات.

ولتلخيص هذا البيان فانه استنتج مما قد ذكر في مقدمة البيان انه من الواضح أن العراق يعيش تحت حكم دكتاتوري مطلق سيدمر كل ما تبقى من الحياة الدستورية، ويقضي بقوة على الحقوق السياسية للعراقيين وذلك باضطهاد أفراد الشعب الأحرار وإثارة الشكوك ضد الأبرياء وإلقائهم في السجون ومعسكرات الاعتقال. أن هذا الحكم لا يعير اهتماماً للمذكرات السياسية المرفوعة الى الدوائر الرسمية ويمنع نشرها في الصحف.

في هذا الجو الخانق وتحت ظل هذه الظروف الشاذة، لا يجد الشعب أي مسوغ لان يشارك في الانتخابات المعروفة نتائجها سابقاً، والتي تهدف إلى إعادة الذين يؤيدون السياسة المفروضة سلفاً، والتي وصفناها فيما تقدم. لذلك فان شعب العراق يجب أن يقاطع هذه الانتخابات وان لا يعترف بالمجلس النيابي الذي سينبثق عنها، ويحلل الشعب نفسه من الالتزامات المؤيدة من المجلس الذي لا يمثل إرادة الشعب. اننا ندعو المواطنين جميعهم الى مقاطعة الانتخابات وان لا يتخذوا أي دور فيها وبأي شكل كان.

بغداد في الخامس من نيسان ١٩٥٨

في حين أن هاتين الوثيقتين قد عكستا بدقة تامة ما كان يفكر به العراقيون من الناحية السياسية، وأوضحتا رسالة المعارضة بوضوح، فانهما يوضحان بدرجة عالية ما يجعل أغراضهما مفهومة تماماً. بالتأكيد لم تكن في العراق ديمقراطية كديمقراطية (وستمنستر* Westminster) البريطانية ولكن كانت هناك قلة من نواب المعارضة في المجلس النيابي مسموح لهم التكلم بحرية نسبية. وفي الواقع كانت الأحزاب السياسية ممنوعة والصحافة مقيدة، ولكن الأمر المذهل هو كيف أن الشعب كان ينتقد الحكومة بشكل علني وغير ممنوع. ولم يتعرض محررو هاتين الوثيقتين للعقاب فعلاً ولا إلى ما يعرقل توضيح القضية المطلوبة التي كانوا يحاولون عرضها.

وعلى أية حال فان الوثيقتين معاً تلخصان الأسباب السياسية الرئيسة للثورة، والى جانب ذلك الفقر والشيوخ القتلة، وإذاعة صوت العرب، وكره الوصي، وإلى حد ما كره نوري السعيد... وهكذا كان العراق برميلاً كبيراً هائلاً من البارود في انتظار اللحظة المناسبة للاشتعال والانفجار.

إجراءات الحكومة وردود أفعالها

قدّم (علي جودت) استقالته من رئاسة الوزارة لانه كان يرغب على الأقل في الحصول على الاستقلالية في العمل، ولم يكن متهيئاً لان

---

* إشارة إلى مجمع وستمنستر Westminister Hbys الذي يقع البرلمان بقربه (المترجم).

يصبح خادماً للقصر والباشا. ولم يعقبه نوري السعيد في رئاسة الوزارة بشكل مباشر، وانما أعقبه سياسي شيعي يدعى (عبد الوهاب مرجان)، وهو شخصية محبوبة ولكنه كان خادماً مخلصاً تماماً لعبد الإله. وكان بشكل عام يعرف بـــ (المسكين عبد الوهاب).

رداً على تأليف الجمهورية العربية المتحدة كان جواب النظام في العراق هو اتحاد العراق والأردن برئاسة الملك (فيصل)، ونائبه الملك (حسين). وعاد (نوري) إلى السلطة بشكل علني بوصفه رئيساً لوزراء الاتحاد وتم تعيين (أحمد مختار بابان)، أحد رجال القصر، رئيساً لوزراء العراق وحددت مسؤولياته داخل العراق وفي المجال المدني فقـــط.

لم تكن الحكومة جادة في ميلها إلى إجراء انتخابات حقيقية، فقد أدعى (خليل كنة) رئيس المجلس النيابي المنحل أن حوالى ٧٠% من مساندي الحكومة سيعودون إلى المجلس بانتخابات حرة ! وكانت لديه فكرة أن لا ضير من السماح لبعض المعارضة بترشيح انفسهم وانتخابهم. وأضاف بانه من الضروري مراقبتهم والتضييق عليهم بشدة إذا ما خرقوا القانون. ولكنه يعتقد انه سيكون من المفيد للعراق أن تكون لديه معارضة نشطة في المجلس النيابي، إذ أن ذلك سيوفر صمام أمان للسخط الشعبي بشان فقدان الحريات السياسية في أوساط الطبقة المثقفة. أن هذا التفكير غير واقعي تماماً، إذ أن المعارضة لن تقنع بصمام الأمان هذا، فانها قد طالبت بإجراء تغيير جذري تام في السياستين الداخلية والخارجية، وكما هو موضح في الطلب الذي قدموه إلى الحكومة وفي

البيان الذي أعقب ذلك الطلب. والرأي الحكومي الآخر هو ما طرحه سامي فتاح وزير الشؤون الاجتماعية[٢]، إذ كان يعتقد أن العراق ليس مؤهلاً لممارسة الدستور أو الديمقراطية الغربية، وانه من الأفضل للعراق تعيين أعضاء المجلس النيابي بشكل صريح وعلني بدلاً عن خوض مسرحية انتخابات محبوكة، والتي هي من الصعب أن لا تنطلي على أحد.

وكانت الانتخابات انذاك عرضة للتلاعب بدرجة كبيرة، كما لو أن النواب يجري تعيينهم وليس انتخابهم انتخاباً حراً، وكان الرأي العام فاتر الشعور فيما يتعلق بنتائج الانتخابات.

وبالتأكيد فان تشكيل الاتحاد العربي (الهاشمي) لم يساعد في تقوية نظام الحكم في العراق، بل بالعكس أضاف مسامير جديدة في نعشه الذي دقت فعلاً فيه. وبالتأكيد فان الاتحاد العربي لم يكن مرغوباً من الغالبية العظمى الذي عدته أمراً مؤكداً للانقسام في العالم العربي بين العرب الحقيقيين بقيادة عبد الناصر وبين العرب خدم الاستعمار بقيادة نوري السعيد وعبد الإله. وكان لإذاعة صوت العرب القاهرية يوم مشهود في تعرية الاتحاد وتمزيقه في دعايتها الصاخبة والاستهزاء من (الملك القزم حسين) واستخدامها الكلام البذيء.

---

[٢] يقصد اللواء الركن الطيار المتقاعد سامي فتاح أحد قادة القوة الجوية الملكية، والذي تولى وزارة الشؤون الاجتماعية بعد أن أحيل على التقاعد من الخدمة في الجيش.

في مايس كتب (مايكل رايت) رسالة مطولة ومهمة إلى وزارة الخارجية (البريطانية)، وهي رسالته ما قبل الأخيرة قبل حدوث الثورة. وقد عكست هذه الرسالة في بعض أجزائها، ومن طرف خفي، كثيراً مما قد كتبته شخصياً إلي السفير. وهكذا ابتدأت الرسالة بالحديث عن (العنصر الكامن للانفجار وبشكل خاص ضمن الطبقة الوسطى النامية نتيجة للإحباط السياسي تحت حكم نوري السعيد وعبد الإله القمعي، فضلاً عن اعتقاد بعضهم في هيمنة بريطانيا ودورها الشرير في توجيه الحكم في العراق). ولكن الاستنتاجات التي توصل إليها السفير كانت بعيدة عن الصواب وتتناقض بشكل تام ومن أوجه عدة مع ما ورد في تلك الرسالة من معلومات مهمة وذات بعد عميق في التفكير.

ان الجيش، على الرغم من انغماسه في السياسة في الماضي، لم يظهر في الوقت الحاضر أية علامات للعمل السياسي، وإذا ما استمر دعم الجيش بقيادة جيدة وإذا ما روعيت واستمر ملاحظة مصالح الضباط وضباط الصف N.C.O، فمن المحتمل جداً أن يستمر هذا الجيش في دعمه نظام الحكم.

ولدى قيام وزارة الخارجية (البريطانية) بدراسة رسالة السفير وضعت علامة تعجب كبيرة على الفقرة الخاصة بالجيش والمذكورة أعلاه. وفعلاً لم تكن هناك (دلائل) تشير إلى (انغماس الجيش في السياسة). ولم تكن لدينا نحن البريطانيين، ومن المفترض أيضاً الأمريكان، استخبارات خاصة بنشاط الضباط الأحرار (وهي المجموعة

من الضباط التي خططت للثورة، كما حدث ذلك في مصر سنة١٩٥٢)، (أي قبل حدوث الثورة بوقت قريب جداً). لقد تم تحذير نوري السعيد والوصي بوقت متأخر ووزير الداخلية ورئيس الأركان العامة، حتى انهم زوّدوا باسم (قاسم) ولكنهم أهملوا تلك المعلومات ولم يعيروها أي اهتمام. وقد قيل أن نوري السعيد أشار إلى أن (كرومي – وهو أسم التحبيب الذي كان يطلقه نوري على قاسم) من المستحيل الشك في نواياه (وانه صديقي!). وأما من جانبي فلم تكن لدي استخبارات قوية عن النشاط السياسي في الجيش وانما كان لدي مجرد هاجس قوي مستند إلى العديد من محادثاتي مع المعارضة.

وبعد شهرين من كتابة (رايت) رسالته الرسمية (إلى وزارة الخارجية البريطانية)، أخبرني أحد الأشخاص الحكوميين الموثوق به جداً أن هناك مجموعة من الضباط في الجيش تخطط للإطاحة بالحكومة. وبالطبع فانني أخبرت (رايت) بتلك المعلومات وكان مهتماً جداً بالموضوع، إلا انه لم ينقل تلك المعلومات إلى وزارة الخارجية البريطانية. وقال (رايت) أيضاً في رسالته المرسلة في نيسان:

إذا ما تطور موقف ثوري في العراق لسبب أو لآخر فمن غير المحتمل جداً أن يؤدي أي من الراديكاليين (المتطرفين) الأغنياء الجالسين على قمة الجبل الجليدي (كما كان سابقاً يصف المعارضة بهذا الوصف) أي دور مهم. (ولكن الحقيقة انهم جميعاً أصبحوا أعضاء في الإدارة الثورية، ولكن لم يصبح أي منهم قائداً للثورة). والأكثر احتمالاً

أن قائداً سيظهر من بين الأشخاص الأصغر سناً وربما من الطبقة الوسطى أو من المثقفين أو من بين ضباط الجيش. وبسبب طبيعة الأشياء فان مثل هؤلاء القادة يميلون إلى الظهور عندما ينضج الموقف الثوري، وعليه يستحيل القول أن هناك قائداً ثوريا مؤثراً موجوداً فعلاً في هذا الوقت. أن (ضابطاً من الجيش منحدراً من الطبقة الوسطى) هو وصف ينطبق تماماً على (قاسم). ولكنه بعد هذا القول كتب العبارة غير الاعتيادية الأتية، والتي حصلت أيضاً على علامة تعجب من وزارة الخارجية البريطانية: (إلا انه من المؤكد جداً اليوم أن موقفاً ثورياً لا وجود له).

انه لمن الصعوبة بمكان معرفة السبب الذي يجعله يعرض نفسه للتهلكة بهذا الشكل. وكان رده على احتجاجاتي القوية في هذه المناسبة وغيرها من المناسبات (ان فهمك للموقف مخطوء يا سام). وبدأت علاقتنا الشخصية تتعكر، وقد توصلت إلى اختباري الصارم في نيسان بشكل ناجح. انه لم يكن عداءً شخصياً، لقد رأينا تواً الموقف السياسي وهو يختلف بدرجة تامة عما كان عليه قبل مدة وجيزة.

لقد كان (رايت وزوجته) صديقين ودودين لنا بدرجة كافية، وفي إحدى المرات عندما كنا (انا وزوجتي ورايت وزوجته) نتجاذب أطراف الحديث بطريقة تبعث على الارتياح، سألني (مايكل رايت) فيما إذا قد فكرت بالاشتراك في العمل السياسي، ومع أي حزب سأعمل. وقبل أن أجيب عن هذا السؤال، تدخلت السيدة (استر Esther) في الحديث قائلة:

(انّ ســـام سوف يكون إلى جانب المعارضـــة). لقـــد كانت مصيبـــة فـــي قولهـــا.

وفي ذلك الوقت تقريباً ذهبت (ميريت) مع أحد الأصدقاء في رحلة إلى طهران وعادا بالباص إلى بغداد. وكانت هذه الرحلة لغرض زيارة بعض الأصدقاء القدامى. وكانت الرحلة متعبة ولكنها آمنة. وعادت (ميريت) تحمل معها مشاهداتها وقصصها عن أصدقائها المدهشين المسافرين معها، وكان أحدهم هو الطباخ الخاص لنوري السعيد. وكانت (ميريت) متأثرة بشكل خاص بالحديث المفتوح في الباص عن الثورة الوشيكة الوقوع. وقد أخبرها أحد الشباب بمعلومات مفصلة على غرار ما كنت أسمعه بآستمرار من المعارضة. ولم يأخذ (رايت وزوجته) ما روته (ميريت) مأخذ الجد. وقد بدانا (انا وزوجتي) بالتفكير للتخطيط بالقيام برحلة إلى بيتنا، وهي خطوة مهمة لها وللأطفال (ستينا عمرها ١١ سنة، والصغيرة انا عمرها ٤ سنوات)، وقد تعلمتا كلتاهما اللغة العربية بطلاقة، وكانتا تلعبان مع الأطفال العراقيين. انه لمن المحزن الافتراق عن بعضنا البعض، ولكن يبدو أن ذلك القرار كان صائباً أو حكيماً.

قضية الكويت*

كان نوري السعيد كأسلافه السابقين أو الذين جاءوا بعده، يعد الكويت جزءاً لا يتجزأ من العراق. ولم يقم بأي إجراء بهذا الصدد، لانه

---

* أشار المؤلف الى وصف قضية الكويت بعدّها Syndrome أي متلازمة أو متزامنة وهي حالة مرضيّة، واقترحنا ترجمتها بقضية الكويت وهي الأقرب للحقيقة.

لم يرغب في إزعاج حلفائه البريطانيين الذين قاموا بحماية تلك البقعة الصحراوية الصغيرة الغنية بالنفط. ولكن تشكيل الاتحاد الهاشمي غيّر الأمور، وأدرك نوري السعيد أن الفرصة مواتية ليضرب عصفورين بحجر صغير واحد.

لقد استحوذ موضوع إضافة الكويت إلى الاتحاد على تفكير نوري السعيد، إذ ركز على هذا الموضوع، في حين أهمل اللالئ الموجودة على عتبة بابه. وقدر بانه يبقى على البريطانيين أن يقنعوا الكويت بالانضمام إلى الاتحاد الهاشمي. وعندما توقف (سلوين لويد Selwyn Lioyd) وزير الخارجية البريطاني في بغداد في السابع من آذار، واجهه نوري السعيد بخيارين: إما أن تتخلى بريطانيا عن علاقتها الخاصة مع الكويت، وبذلك تجبر الدولة الصغيرة البائسة على الانضمام إلى الاتحاد العربي (الهاشمي)، وإما أن يترك العراق بشكل مستقل ليتولى تحقيق ادعاءاته بضم الكويت له. ولم يكن ذلك الطرح مقبولاً لدى حكومة صاحبة الجلالة، ولكن وافقت على محاولة إقناع حاكم الكويت بفوائد الاتحاد.

قام حاكم الكويت بزيارة العراق في المدة من ١٠ الى ١٤ مايس، وقد جرى له في بغداد استقبال رسمي تام. ولقد كنا كما يقول مثل دنماركي (أشبه بقملة محصورة بين ظفرين). فمن ناحية كان العراقيون يضغطون علينا بشدة متناهية لإجبار حاكم الكويت (للانضمام إلى الاتحاد العربي)، ومن الناحية الأخرى فهناك حدود لما ينبغي أن نقوم به. أن حاكم الكويت ذو تفكير مستقل ومن السخف أن نزعجه بالضغط

عليه. أن العلاقة معه هي من نوع العلاقات التي بدأت تحدث في سياسة بريطانيا في نهاية عصرها الإمبراطوري، والتي أخذت تعتمد بدرجة أكبر على المصالح المشتركة المفترضة بدلاً عن الاعتماد على استخدام القوة كما كان الحال في الماضي. وبالتأكيد اننا نستطيع أن نقدم النصح لحاكم الكويت وان نحميه تجاه الاعتداء الخارجي ولكننا لا نستطيع إجباره على الانضمام إلى الاتحاد الهاشمي.

وفي المساء الذي وصل فيه الشيخ عبد الله (الى بغداد) قام (رايت) بزيارته والترحيب به رسمياً. وقد ذهبت معه أيضاً، بصفة مترجم للسفير، ولكن لحسن حظي أن الحاكم كان يصطحب معه مترجمه الخاص ولذلك تمكنت من الاستراحة والاستماع إلى تلك المحاورة الشيقة المتبادلة بين الحاكم والسفير. وكان (عبد الله)* مثالاً لشيخ في الصحراء قوي البنية وسيم المنظر، وكبير في السن، وفي عينيه بريق الحيوية، وتبدو عليه روح الدعابة والمرح، ومع ذلك فهو مؤدب بوقار. وبعد تبادل المجاملات الأولية أبتدأ عبد الله حديثه بحماس، وأبدى قلقه الشديد فيما يتعلق بمستقبل الكويت، فهو يخشى من وقوع ثورة فيها، وهو لا يدري ماذا يفعل حيال ذلك. انه يشهد الانقسامات الحالية في العالم العربي ، حيث كل من الجمهورية العربية المتحدة والاتحاد العربي (الهاشمي) يهاجم الآخر في حرب دعائية وهو أمر خطير ويؤسف له. وهناك ردود فعل شعبية قوية في الكويت والبحرين وفي

---

* المقصود هو الشيخ عبد الله السالم الصباح شيخ الكويت الأسبق.

الخليج عامة لصالح تأليف الجمهورية العربية المتحدة أكثر مما يخص تكوين الاتحاد العربي (الهاشمي). وهو يشك تماماً فيما إذا سيكون الاتحاد معارضاً فعالاً تجاه الجمهورية العربية المتحدة، وهو يعتقد أن ذلك سيزيد من حدة التوتر وخطورة قيام ثورة. ويؤكد فيما يتعلق بالطرفين (الجمهورية والاتحاد) ضرورة تسوية الخلافات بينهما، ويرى انه من الأفضل للكويت أن تبقى خارج صراع الكتلتين، وانه يحاول القيام بالتوسط بينهما، وهو يرغب بالذهاب بنفسه الى القاهرة ويلتمس من عبد الناصر أن يوقف دعايته ويعمل بطريقة ودية من أجل الوحدة العربية. وسأل (رايت) عن رأيه فأجاب (انا اتفق معه، أن الرجل الكبير مصيب في رأيه تماماً).

لقد تحدث (رايت) بشجاعة ومن القلب أيضاً عاكساً سياسة حكومة صاحبة الجلالة وسياسة نوري السعيد، والتي يتفق معها بصدق. وفي عرضه الواضح للسياسة البريطانية الشرق أوسطية في مايس ١٩٥٨ التي استهدفت تحجيم نفوذ عبد الناصر وتعكس ظلال سياسة أيدن، قال أن الحكومة البريطانية تأسف بشدة وبعمق مثلما يأسف حاكم الكويت نفسه للنزاعات الحالية بين الأقطار العربية. ولكن من الضروري إجراء تقييم واقعي للأسباب. أن كلاً من العراق والأردن والكويت ولبنان والسعودية لم يقم بأي عمل لتخريب مصر أو مهاجمتها بأية صورة كانت. وعلى العكس من ذلك، فان هذه الأقطار جميعها كانت راغبة بالتعاون مع مصر. ومع ذلك استمرت القاهرة بمهاجمة العراق حتى

انها ناشدت الجيش والشرطة العراقيين للقيام بالثورة. ووصف (رايت) بشيء من التفصيل جهود عبد الناصر الرامية إلى إسقاط انظمة الحكم في لبنان والأردن والعربية السعودية، واستنتج أن عبد الناصر (دكتاتور) ثوري يرغب أيضاً بقيام ثورة في الكويت لكي يتمكن من الاستحواذ على عوائدها النفطية. وبمثل هذه الظروف قال (رايت) لـ (عبد الله) انه ليس من الصحيح القيام بالتوسط. وان الإجراء الصحيح هو أن على الأقطار العربية التي تريد الحفاظ على استقلالها بعيداً عن تأثير (الدكتاتور) المصري أن تعمل سوية وبمشاركة ودية. وقد طمان الحاكم بان أية درجة من الارتباط بين الكويت والعراق أو الاتحاد العربي ستلقى الدعم التام من الحكومة البريطانية. وفضلاً عن ذلك فان علاقة بريطانيا مع الكويت لن تتأثر سلباً وبإمكان الكويت أن تعتمد على الدعم البريطاني تماماً مثلما كان ذلك في الماضي.

كان الحاكم يصغي بانتباه عندما كان هذا الحديث يترجم له بكامله، ومن ثم التفت إلي قائلاً: (انت تعرف لغتنا وشعبنا.. ماذا تعتقد؟). كنت فرحاً لهذا الإطراء الجميل وفي الوقت نفسه كنت مضطرباً لاني كنت متفقاً معه، ومن الواضح انه قد عرف من تعابير وجهي بماذا كنت افكر وكان يقدر موقفي هذا ويمازحني بلطف. قلت له: "ما انا إلاّ مترجم فحسب"، وانا متأكد أن الشيخ عبد الله لم يكن مقتنعاً بإجابتي، إذ قال: "كلا، انت المستشار الشرقي في السفارة والمستشار السياسي للسفير، وهذا أمر مهم. ماذا تعتقد فعلاً؟). مهما كان الرأي المخالف الذي كنت

أعتقده إلا انه لا يمكنني أن اناقض ما قاله السفير في مثل هذه المناسبة، ولذلك كان رد فعلي معتدلاً وبشكل غير مقنع: (ما قاله نفسه سيادة السفير). لقد كانت تلك لحظة سيئة، إذ أن لي زوجة وثلاثة أطفال يعتمدون عليّ.

لقد أجرى (رايت) حديثين آخرين مع الحاكم وأقام له أيضاً دعوة عشاء في السفارة حضرها (عبد الإله). وهذا الكلام كله لم يغير من موقف الحاكم تجاه الاتحاد العربي مثقال ذرة. لم يكن لديه أي ميل إطلاقاً للانضمام الى الاتحاد العربي، ولكنه كان حذراً أن لا يثير العراقيين ضده وان لا يزعج البريطانيين في أن واحد، وقد طرح الأمر كالآتي: مهما كانت رغباته الشخصية فان الكويت لن تنضم الى الاتحاد العربي لان ذلك ضد الرأي العام الشعبي في الكويت، والذي هو موالٍ لعبد الناصر وللجمهورية العربية المتحدة. ووافق عبد الله على عدم القيام بزيارة عبد الناصر – ويبدو انه كان قد أرسل رسالة الى عبد الناصر على الرغم من انه نفى ذلك لـــ (رايت). وقال بشكل غير واضح جداً انه قد يفكر بنوع من الاتفاق أو التقارب مع العراق بعيداً عن الانضمام إلى الاتحاد. وكانت إحدى أفكار رايت الغريبة انه ينبغي أن تنظم الكويت الى ميثاق بغداد، وقد رفع ذلك المقترح الى وزارة الخارجية البريطانية ولكنه، بقدر ما أعلم، لم يفاتح بذلك المقترح لا العراقيين ولا حاكم الكويت.

وقد تظاهر نوري السعيد بانه غاضب تجاه البريطانيين وانتقد السفير (رايت) بمرارة، وأسمعه كلاماً مزعجاً يحمل في نبراته التهديد

موضحاً انه سيأخذ الأمور على عاتقه، لان كل عراقي يعتقد تماماً أن الكويت بحق هي جزء لا يتجزأ من العراق. ولم يكن نوري السعيد أحمق لدرجة انه سيقوم بغزو الكويت، ولكنه كان يفكر جدياً أن بإمكان البريطانيين إجبار الكويت على الانضمام الى الاتحاد العربي ولكنهم لن يفعلوا ذلك لأسباب ذرائعية ميكافيلية[٣] تخصهم.

الاقتراب السريع من الثورة

حتى في حرارة الصيف فان بغداد بمناخها الصحراوي الجاف تبرد في الليل. وقد جرت العادة، عندما كنا نعيش في العراق، أن يقيم العراقيون الموسورون حفلات ليلية تبعث على الانشراح والسرور في حدائقهم الخاصة. وكانت السلوى الوحيدة للإحساس بالامتزاج الاجتماعي هو أن الفقراء المجاورين لهؤلاء الأغنياء يحصلون على وجبة طعام مشبعة من الفضلات المتروكة من الحفلات. وفي نهاية إحدى تلك الحفلات السخية أبديت ملاحظة لـ (ميريت): (ان الثورة الفرنسية في سنة ١٧٨٩ ستتكرر في العراق)*.

كنت مقتنعاً أن الثورة ستحصل في أي وقت، وكنت أخبر السفير دائماً عن المحادثات كلها التي كنت أجريها وأسجلها بشكل مفصل وأقدم له تقديري الخاص للموقف. وبالمقابل كان يؤكد لي باستمرار انني

---

[٣] وهي مبادئ السلوك التي وضعها ميكافيلي، والتي تتسم بالمكر والنفاق وسوء النية.(المترجم)

* في إشارة واضحة لتفاقم الأوضاع. (المترجم)

مخطيء في تصوراتي عن الحقائق. ولإدراكي الحقائق كنت ألح عليه بشدة لإخبار وزارة الخارجية البريطانية بآرائي الخاصة. وكان السبب في عدم إرسال تقاريري هو انه لا يريد أن يظهر نفسه أمام الوزارة بانه (مثير للمخاوف أو المخاطر من غير داع لها) بتعبير معلومات تبعث على الذعر والخوف. ولكن (رايت Wright ونوري Nuri) هما اللذان قدرا الموقف بشكل خاطيء. ومازال استذكاري الأحداث يؤرقني ليلاً على الرغم من مرور ثمانية وثلاثين عاماً على الثورة، ولكن الأسف مضن ولن يوصل إلى نتيجة.

وبعد أن حجزت تذكرة سفر لعائلتي إلى لندن، شعرت انني أكثر قدرة للتركيز على العمل المكلف به في بغداد. كتبت مذكرة مطولة الى السفير (رايت) مستنداً فيها إلى ملاحظاتي ومحادثاتي مع العديد من العراقيين ومن كلا الجانبين (الحكومة والشعب). وكانت الغالبية العظمى من الأشخاص الذين كنت أتصل بهم خائفين من وقوع العنف وكانوا يرون أن انقلاباً عسكرياً هو آخر وسيلة قد يجري اللجوء إليها لتغيير الحالة، ويطمحون الى اجهاضه سلمياً وانسانياً إن كان ذلك ممكناً. أن مذكرتي هذه التي أشير إليها في كتاب (العراق الجمهوري) لمؤلفه (مجيد خدوري Majeed Khadduri)، ابتدأت بخلاصة عن الموقف السياسي واختتمت باستنتاج مفاده انه إذا لم يتخذ الإجراء المناسب فوراً فسوف تحدث ثورة وربما ستكون ثورة دموية، وستكون الحكومة الجديدة حكومة قومية عربية، ومن غير المحتمل انها ستكون

موالية لنا بشكل خاص. انها لن تكون حكومة شيوعية ولكنها ستكون مستندة إلى مبدأ (عدو عدوي صديقي) ومن المحتمل انها ستنظر الى الاتحاد السوفيتي نظرة ودية. وعند التحدث في ذلك الوقت، في غضون الحرب الباردة، كان يطلق على هذه السياسة أن تكون الحكومة (حيادية).

كان يبدو لي أن هناك خيارين محتملين هما:

١. ينبغي تحذير نوري السعيد وعبد الإله بشكل واضح وجلي، ومن المفضل أن يتم ذلك من لدن السفير البريطاني وسفير الولايات المتحدة الأمريكية سوية، بان هناك خطراً شديداً من حدوث ثورة، ومن المحتمل أن تكون الثورة بشكل انقلاب عسكري. ويجب على الحكومة أن تشدد فوراً على اتخاذ الإجراءات الأمنية في الجيش، وبناء على عمل ملح عاجل عليها أن تضع برنامجاً للإصلاح الاجتماعي والاقتصادي. ويجب أن تقلص سلطة شيوخ العشائر وتأثيرهم إلى درجة كبيرة. وينبغي كلما أمكن تبني سياسة الوفاق تجاه مصر.

٢. أن الغالبية العظمى من الشعب العراقي يكرهون عبد الإله بشدة ويبغضون نوري السعيد. وسوف يستمر الموقف الثوري بالوجود طالما بقي هذان الشخصان يحكمان العراق. ينبغي أن يتقاعد نوري السعيد عن العمل السياسي وينبغي أن يغادر عبد الإله البلاد، ربما بوصفه سفيراً في واشنطن، أو من الأفضل أن يتم إقناعه بمغادرة البلاد والعيش بهدوء في المنفى.

وهكذا ظهر أن هناك شخصاً يصلح لان يكون رئيس وزراء مثالياً هو الفريق نور الدين محمود وهو ضابط عمل في السياسة، ويحمل مباديء وطنية لا تشوبها شائبة، ومحبوب في صفوف الجيش وموال للملك. وكان الملك معرضاً أحياناً للازدراء وأحياناً أخرى للشفقة، إلا انه لم يكن مكروهاً، وان الوطنيين من العراقيين كانوا يتسامحون في الإبقاء عليه بوصفه ملكاً دستورياً. وكان عليه أن يطلب من نور الدين محمود أن يشكل حكومة جديدة. ويجب أن تكون هذه الحكومة مؤلفة من خليط من الوطنيين المدنيين المعتدلين على الرغم من أن رئيس الوزراء شخص عسكري. ومع ذلك فقد كان نوري السعيد جنرالاً أيضاً.وكان في تقديري أن مثل تلك الحكومة، إذا ما جاءت إلى السلطة من دون إراقة دماء، لن تتعرض الى التهديد بالإطاحة من الدافعين الرئيسين لنشوب الثورة وهما نوري السعيد وعبد الإله المتهمان بالخنوع للبريطانيين وانهما سبب النزاع مع القومية العربية المنبعثة بقوة بقيادة الرئيس عبد الناصر. أن هذه الحكومة لن تنضم إلى الجمهورية العربية المتحدة ولكنها ستحاول إقامة علاقات جيدة مع مصر والدول العربية الأخرى بوصفها أسبقية أولى. وستكون سياستها حيادية في الحرب الباردة، وهذا يفترض أن يؤدي إلى خروجها من ميثاق بغداد، وان تطالب بمغادرة القوة الجوية الملكية (البريطانية) من مطار الحبانية. ولن تتدخل في عرقلة سريان النفط ولن تؤمم شركة نفط العراق على الرغم من انها ستتطلع للحصول على عوائد أفضل من هذه الشركة.

انني مقتنع انه لو وجدت مثل هذه الحكومة ما حدثت ثورة ١٤ تموز. وفيما عدا ذلك لا يجد المرء نفسه إلا أن يخمّن وقوع الأحداث. وعلى وفق ما قاله البزاز وحديد فانهم قد يجيزون تأسيس أحزاب سياسية ويحاولون فسح المجال لإدخال الديمقراطية، وان عوائد النفط يمكن أن توفر لهم الوسيلة لتحسين الظروف المعاشية للطبقات الفقيرة، وان ذلك بالتأكيد هو جزء أساسي من سياستهم المدروسة، وسوف يقللون من سلطة رؤساء العشائر والعمل على إصلاح الأراضي. وبالطبع لا يمكننا أبداً أن نعرف هل أن هذه الحكومة التي نحلم بوجودها سيكتب لها النجاح على عكس الحكومات التي جاءت قبل الثورة وأخفقت في مهامها. إذ أن العراقيين، عادة، يصعب حكمهم. ومع ذلك فقد تكون أمام مثل هذه الحكومة فرصة أفضل، وعندها ما كان لتحدث إراقة الدماء تلك التي حدثت في ١٤ تموز ولا أن يأتي عبد الكريم قاسم.

ويبدو أن ذلك الوقت كان مناسباً لطرح السؤال: هل كان من الممكن تجنب المأساة التي حدثت في العراق؟ انني مقتنع انه كان من الممكن تجنب أحداث ١٤ تموز وكان من الممكن على أقل تقدير التقليل من حتمية حدوث المأساة.

كنت انا والسفيـــر جالسين في مكتبه نناقش بشكل جدي مذكرتي ومما أثار دهشتي أن السفير لم يستبعد مناقشاتي السابقة المقدمة إليه، لانه بدأ يقترب منها منذ أن أرسل رسالته غير الموفقة في نيسان إلى لندن. أن التفكير حتى في افتراض أن نوري السعيد ينبغي أن يقدم

استقالته أمر يصعب هضمه (من السفير)، وبالطبع قد يكون ذلك تدخلاً جسيماً في الشؤون الداخلية لدولة مستقلة. ولكننا نحن والامريكان، من وقت ليس ببعيد، أدركنا أن الظروف قد تستوجب أحياناً التدخل في الشؤون الداخلية وكما فعلنا ذلك في إيران. وقبل أن يتحدث السفير عن المقترح الخاص بالوضع السياسي في العراق، كما قد أوصيت به، أو أن يقوم باستشارة زميله السفير الأمريكي، اقترحت أن يستشير وزارة الخارجية (البريطانية) أولاً. وكنت أتمنى أن يجري ذلك! ولكن بقدر ما أستطيع أن أجزم فان (رايت) لم يقم بأي شيء من ذلك. ومع ذلك فقد كتب مجيد خدوري قائلاً: إن المقترحات قد تم إيصالها إلى الوصي (عبد الإله)، ولا أعلم من أوصلها له، علماً انني انا الذي قمت بصياغتها بعد مناقشتها مع حديد والبزاز وغيرهما من الوطنيين القياديين.

في خريف ١٩٩٥ تحدثت ثلاث مرات في لندن عن الثورة العراقية وكيف كان بالإمكان منع وقوعها وكان معظم المستمعين لي من ذوي الخبرة في شؤون الشرق الأوسط (قديماً وحديثاً)، وكانت المناقشات حية وممتعة، وتضمنت الكثير من إثارة الشكوك كما قد توقعت ذلك. ومن ثم تحولت الحلقة النقاشية لصالحي بطريقة تبعث على الاستغراب الشديد. أن أحد العراقيين من الموثوق بهم من ذوي المكانة المرموقة وكان قد عاش في العراق سنة ١٩٥٨ ، قد طلب مني أن ألتقي به، وعندما التقيت به أخبرني بما يأتي:

انه كانت لدى اللواء غازي الداغستاني معاون رئيس الأركان العامة قبل الثورة والمساند الموالي للنظام الهاشمي، الفكرة نفسها بالضبط التي أحملها انا وأصدقائي الوطنيون. إن الطريقة الوحيدة لانقاذ الملك والنظام كانت بمغادرة الوصي العراق وباستقالة نوري السعيد. وذلك الإجراء بحد ذاته لم يكن كافياً أو ملفتاً للنظر ولكن ما كان جديراً هو أن يدرك كل من عبد الإله ونوري حكمة هذا الإجراء !

وقد ذهب الوصي إلى تركيا فعلاً لقضاء عطلة هناك، إذ انه لم يذهب إلى تركيا منذ مدة طويلة ، ولكنه عاد إلى بغداد بعد أن ألح عليه فيصل بالعودة عندما شعر الأخير انه غير قادر على إدارة دفة الحكم من دون توجيه من خاله. وعاد عبد الإله بامتعاض وبالنتائج المأساوية التي نعرفها جميعاً. وعلى وفق المصدر نفسه فان نوري السعيد كان سيستقيل إذا ما تخلى عبد الإله عن منصبه بوصفه وصياً للعرش.

الثورة

يحتل النصف الأول من تموز عام ١٩٥٨ مكانة ضمن مدة من أسوأ المراحل الزمنية التي مرت في حياتي، حتى من دون استثناء مدة الحرب، وذلك بسبب العجز والإحباط المتناهيين والشعور بهاجس نذير الشؤم الذي كنت أحس به. لقد كتبت تقريراً مفصلاً وصفت فيه الموقف بفقرات جلية لا لبس فيها ولا غموض، كما كتبت مذكرة تنبأت فيها بثورة وشيكة الوقوع. ولحد هذا اليوم أتذكر جيداً التعليق (بالكلمات) بالضبط وبالحبر الأحمر على أسفل مذكرتي المؤرخة في ٨ تموز: (ان

هذا لا يتفق مع الحقائق). وفيما يتعلق بالتقرير، قال (رايت Wright) انني مرة أخرى أخطئ في تصوراتي، ولم يرسل التقرير إلى لندن. وكان ذلك ذهولاً لي يبعث على الحيرة. ومع ذلك فان الأمر الذي لا يمكن تصديقه بدرجة أكثر من ذلك هو ما جرى أثناء مقابلتي مع وزير الداخلية (سعيد قزاز) التي أجريتها معه يوم ٩ تموز. وكنت أكن له احتراماً كبيراً، وكانت بيننا علاقة ودية. لقد أعربت له عن تصوراتي كلها، ومع ذلك قال لي (قزاز) إن الموقف في العراق أكثر استقراراً مما كان عليه في أي وقت مضى منذ أزمة السويس. وعقب القزاز قائلاً إن حقبة الخطر الحقيقي لنظام الحكم في العراق قد تم التغلب عليها واحتواؤها بشكل ناجح وليس هناك أي خطر اني. ولقد اعتراني الذهول والانهاك، إذ أن هذا هو الرجل الوحيد من بين الجميع الذي ينبغي أن يكون عارفاً بتوتر الموقف وعدم استقراره، يبدو انه مطمئن إلى هدوئه بشكل لا يصدق، ويبدو انه لم يكترث بالمرة للتحذير الذي قدمه له رئيس مخابراته (بهجت العطية) الذي أعدم لاحقاً من النظام الجديد.

ويبدو أن حقيقة عدم اتخاذ أي إجراء لمنع وقوع الثورة تحمل في تضاعيفها التوافق مع رأيي في كون (قزاز) قد أخبرني بما كان يعتقده فعلاً.

ذلك كان هو الموقف الذي أعتقد فيه سفير صاحبة الجلالة انه ملائم لانه يتمتع فيه بإجازته الصيفية. وان الأمر الأكثر غرابة هو انه كان يريد أن يتركني مسؤولاً عن السفارة بوصفي سفيراً، لان نائب رئيس البعثة الدبلوماسية (البريطانية) هو الآخر كان يتمتع بإجازته انذاك. وقد

كنت مسروراً لهذا العرض، إذ انه سيعطيني الفرصة لان أبعث إلى وزارة الخارجية بتقديري للموقف وان أعرض الحل الذي أراه ملائماً.

سيبقى تاريخ الثاني عشر من تموز ١٩٥٨ ثابتاً في ذاكرتي، إذ استصحبني (مايكل رايت) لكي ألتقي بالملك والوصي على العرش وبنوري السعيد، ويقدمني إليهم رسمياً بوصفي القائم بالأعمال خلال مدة غيابه عن العراق. كان نوري السعيد صديقاً حميماً لي وكان معنياً بالموقف السياسي على الرغم من انه لم يفصح عن ذلك. وقد أخبرنا انه سيرافق الملك والوصي على العرش إلى انقرة يوم ١٤ تموز لحضور اجتماعات ميثاق بغداد هناك. وقال (رايت) انه سيغادر بغداد في ١٥ تموز، وأعرب نوري السعيد عن تمنياته للسفير للاستمتاع بإجازته التي يستحقها بجدارة ، وتمنّى لي حظاً سعيداً وعبّر عن ذلك بكلمات ودية. لم تكن لغته الانكليزية جيدة، ولكن أعتقد انها كانت كافية للتفاهم مع (رايت).. هل فعلا كانت كذلك ؟ كنت أشعر أن الأمر أشبه بكابوس مزعج، إذ اقتنعت أن ثورة ستحدث في أي لحظة ، لكنني لو أفصحت عن هذا التصور لضحك مني نوري السعيد ولأقدم (رايت) على إعفائي من منصبي.

لقد كانت الزيارة للملك وعبد الإله مختلفة جداً، إذ كان فيصل بهدوئه المعتاد ونفسه المهذبة، وبإمكانه أن يكون ملكاً جيداً لو أن خاله (الوصي) قد فسح له المجال. أما عبد الإله فقد كان في حالة سيئة، إذ كان يخطو في الغرفة جيئة وذهاباً ويتمتم قائلاً: (هذه الأمور البغيضة،

هذه الأمور البغيضة!) وأخيراً عندما جلس وهدأت نفسه قليلاً أوضح انه كان يتوقع انقلاباً ناصرياً لإزاحة الملك حسين عن الأردن. وبغرابة تامة لم يذكر أي شيء مشابه عن مخاوفه لما قد سيقع في العراق. وعلى أية حال في ضوء المعلومات التي أطلقت عليها فيما بعد لندن في تشرين الأول ١٩٩٥ فانه كان يتوقع أن يحصل شر في العراق بشكل أكيد، وهذا ما قد يفسّر حالته الهستيرية من القلق انذاك.

انني أعترف أن إحساسي الرئيس كان منصباً على أن مخاوف عبد الإله قد تكون مدعاة لان يقدم السفير على تأجيل إجازته، وبذلك سيحرمني من لحظة تألقي ومن اغتنام فرصة تنبئي بحدوث الثورة (في العراق). وعلى أية حال فان صيد سمك السلمون في اسكتلندة قد احتل مكانة الصدارة على حدوث الهياج الهائل في العراق. وقد تحركت المأساة بعناد صلب.

بمصادفة غريبة صدرت الأوامر إلى لواء المشاة العشرين في الأول من تموز لان يتحرك في الرابع عشر من تموز من معسكره في جلولاء – شمال شرق بغداد – ظاهرياً لتعزيز الجيش الأردني ضد (إسرائيل)، وربما كان الأكثر احتمالاً هو التنبؤ بحصول الانقلاب الذي تحدث عنه عبد الإله.

تقدم لواء المشاة العشرين ليقود الهجوم على بغداد يوم الرابع عشر من تموز، واتخذ مواقعه بشكل رائع ليقوم بتنفيذ تلك المهمة من دون أن يثير الشك حتى وقت متأخر جداً. وعلى أية حال، وبشكل مذهل، فوجئت خدمات الاستخبارات العراقية والغربية بهذا الحدث.

لقد كانت مدة غير اعتيادية... كنت قلقاً أترقب الشر، ومع ذلك كنت سعيداً لان عائلتي بأمان في انكلترا، وانني أتطلع للاضطلاع بمسؤولية السفارة لمدة من الزمن.

كنت في الصيف انام على سطح دارنا الذي كان بالقرب من القصر الملكي المتواضع. وفي فجر الرابع عشر من تموز استيقظت على أصوات غير اعتيادية وشاهدت جنوداً مسلحين يركضون حول القصر، وأسرعت إلى أسفل الدار وفتحت الراديو... صوت غير مألوف كان يذيع بلغة عربية ذات نبرات حادة معلناً مولد (جمهورية العراق العربية) ومعلناً أن الشعب قد استولى على السلطة ومعبّراً عن النظام الملكي انه نظام فاسد وخادم للاستعمار والصهيونية. ولقد علمت مؤخراً أن ذلك المذيع كان هو العقيد عبد السلام عارف آمر اللواء العشرين الذي قاد الهجوم على بغداد، والذي لم يواجه سوى مقاومة طفيفة غير ذات بال.

اتصلت هاتفياً بدار السفارة فأخبروني أن السفير نائم ولا يمكن إيقاظه. وبعد الحاح تمكنت أخيراً من الاتصال به، ولم يكن مرتاحاً وأمرني بالمجيء إلى السفارة فوراً.

في الطريق إلى المدينة واجهت موجة من المتظاهرين العائدين من القصر (الملكي)، إذ كانوا قد شاركوا في مقتل الملك والوصي، ولم أكن أعلم ذلك في حينه. وكان يبدو على المتظاهرين الشر والأذى وهم يهددون ويتوعدون. وأحاطوا بسيارتي وأخذوا يضربونها بعنف، وكان ذلك الموقف لا يبعث على الارتياح، ولكن حظي كان حسناً مرة أخرى،

إذ أقبلت سيارة جيب عسكرية فرّقت الجماهير الغاضبة وجاءني نائب عريف يبدو عليه الغضب وصاح بصوت عالٍ أن أترك ذلك المكان، وان أعود إلى المكان الذي جئت منه. ليس ذلك الموقف مجالاً للبطولة فعدت إلى الدار.

وفي غضون ذلك كان لي زميل في بغداد في طريقه الى السفارة، إذ أوقف من لدن الجمهور بشكل مشابه لي، وقد سألوه عن جنسيته فأجابهم بتحفظ عن حقيقته وقال لهم انه (اسكتلندي). فكان جواب الجمهور له: (انت محظوظ ... اننا سنقتل الانكليز كلهم هذا اليوم !).

وكان لي زميل آخر يسكن بالقرب مني قد أوقف هو الآخر من جمهور آخر من المتظاهرين وتعرض إلى الضرب الشديد قبل أن يتمكن الجنود من انقاذه وإعادته إلى مسكنه. وقد قمنا بإسعافه، ولحسن الحظ كانت جروحه سطحية، إذ كان من المستحيل الحصول على طبيب، لا يتمكن أي طبيب من المجيء إلى بيت أحد الرعايا البريطانيين.

لقد هوجمت السفارة البريطانية من المتظاهرين وتعرض مسكن السفير (المجاور للسفارة) إلى النهب والسرقة والحريق. وقد قتل العقيد (غراهام) مراقب الحسابات في السفارة برصاصة طائشة ربما كانت مصوبة لقتل السفير ولكنها أصابته بالخطأ. وقد تمكن مساعد الملحق العسكري وأحد السواق (من منتسبي القوة الجوية الملكية) ببسالة فائقة من الصعود إلى سطح دار السفارة ومن خلف أكياس الرمل قاما بإطلاق النار على رؤوس المتظاهرين في أمل غير مجدٍ لإيقافهم من دون الرمي المباشر على صفوفهم. وعلى أية حال، كما أراد الحظ ذلك، فان

أحد الجنود العراقيين أصاب نفسه برصاصة في قدمه. وقد أثار ذلك الحادث هياج الجماهير التي اعتقدت أن تلك الإطلاقة قد جاءت من دار السفارة.

لقد تمكن السفير وبعض موظفيه من الوصول الى السفارة والالتجاء في مكتب التسجيل الذي كان محمياً ببوابة من القضبان الحديدية. وطالب زعماء المتظاهرين بخروج منتسبي السفارة منها وهم غير مسلحين وإلا ستضرم النار في مكتب التسجيل. ولحسن الحظ ظهر في ذلك الوقت عدد من الجنود في المنطقة. وحالما خرج أعضاء السفارة من مكتب التسجيل اقتادهم أحد الجنود من خلال الجمهور إلى حديقة السفارة. وبعد حوالى عشرين دقيقة وصلت ثلاث عجلات مدرعة قامت بإبعاد مثيري الشغب عن السفارة. وأمّن الجيش حراسة السفير وزوجته في الطريق الى فندق بغداد بعد أن تركوا ثلاثة من الموظفين في السفارة. ولكون البريطانيين والباشا (نوري) والقصر (الملكي) أهدافاً ركزت عليها الثورة، فقد كنا محظوظين أن ننجوبخسارة واحدة. ولم يكن الاثنان الآخران (الباشا والقصر) محظوظين كما كنا.

وكان الهجوم على القصر (الملكي) أكثر سوءاً. وفي حين أن جثة الملك قد دفنت في المقبرة الملكية، إلا أن جثة عبد الإله قد سلمت إلى الجماهير الذين قاموا بتشويهها وسحلها عبر الشوارع إلى بوابة وزارة الدفاع، إذ علّقت هناك. كان صباح الرابع عشر من تموز صباحاً وحشياً فعلاً ومشوشاً تشويشاً كاملاً، إذ كانت الجماهير تغلي في هيجانها. وقد

أصبحت طريقة سحل الجثث في الشوارع وسيلة العراقيين للتخلص ممن يقف معارضاً لهم. وقد قام المتظاهرون باحتجاز وزير أردني وبعض رجال الأعمال الأجانب وقتلهم خطأ معتقدين أن هؤلاء من رجال العهد الملكي (العهد البائد)[٤].

قبل أن تقوم الجماهير بمهاجمة السفارة البريطانية، دمروا تمثال الجنرال (مود Maude) القائد البريطاني الذي حرر بغداد من الأتراك سنة ١٩١٧ ودمروا أيضاً تمثال الملك فيصل الأول. وكانت الجماهير المتظاهرة تنحدر بشكل رئيس من القطاعات الأكثر فقراً في المجتمع العراقي، فضلاً عن الفلاحين الذين جُردوا من أراضيهم والبدو (غير المتحضرين) الذين كانوا يعيشون في خرائب قذرة بشعة.

استمر العقيد عبد السلام عارف بإذاعة الأخبار وتحريض الجماهير لإلقاء القبض على مضطهدي الشعب (الخونة، وأدوات الاستعمار). وكانت الجماهير تصرخ بهذه الشعارات، وتلعن بشكل خاص عبد الإله، إذ تدعوه بـــ (عدو الاله)، وتعبر عن ابتهاجها بميتته الرهيبة. وخلال إذاعة البيانات التي تعلن عن نجاح الثورة المجيدة والتحريض المستمر للسلب والنهب والقتل، كانت تذاع أهازيج وطنية تعبر عن الفرحة وهي تتسم بحماس ثوري. وكان البعض من هذه الأهازيج يعبر كالآتي :

---

[٤] اتصلت بالعقيد عبد الرحمن عارف آمر كتيبة المدرعات (فريق ورئيس جمهورية فيما بعد)، وشرحت له خطورة الموقف بشان السفارة البريطانية في منطقة الشواكة القريبة من مقر كتيبته. وعند ذاك قرر إرسال فصيل مدرعات الى السفارة لحمايتها، فقام الفصيل بما تحدث عنه (ابو سامي).

اليوم، اليوم هو يوم الحرية

ليذهب الاستعمار من دون رجعة

ليذهب الاستعمار الى الأبد

ويظهر أن زمام الموقف بدأ يفلت عن السيطرة ويتسم بفقدان السلطة الفعلية للحكومة. وأخذت الجماهير تفتش عن وزراء النظام القديم. ولكن الجيش قام بانقاذهم واقتيادهم الى وزارة الدفاع انتظاراً لمحاكمتهم وسجنهم. وفي غضون ذلك كان قائد الثورة الزعيم (العميد) عبد الكريم قاسم يدرك تماماً أن اتخاذ إجراء فوري أمر ضروري لمنع حالة الفوضى والاضطراب التام. ففرض قاسم منع التجول، ونجح الجيش في استعادة السيطرة. ولكن سلوك عارف كان يساعد على إثارة الجماهير وتحريضهم في نشر حالة الفوضى. وقلما كان ذلك محبباً لقاسم. لقد كان عارف نائب القائد العام للثورة، وان شراكته مع قاسم كانت قصيرة الأمد، إذ لم تكتب لها الحياة طويلاً.

وظهر أن الثـــورة قد نجحت بشكل تام، وشكراً لمنع التجول وسيطرة الجيش المحكمة، إذ لم تكن الخسائر كبيرة وربما كانت بحدود (٢٠ – ٣٠) قتيلاً. وكان الدعم الشعبي للثورة غامراً، والظاهر أن غالبية العراقيين قد غمرتهم البهجة. وعلى أية حال فان القسم الرئيس من الجيش تردد لمدة قصيرة في تأييد الثورة فقد افترض أن تدخلاً مباشراً من الخارج قد يؤدي الى قلب الموازين. وكان السفير (البريطاني) يأمل في البداية أن تحصل مثل هذه الحالة لان المبرر لذلك هو أن أصدقاءنا وحلفاءنا قد قتلوا بوحشية. وفيما يتعلق باتصالاتي

بالحكومة الثورية، أكد السفير انه ينبغي علي الاتفاق معهم، إذ نتمكن من التأثير فيهم وفرض آرائنا بشدة. ولم ترق لي هذه الفكرة لان أصدقائي من العراقيين كانوا من السياسيين المعتدلين الذين لم يكونوا مسؤولين عن أعمال العنف بأي شكل كان. فقد كنت معارضاً لأي تدخل خارجي، ولا يمكن لأية حكومة مدعمة بقوة أمريكية – بريطانية أن تواجه بقوة حركة شعبية حماسية، ولا يمكن لمثل هذه الحكومة أن تحافظ على البقاء حتى لـــو اننا قمنا باحتلال العـــراق. لقد فات الأوان، وان الإجراء الوقائي الذي ذكرته سابقاً (تنحية نوري السعيد وعبد الإله وإقامة حكومة وطنية معتدلة) كان ينبغي أن يتخذ قبل وقوع الثورة. علينا الان أن نسير مع التيار وان ننقذ ما نستطيع انقاذه من الحطام، ونأمل أن يبقى الوضع مستقراً في لبنان والأردن. ولكي يفصح السفير عن إمكانياته أرسل برقية الى لندن يشرح فيها انه إذا ما دخلت القوات الأمريكية وربما البريطانية الى لبنان فان الموقف سيبدو مكفهراً، وذكر أيضاً انه طلب من النظام العراقي الجديد توفير الحماية للرعايا البريطانيين.

وفي غضون ذلك لم تظهر أية مشاكل إضافية. ولكن المتبقي من الرابع عشر من تموز كان مخيباً للأمل ومثيراً للقلق لي. فبعد تخلصي من الجماهير وعودتي الى منزلي، شعرت انه إذا ما تم تفريق الجماهير فينبغي أن أحاول الوصول الى السفارة. ومع ذلك بدأت أفكر بهدوء وشعرت بالاطمئنان عندما فرض قاسم نظام منع التجول. ولم يكن لدي

من عمل سوى الانتظار والإصغاء الى المذياع ومحاولة إدامة الاتصال بالهاتف مع السفارة.

في الخامس عشر من تموز، بعد رفع منع التجول، استيقظت مبكراً وانتقلت بسيارتي الى فندق بغداد لأتشاور مع السفير. وكانت بغداد هادئة. عدا وجود عدد قليل من الناس في الشوارع. وخلافاً لليوم الأول من الثورة، كانت سياقتي هادئة وخالية من الأحداث. وكان فندق بغداد بناءً قوياً حديثاً يشبه قصر(ليكو Lego)، إذ حشر في وسط هذه المدينة المزدحمة المتسمة بالعنف والزحام، إذ يبدو وكانه خارج مكانه فعلاً وكانت البناية غير محمية وواهنة فعلاً، فالوزير الأردني ورجال الأعمال الأجانب الذين قتلوا من لدن الجماهير قد أخذوا من هذا الفندق.

وإذا أخذنا بالحسبان الظرف الذي مر به السفير مادياً ونفسياً، فانه بدا بوضع جيد نسبياً. ويبدو انه ما يزال يأمل بحصول معجزة، وهدفه الاني كان الاتصال بقاسم وهو إجراء صحيح تماماً. وقد استطعنا تحقيق ذلك من دون صعوبة، وقد صحبت (رايت) بوصفي مترجماً له. وكانت تلك المقابلة إحدى الأحداث في حياتي التي بقيت عالقة في الذاكرة بوصفها حدثاً لا يمكن تصديقه، فضلاً عن كونه مخيفاً. لقد كنا على وشك مقابلة رجل كان قبل (٢٤) ساعة مضت مسؤولاً عن مقتل الملك الشاب الذي لم يقم بأي عمل مؤذ تماماً، وعن مقتل الوصي على العرش والعقيد غراهام (من السفارة)، كما أن الحصانة الدبلوماسية قد انتهكت بشكل مخز، وتعرض مسكن السفير الى السلب والنهب. ولو انه حدث

مثل هذا الحدث في أيام الإمبراطورية (البريطانية) لكنا قد أرسلنا قوة عسكرية للانتقام من قتلة العقيد غراهام ومن الذين هاجموا السفارة، وبالتأكيد كنا سنقوم بشنق قاسم ورجاله المبتهجين*. ولكن السويس قد انهت طموحاتنا الاستعمارية وتطلعاتنا في الشرق الأوسط. لقد كانت تجربة قاسية لـــ (رايت) بالتأكيد، وان آماله في تدخل القوات البريطانية ليس لها أية فرصة في التحقيق والفهم بوضوح.

وتمر الأيام وتبدأ العلاقات بالتحسن... وكنت أرافق سفيرنا الجديد (السيد همفري ترفيليان) لمقابلة قاسم.. وقد اعتدنا على ترديد أغنية مطلعها: (اننا ننطلق لرؤية العراف المدهش). ولكن الرابع عشر من تموز ١٩٥٨ لم يكن ملائماً للغناء، كما لم يكن (مايكل رايت) من النوع الميال للغناء حتى في احسن الأوقات. وأما فيما يتعلق بي فقد عرفت اني قد أدركت مخاوفي الأسوأ شدة، وانه يجب علينا بطريقة ما أن نسترجع قدرتنا لمواصلة المسير.

وصلنا إلى وزارة الدفاع وعندما دخلنا الغرفة، كان ثلاثة أشخاص يجلسون على مائدة كبيرة، (قاسم) نفسه كان رشيقاً بسيطاً ولا يبعث مظهره على الانزعاج، ويبدو عليه التعب بسبب القلق أو الأرق ولكن نظراته كانت مريبة، والثاني هو (عارف) شاب قلق ومتعجرف ويبدو عليه الاندماج مع الأحداث، وأما الثالث فهو الجنرال (الربيعي) وهو رجل تبعث رؤيته على الارتياح وهو كبير السن، وكان (رئيساً لمجلس

---

* يبدو المؤلف هنا متحسراً على أيام الامبراطورية الآفلة.

السيادة) – وهذا المنصب الرئيس من النوع الذي لا يمتلك سلطة تنفيذية. وبقدر ما أعلم فان (الربيعي) لم يشرف على تنفيذ أي أمر، ولم يأمر بالقيام بأي عمل كان، أو الامتناع عنه، انه فقط كان واجهة صورية لا حول له ولا قوة[٥].

ومما بعث في نفسي الارتياح انني شاهدت صديقي الوطني (محمد حديد) جالساً على أريكة في إحدى زوايا الغرفة لم يحلق ذقنه وقد بدا الإعياء عليه. وعلى الأقل وجدت في هذه الغرفة العدائية وجهاً ينم عن الود بدرجة معقولة.

قدم (مايكل رايت) احتجاجه بشكل جازم وواضح جلي وخالٍ من الغموض: لقد أقدم جمهور (فوضوي) على مهاجمة السفارة وسلبها وقتل أحد موظفيها وحرق منزل السفير، ولم تقم قوى الأمن العراقية بأية محاولة لمنع حدوث ذلك. وعندما التجأ موظفو السفارة إلى منطقة أمينة وجه (الجماهير) إليهم التهديد والانذار بالتعذيب والحرق وأجبروهم على الخروج من مخبأهم، ولولا وصول الجيش، والذي كان متأخراً، لحصلت خسائر أخرى بالأرواح.

ونيابة عن الحكومة البريطانية طالب السفير البريطاني بتقديم اعتذار وتعويض مادي عن الخسائر بوفاة أحد أعضاء السفارة، والخسائر المادية التي حصلت عن تدمير ممتلكاتها. وربما فهم

---

[٥] لم يكن الفريق نجيب الربيعي قد وصل بغداد من جدة في هذا التاريخ، إذ وصل يوم ١٦ تموز وباشر مهماته يوم ١٧ تموز ١٩٥٨.

العراقيون (الجالسون في الغرفة) هذا الكلام باللغة الانكليزية بشكل تام، ولكن كان من واجبي بالطبع أن أترجم لهم الكلام باللغة العربية.

سجل قاسم ملحوظاته عن احتجاجنا. وعلى العموم فانه كان هادئاً ودمثاً في كلامه على الرغم من انه لم يعتذر. ومع ذلك فلم يكن الانطباع الأولي عن قاسم سيئاً. وأما عارف فكان فظاً في كلامه. كنا نستحق الذي لاقيناه كله لاننا اضطهدنا الشعب العراقي من خلال دمانا المتحركة وتابعينا (الذين كانوا يخدموننا بخنوع) لسنوات عدة. جمهور مسالم أحاط بالسفارة ليعبر عن ابتهاجه بالحرية التي انبثقت أخيراً. ومن ثم فتح البريطانيون النار على الجمهور وتسببوا في جرح أحد الجنود. وهكذا أخبرنا عارف بما قد حدث فعلاً، ولكنه بالطبع لم يكن مستعداً لتصديق ما قلناه. وقبل أن نغادر المكان رتبت موعداً لزيارة محمد حديد عصر ذلك اليوم. ومما تجدر الإشارة إليه اننا تسلمنا مبلغاً مناسباً بوصفه تعويضاً في وقت لاحق.

لقد تناولنا انا ومايكل رايت طعام الغداء سوية في فندق بغداد. وكانت الطاولة المجاورة لنا مشغولة من مجموعة من السياسيين الوطنيين الذين كنت أعرفهم. وقد حيوني بابتهاج ورددت عليهم التحية بالمثل، وكنت على وشك أن أقدم (رايت) لهم ولكنه كان يبدو عليه التوتر وقال لي بوضوح ومن دون تردد انه لن يصافح الأيدي الملطخة بالدماء.

لن يصدق أحد حالة بغداد في تموز إلا من خبرها أو عاش فيها فمن الممكن أن ترتفع درجة الحرارة متجاوزة الـ (٥٠ °م) في الظل،

وكان الوقت انذاك هو عصر أحد أيام تموز، شرعت بسياقة سيارة سوداء صغيرة خالية من التبريد قاصداً ضاحية جميلة يقع فيها منزل محمد حديد، وقد عقبّت طريقاً كثير المنعطفات على امتداد السدة الترابية التي تحدد قسماً من المدينة. وفي الجانب الخارجي من السدة كانت تسكن الطبقة المعدمة من الفقراء الذين يتجاوز عددهم الـ (ربع) مليون نسمة، وكانوا في الغالب يفتقرون إلى الماء الصافي والى المرافق الصحية. وفي عصر ذلك اليوم رفع جميعهم تقريباً أعلاماً خضراء (إسلامية) كبيرة فوق صرائفهم، وقد سمعت بعض الأصوات المدمدمة بشكل واطيء وكانت تبعث فيّ القلق والإحباط.

وكان سائق سيارتي (العراقي الجنسية) قد استمر بشجاعة مع أعضاء السفارة بعد حدوث الثورة، وقال لي فجأة.. (لقد تمكنوا من القبض على نوري السعيد)، وبعد برهة وجيزة من ذلك بدأ سكان الصرائف بالخروج من أكواخهم بإعداد غفيرة وهم يرقصون فرحاً مرددين:(قتل الخائن نوري السعيد، قتل الخائن نوري السعيد). تلك كانت لحظة لا تبعث على الارتياح، ولكننا غادرنا السيارة من دون أن نثير انتباههم. وبعد ذلك بشكل غير مقصود اقتربنا من الجماهير الذين قتلوا نوري السعيد لتوهم أو انهم تسببوا في أن يرمي نفسه بإطلاقة كما تذهب إلى ذلك بعض الروايات. ومرة أخرى لم نثر انتباههم ووصلنا بأمان إلى دار محمد حديد.

وهكذا بعد ٢٤ ساعة من وقوع الاضطراب العنيف الذي هز الشرق الأوسط وبالتأكيد هز الغرب أيضاً، وجدت نفسي موضع ترحاب

وضيافة عربية تقليدية من الوزير المدني الأقدم في حكومة الثورة. كان وزير المالية محمد حديد رجلاً مثقفاً زار بريطانيا مرات عدة. تناولنا القهوة المرة المحفزة والبقلاوة، كما لو انني قد حللت تواً لأقوم بحديث ودي مع صاحب الدار. وفي الحقيقة كانت تلك هي المحاورة المهمة الأولى بين الحكومة الجديدة وممثل عن الغرب.

لقد أخبرني (حديد) أن أول علم له بوقوع الانقلاب العسكري عندما سمع ذلك من الراديو في داره بمدينة الموصل. وقال انه قد التقى بقاسم وعارف لتوه ولأول مرة. إذ لم تكن له معرفة بهما سابقاً. وكان انطباعه المبدئي عن قاسم جيداً، ولكنه ليس متأكداً فيما يتعلق بعارف الذي وصفه بانه رجل عسكري متشدد.

كان اللقاء مع (حديد) لقاءً ودياً خالياً من التوتر على الرغم من الظروف غير الاعتيادية. ولم أكن راغباً في أن أعكر الجو وان أجعل الاتصال أكثر صعوبة، ومع ذلك، لم أتظاهر بانه لم يحدث أي شيء مؤذ. ومن الواضح انه أي (حديد) لم تكن له علاقة بالعنف الذي رافق الثورة، لذلك شعرت انني أستطيع التحدث معه بصراحة. قلت له انني مثل (حديد) نفسه، كنت أتمنى حدوث تغيير سلمي في العراق، وانني لا أرى أي مبرر لحدوث العنف ومصرع الوصي ونوري السعيد (لم نكن نعرف حتى ذلك الوقت ماذا حدث للملك). وكما هو يعرف، فان سفارتنا تعرضت للهجوم وقد قتل أحد أعضائها. ومن الواضح أن يكون لهذه الأحداث تأثير بالغ يبعث على الأسى للرأي العالمي ويعقد الأمر جداً ب

فيما يخص الإدارة الجديدة كي يعاملها العالم بوصفها حكومة متحضرة ومسؤولة. وطلبت من (حديد) أن يستخدم كل ما يستطيع من تأثير لمنع وقوع أحداث قتل أخرى.

عبر (حديد) عن أسفه العميق على التطرف الذي قامت به الجماهير، وهو أمر أعترف بحدوثه. وأضاف أن الجيش في البداية لم يكن قادراً على السيطرة عليهم. وقال أن انفعال الجماهير كان يغلي عبر سنوات من القمع، ولكنه لم يبد أي عذر أو مبرر لما قد حدث. وقال أن الجيش يسيطر الان بحزم على زمام الأمور، وان أعضاء النظام السابق الباقين على قيد الحياة قد أودعوا التوقيف. وقلت له انه متروك للحكومة الجديدة أن تظهر الرحمة في تعاملها، وسوف يحكم العالم عليهم، فيما يتعلق بطبيعة الأعمال التي يقومون بها، وان أية أحداث قتل أخرى ستوصمهم بالقتلة وسفاكي الدماء.

لقد أكدت ضرورة إبداء الرحمة بدرجة كبيرة، وقد وعدني (حديد) بانه سيقوم بكل ما يستطيع بهذا الصدد، ولكنه أوضح بصراحة أن العسكريين بقيادة قاسم وعارف لهم الكلمة الأخيرة. (أعتقد أن كلماتي كان لها بعض التأثير).

فقد أصدرت (محكمة الشعب) التي حاكمت أعضاء النظام القديم الكثير من أحكام الإعدام، ولكن لم ينفذ حكم الإعدام إلا على ثلاثة أعضاء فقط من مسؤولي النظام القديم، وكان هذا وحده سيئاً جداً، ولكن كان من الممكن أن يكون الحال أسوأ بكثير.

ومن ثم ناقشناً المستقبل. أخبرني (حديد) أن الحكومة الجديدة ستكون محايدة فيما يتعلق بالحرب الباردة وانها تسعى الى إقامة علاقات ودية مع الدول جميعها، ولاسيما مع الأقطار العربية والإسلامية الأخرى. وان الصناعة النفطية لن تؤمم.

ان الحكومة الجديدة ليست حكومة شيوعية على الرغم من أن الشيوعيين قد اتخذوا موقفاً ودياً تجاهها. وليست هناك نية انية للاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة[٦] أو الخروج من حلف بغداد. وترغب الحكومة بإقامة علاقات جيدة مع الغرب. وكان حديد يأمل أن تعترف بريطانيا فوراً بالوضع الجديد (في العراق).

لقد كان ذلك الحديث إيجابياً، وقد منحني فرصة أخرى للتحدث عن الرأفة. وقلت أن أية أحداث قتل أخرى ستعرقل بشكل خطير إمكانية الاعتراف بـــ (الحكومة الجديدة). وقال حديد أن انزال القطعات الأمريكية في لبنان قد أغضب الرأي العام في العراق، وانه يأمل أن لا تقع أحداث أخرى مشابهة. أن البلاد جميعها قد أصبحت تحت سيطرة الحكومة الجديدة، وان قطعات الجيش جميعها قد أيدت الوضع الجديد. وإذا ما وقع هجوم على العراق من خارج حدوده فانه سيثأر لذلك بشكل خطير. وما عدا ذلك فانه لا يرى أي خطر يتعرض له المواطنون الأجانب. وافترقنا ونحن على أفضل علاقة متينة بيننا.

---

[٦] وهذا هو بيت القصيد للغرب عامة ولبريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية خاصة، ومن أجل تحقيق هذا الغرض كان الاعتراف البريطاني بالحكومة التي أسسها عبد الكريم قاسم هو أغرب اعتراف في تاريخ الأعراف الدولية، إذ أن الاعتراف يكون بالنظام وليس برئيس الحكومة.

الأحداث المأساوية التالية

رافق الانقلاب العسكري الذي غير الوضع في العراق مبدئياً ابتهاجاً شعبياً أصيلاً. ولم يكن الابتهاج فقط للاحتفاء بالإطاحة بالنظام القديم، وانما أيضاً للترحيب بمولد عصر جديد. لقد ذهبت العائلة المالكة الهاشمية الدخيلة وذهب معها أسيادها البريطانيون الى غير رجعة[٧]، وبزغت شمس الحرية. واستغل الشاعر العراقي الوطني عبد الوهاب البياتي هذه الحالة الباعثة على الابتهاج والمرح في أبياته الاتية من قصيدته التي كانت بعنوان " ١٤ تموز " :

الشمس تشرق في بلادي

الأجراس تدق للأبطال

انهضوا .. أحبائي .. اننا أحرار

كانت تلك مدة قصيرة رائعة.. الحرية! الحرية من حكم الطغيان.. الحرية الشخصية.. وأخيراً الفرصة للتعبير عن الطموحات السياسية والتطلعات نحو المستقبل وتحقيق الطموحات. انها سلسلة أحداث متعاقبة

---

[٧] لم تكن العائلة الهاشمية دخيلة فالبلاد العربية واحدة ومن حق أي من أبنائها أن يتولى الحكم في أي منها أو جميعها، فقد حكم الخلفاء الراشدون العرب والمسلمين وحكموا من ضمنهم العراقيين، من المدينة أو الكوفة، وحكم الأمويون من دمشق والعباسيون من بغداد حتى النكبة ١٢٥٨ ناهيك أن المنتصرين في الحرب العالمية الأولى في مؤتمرات الصلح أعطوا الحق لسكان البلاد العربية المحتلة أن يختاروا جنسية أي بلد من هذه الأقطار، والذين كانوا يحملون الجنسية العثمانية، وأختار الملك فيصل الأول الجنسية العراقية إسوة بالآخرين وأختار غيره جنسية أقطار عربية أخرى. (المترجمة)

لأحلام لا تتحقق، مثلها مثل الثورات الأخرى في التاريخ. فالعراق ذلك البلد الفقير الذي عانى كثيراً من الاضطهاد تنتهي أحلامه بموت الطغيان، وبكارثة تفوق التصور، وبمولد عهد جديد جعل من نوري وعبد الإله ما يشبه مدرسي رياض الأطفال (في السيطرة على الشعب وإدارته)، وجعل من عبد الكريم قاسم ملاك الرحمة.

ولم ندرك ذلك في أيام تموز الشديدة الحرارة، وكانت مشاعري مزدوجة، فلم أشعر بالارتياح إلا قليلاً.. وكنت آمل أن الحكومة الجديدة، والتي أعرف معظم أعضائها، ستكون حكومة نافعة للعراق وغير معادية للغرب. وفي الحقيقة أن هذه الحكومة لا تختلف عن الحكومة التي كنت أحلم بمجيئها قبل وقوع الثورة. لقد ضمت ممثلين عن الحركات السياسية الرئيسة في العراق وبدت معتدلة، ولم يجر استدعاء الحزب الشيوعي ولا الحزب الديمقراطي الكردستاني للمشاركة ذاتياً في الحكم، ولكن الدكتور إبراهيم كبة كان يمثل وجهة النظر الشيوعية وبابا على الشيخ محمود يمثل وجهة النظر الكردية المعتدلة.

هكذا هبت العاصفة المهلكة.. حكام جدد جاءوا إلى السلطة بإراقة الدماء وهم يدركون جيداً أن العراقيين لا يريدون سفك الدماء. فبعد مرور أيام قلائل على ١٤ تموز، كنت راكباً سيارة أجرة (تاكسي) وأخذت أتحدث مع السائق، إذ قال " لماذا يجب أن تكون الثورة هكذا ؟ لماذا أحداث القتل هذه وسحل الجثث في الشوارع ؟ أن الثوار في مصر لم يقوموا بمثل هذا العمل.. انهم أبعدوا الملك فاروق خارج البلاد فقط".

وحيث أن معظم الوزراء كانوا من المدنيين، إلا أن الضباط الأحرار قد شغلوا المواقع الحساسة، ما عدا وزارة المالية. لقد كان قاسم رئيساً للوزراء وزيراً للدفاع، في حين شغل عارف منصب وزير الداخلية، وكان في الوقت نفسه نائباً للقائد العام للقوات المسلحة. انهما لم يمارسا أكثر من إدارة لواء عسكري في الجيش قبل ذلك، وعليه فقد كان من المتوقع أن يواجها صعوبة في إدارة قطر معقد كالعراق.

كانت مهمتي الانية الاتصال مع أصدقائي القدامى (الذين كانوا في صفوف المعارضة)، والذين أصبحوا فجأة في موضع السلطة. وقد وجدت أن الاتصال بهم (من دون استثناء) أمر سهل وانهم أصدقاء صريحون وودودون كما كانوا دائماً وأبداً.

أكدت الإدارة الجديدة انهم يرغبون في أن يكونوا أصدقاء مع الجميع، وابتداءً أظهروا تحفظاً تجاه الوزراء والأعضاء البارزين في النظام السابق. وذلك لانهم كانوا حريصين على حصول الاعتراف بهم من الغرب، وفعلاً كانوا يريدون أن يظهروا وجهاً متحضراً في التعامل. حتى أن بريطانيا المساند الرئيس للنظام القديم قد تأثرت بهذا التملق والتودد. كما أن اتصالاتي جعلت الأمر واضحاً انه في الوقت الذي لا يمكن نسيان الماضي أو التسامح به إلا أن الحياة يجب أن تستمر. وان الأكثر أهمية لنا هو استمرار النفط في الضخ. وكان علينا أن نفكر بعمق وبشكل واقعي بشان الاعتراف بالنظام الجديد في العراق، أن الاعتراف من الناحية الرسمية يعني أن هذه الحكومة الجديدة في وضع تسيطر فيه

على البلاد، وليس تأييداً لها. وإذا كان الاعتراف بهذه الفكرة فهو أمر جيد ولكن هذه الحكومة قد قتلت بشكل وحشي أصدقاءنا وحلفاءنا، وقد شوهت جثتي عبد الإله ونوري السعيد. كما أن الاعتراف بحكومة قتلت رئيس الدولة (الملك) يبدو أمراً بغيضاً تشمئز منه النفس. ومع ذلك ظهر للعيان موقف واقعي صعب. كنا نعرف أن العراق مبدئياً سيكون صديقاً ودوداً للكتلة السوفيتية، وان من مصلحة الغرب الحيوية أن لا ندع العراق يصبح تابعاً للسوفيت، إذ انه إذا ما ترك وشانه فانه قريباً سيصبح كذلك. وفضلاً عن ذلك فهناك النفط والمصالح التجارية المهمة. لقد اعترفت الدول الغربية جميعها بحكومة الثوار في نهاية تموز على الرغم من انه غير لائق، وكنت شخصياً أميل إلى الاعتراف النهائي بتلك الحكومة.

لم يكن قاسم معروفاً في السابق على الصعيد الشعبي ولذلك كان التحمس موجهاً لعبد الناصر، وخلال الأيام الأولى للثورة كانت الشوارع ملأى بصور عبد الناصر. وقد توجه وفد عراقي برئاسة عارف إلى دمشق لإجراء مباحثات مع قادة الجمهورية العربية المتحدة، وجرى كثير من التأمل والبحث هناك فيما إذا كان العراق سيدخل في نوع من الاتحاد مع الجمهورية العربية المتحدة. ولم يحدث الاتحاد لكون قاسم ليس لديه الميل لذلك الاتجاه. ومن الناحية الأخرى أخذ عارف يجوب البلاد في شهري تموز وآب ويلقي خطابات ساذجة وملهبة لمشاعر المواطنين مؤكداً تحمسه لعبد الناصر. وقد اعتاد الصحفيون أن يسألوني

فيما إذا كان عارف بمثابة (ناصر) في العراق وقاسم بمثابة (محمد نجيب). لم يكن الأمر كذلك كما توضح لي ذلك من لدن عبد الرحمن البزاز الصديق المقرب إلى عارف، والذي أصبح رئيس وزرائه سنة ١٩٦٥. وفي ٥ آب أخبرني البزاز أن تلك المقارنة بين الثورتين المصرية والعراقية، ولاسيما بين شخصيتي قاسم ومحمد نجيب وشخصيتي عارف وعبد الناصر تعطي تصوراً خاطئاً، إذ أن انهما، أي قاسم وعارف، كانا معنيين سوية وبشكل وثيق بالتخطيط للانقلاب، في حين أن محمد نجيب لم يكن كذلك وانما جيء به في النهاية بوصفه رمزاً للثورة. كان البزاز يتحدث بتحمس عن عارف الذي قال عنه انه متمسك بتعاليم الإسلام ومعادٍ للشيوعيين. وكانت العاطفة والحماسة تجرفه نتيجة لنجاح الثورة، وينبغي أن لا تؤخذ خطاباته المرتجلة – التي تلقى بروحية الابتهاج بالنصر – محمل الجد بشكل تام.

كان يبدو لي من المهم إجراء لقاء مبكر مع (كامل الجاردجي) زعيم الحزب الوطني الديمقراطي، والذي سبق أن سجن من النظام القديم. لقد كان شخصية مهمة تعبر عن وجهة المعارضة الوطنية من الطبقة الوسطى قبل الثورة. ولو جرت الأمور بشكل آخر لربما كان هو الرئيس. لقد كان ودوداً ومستعداً لتقديم المساعدة أو إعطاء المعلومات. قال لي أن العراق بلد محايد تماماً ويريد إقامة علاقات جيدة مع الغرب مستنداً في ذلك إلى تحقيق المصالح المتبادلة. وكان يأمل بتطبيق الحريات الديمقراطية وانه سيعمل لتحقيق هذه الغاية. ومع ذلك فبعد

مرور ثلاثة أسابيع على بدء الثورة بدأ القلق يتسرب إلى نفوس الجادرجي والمفكرين الآخرين من الطبقة الوسطى وقد لا يكونوا قادرين على مجاراة الثورة والاتصال بها من خلال قنوات حرة ديمقراطية، وقد يستمر الجيش بإدارة دفة الحكم. مسكين كامل الجادرجي لقد خاب أمله بسرعة. وفي تشرين الأول عندما سألته:" ما الذي حدا بقاسم إلى أن يغير سلوكه ويسلك هذه الطريقة ؟ " أجاب بتجرد:" انه يريد أن يبقى قائـــداً ".

فقدت الثورة بشكل سريع نضارتها وما كانت تدعو إليه من تطلعات مثالية وفقدت الشعور بتحقيق الهدف وإدامة الاتجاه. ويعزى ذلك إلى شخصية قاسم غريبة الأطوار، والى حقيقة أن الحكومة كانت مؤلفة من عدد من العناصر المتباينة والمتطرفة جداً، والتي وحدّها سوية هو الرغبة المشتركة للإطاحة بنظام الحكم القديم. لقد بدأت الأمور بالاختلاف والتباعد بسرعة شديدة وكانت البداية إقصاء عارف من الحكومة. لم يكن بوسع قاسم أن يسامح دعوة عارف إلى الوحدة العربية ولا إلى تهديد منصبه.

وفي أعقاب ذلك قام قاسم باعتقال عارف وتقديمه إلى المحاكمة والحكم عليه بالإعدام متهماً إياه بالتآمر ضد نظام الحكم، إلا أن هذا الحكم لم ينفذ وعاش عارف لان يكون رئيساً للدولة فيما بعد[٨].

---

[٨] كانت التهمة الرئيسة التي حكم من أجلها عبد السلام عارف بالإعدام دعوته إلى الوحدة الفورية للعراق بالجمهورية العربية المتحدة بعد الحصول على الاعتراف الدولي، والتي كانت من اهداف حركة الضباط الاحرار .

بعد الرابع عشر من تموز مباشرة كان العيش في بغداد محفوفاً بالمخاطر، وكنت مسروراً لان عائلتي كانت بأمان في أوربا. لقد قررنا إخلاء عدد من الرعايا البريطانيين على الرغم من أن السلطات العراقية أكدت لنا أن ذلك أمر لا ضرورة له، ولكنه في الواقع كان أمراً له ضرورة. ومن بين الرعايا البريطانيين مربية أطفال انكليزية كانت تعمل في القصر الملكي وقد التجأت عندي، وكانت انموذجاً في التربية والسلوك، وكانت هادئة بشكل يثير الإعجاب في تلك الظروف. إلا انها كانت تخشى من انه إذا ألقي القبض عليها فقد تتعرض للاستجواب بشان الأماكن التي فر إليها بعض أفراد العائلة المالكة. وتمكنت من إيصالها إلى إحدى الطائرات المخصصة لإخلائنا من دون الكشف عن هويتهـــا.

وحالفني الحظ مرة أخرى..، إذ كانت لنا صديقة سويدية تعمل متطوعة لتعليم أطفالنا المباديء الدينية، وصادف انها كانت تمكث معنا قبل حدوث الثورة، وقد رفضت أن تغادر مع زوجتي (ميريت Merete) والأطفال، وأصرت على البقاء بشكل ودي لانني قد أحتاج إليها لإعداد الطعام والعناية بي. لقد كانت امرأة عظيمة وكانت تعتني بي. ولقد ازداد وزني على الأقل ستوناً واحداً (أي ١٤ باوند) بسبب رعايتها لي ولم أحصل على ذلك الوزن طوال حياتي.

وفي تلك الأثناء عادت (ميريت Merete) و(انا) الصغيرة، وابتدأت الحياة تستانف بعض مظاهرها بشكل اعتيادي، وبدانا لا نشعر بأي تهديد تجاهنا. ومع ذلك كانت تلفوناتنا تحت المراقبة بطريقة تكاد أن

تكون بدائية. ففي أحد الأيام اتصلت بي (ميريت) تلفونياً في الدائرة وتكلمت باللغة الدانماركية. ودخل علينا في الخط صوت غريب قائلاً لنا "تحدثوا بالانكليزية !". وفي مناسبة أخرى أجريت اتصالاً هاتفياً من فندق بغداد ثم تناولت المحكاة لإجراء مكالمة ثانية وإذا بي أسمع ما دار في الاتصال الأول مسجلاً في المحكاة. وبالطبع لم يكن لذلك أي تأثير ضار لنا. وكنت شخصياً تحت المراقبة، إذ كان يتبعني دائماً شخص عراقي مرح من الخدمات السرية العراقية وهو يتبعني بدراجته البخارية أينما أسير.

وأحياناً كان لا يستطيع مقاومة الميل عندما يسير من جانبي ويلتفت إليّ ملوحاً بيده ومخاطراً جداً بسياقته ولكنه لم يسقط من دراجته أبداً. وكان معتاداً على أن يضع دراجته قرب بوابة حديقتنا وهو ينتظرني حتى يتبعني عندما أخرج. وقد دعوته مرة لتناول القهوة فقال لي انه يأسف أن لا يلبي الدعوة لان ذلك مخالف للأوامر المعطاة له: " انا هنا لأحميك يا أبا سامي" كان معتاداً على قول ذلك. وعندما ذهبنا بإجازة تبعنا إلى المطار ليتأكد فعلاً اننا قد غادرنا العراق.

بعد أن ألقي القبض على مديرة مدرسة انكليزية كبيرة السن وأودعت السجن، اتصلت هاتفياً بمدير الأمن العام، إذ كنت أعرفه سابقاً، وطلبت منه موعداً لأواجهه فأجاب: " أبو سامي اني أحبك كثيراً ولكن لا أستطيع أن ألتقي بك أو أن أراك "، وكان ذلك يعني لي: " أن جهاز الهاتف الذي أتكلم عبره قد وضع تحت المراقبة، ولا أستطيع أن أعبر عن استعدادي لرؤيتك، ولكن بالطبع انت موضع ترحابي"، فأسرعت

بركوب دراجتي (الهوائية) القديمة التي كنت أستخدمها لغرض التخفي والمخادعة، وكانت هي الطريقة الفضلى وغير الواضحة تماماً للتجول حول بغداد. واتخذت طريقي إلى مقر مديرية الأمن. وقد رحب بي (عبد الجليل) بشكل ودي وقدم لي القهوة الاعتيادية، وبعد حديث ودي قصير دخلت في صلب الموضوع: " عبد الجليل: لقد وضعتم مديرة مدرسة انكليزية كبيرة السن في السجن. لماذا فعلتم ذلك ؟ ". " انها تتكلم كثيراً ". " ولكن يا عبد الجليل، إذا وضعتم كل النساء كبيرات السن في العراق اللواتي يتكلمن كثيراً في السجن، فستكون مضطراً لان تشيد عدداً كبيراً من السجون".

وبعد أن تأمل قليلاً، منحني ابتسامة عريضة وقال : " أبو سامي انت مصيب ! " ،وبعد ذلك أطلق سراحها.

وبعد مرور سنتين، عندما نقلت من العراق، قمت بزيارة لعبد الجليل لأودعه وكان بحالته الودية الاعتيادية، وقد أخرج إضبارة سميكة جداً وقدمها لي قائلاً: (أبو سامي هذه إضبارتك. ستجد فيها صورة لك وانت راكب دراجة هوائية وتشاهد مسيرة لانصار السلام .. وهناك صورة أخرى لك لا تثير الشك).

مسكين عبد الجليل* .. لقد لقي نهايته المؤلمة عندما قتل قاسم. ربما كان يستحق ذلك إلا انه كان لطيفاً معي ومع السيدة كبيرة السن.

---

* هو المرحوم الزعيم العميد عبد المجيد جليل مدير الأمن العام إبان الحقبة القاسمية. (المترجم)

خلال الحرب الباردة كنا منشغلي البال، أن أقطار الشرق الأوسط الستراتيجية التي تمتلك احتياطات نفطية كبيرة كالعراق وإيران ينبغي أن لا تصبح تحت التأثير الشيوعي، أو أن لا تنزلق في أسوأ الأحوال، نحو الكتلة السوفيتية. وقد ظهر لنا أن العراق قد يتعرض لمثل هذه الحالة بسهولـــة.

أثناء قيام النظام الملكي السابق، وعلى الرغم من أن الشيوعيين كانوا يتعرضون للقمع الشديد إلا انهم نجحوا في الحفاظ على تماسك تنظيمهم وكانوا متهيئين للثورة وقاموا بتوزيع الكراسات والتعليمات الحزبية المتعلقة بـــ (١٤ تموز)، وقد نشطوا فوراً لاستثمار الثورة لصالحهم.

من الأخطاء التكتيكية لنظام العهد الملكي هو وصف العديد من مناوئيهم غير الشيوعيين ومن ذوي الأفكار الحرة بكونهم شيوعيين. وفي الشؤون الخارجية كان ذلك النظام يشدد على عدم الاتصال بالكتلة السوفيتية. وهناك مثل عربي يقول " عدو عدوي صديقي "، أعداء العراق قبل الثورة، كما كان معظم العراقيين يرون ذلك، هم الاستعمار البريطاني والنظام الملكي الهاشمي – نوري السعيد–، وان أعداء هؤلاء كانوا ممثلين بالكتلة السوفيتية والشيوعيين العراقيين.

وهكذا بعد الثورة كان هناك رصيد قوي من الشعور الودي والارتياح تجاه الكتلة السوفيتية والشيوعيين العراقيين.

لقد انتشر التأثير الشيوعي بين أوساط العمال والفلاحين وموظفي الدولة المدنيين، وبمستوى أقل بين منتسبي الجيش. وبشكل مدروس

اندفع الشيوعيون لدعم عبد الكريم قاسم اندفاعاً شديداً وبتمليق له ووصفوه بـــ (الزعيم الأوحد) وهي الصفة التي كان قاسم يتوق إليها ويرغب بها بشدة.

بدأت أولى التهديدات ضد حكم قاسم بالظهور من لدن عبدالسلام عارف ورشيد عالي (الكيلاني)[٩] اللذين كانا من زعماء الوحدة العربية المناوئة للشيوعيين. كان رشيد عالي بطلاً قومياً قديماً، إذ تعاون مع النازيين ضد البريطانيين سنة ١٩٤١، وعاد إلى العراق بعد الثورة وقد اتهم بالتآمر ضد قاسم. واعتقد (ببعض المبررات) أن رشيد عالي وعارف كانا مدفوعين من عبد الناصر. لقد أظهر الشيوعيون انهم "الجماهير المخلصة للشعب"، وانهم " المناضلون الشرفاء " وغير ذلك من الشعارات. وقد أحتوى قاسم ذلك كله، ولكنه قدر أن الشيوعيين مفيدون له، في حين كان مناوئوهم الأكثر عنفاً مصممين على التخلص منـــه.

أدى الارتباط الظاهري لقاسم مع الشيوعيين إلى استقالة وزرائه المناوئين بشدة للشيوعيين. وفي شباط ١٩٥٩ كان الشيوعيون يتألقون عالياً وكان خصومهم قلقين ومعرضين للتهديد بحياتهم. وبين التظاهرات الكبيرة المعبرة عن نشاط الشيوعيين كانت مسيرات انصار السلام التي تمارس في انحاء القطر جميعها. وقد خُطط لإحدى هذه الفعاليات أن تقام

---

[٩] لاحق الانكليز رشيد عالي ولم يغفروا له انتفاضة ١٩٤١ حتى دبروا له مؤامرة وهمية بالاتفاق مع الشيوعيين ومباركة عبد الكريم قاسم.

في الموصل في بداية شهر آذار. وربما كان هذه الإجراء هو الذي أشعل ثورة الموصل ذات التطلعات القومية وجعلت قائدها العقيد الشواف يعجل بحركته قبل الأوان المقرر لها. وبعد فشل الثورة حدثت فوضى فقدت فيها الحكومة سيطرتها على الأوضاع في الموصل. فقامت العصابات الشيوعية وقوة المقاومة الشعبية الشيوعية (نوع من الحرس الوطني) بتنفيذ عدد من الاغتيالات والأعمال الوحشية – تعليق ضحاياهم على أعمدة الكهرباء كانت إحدى الممارسات المفضلة لديهم – مدعين انهم يقومون بذلك من أجل حماية الجمهورية ضد أعدائها. وقد استغلت هذه الفرصة لتصفية بعض الحزازات والعداوات القديمة التي ليست لها علاقة بالسياسة. واستمر هذا الفوران والهياج لمدة ثلاثة أشهر تقريباً. وبعد ذلك استقرت الحالة، إذ استطاعت الحكومة أن تفرض سيطرتها على الأوضاع.

كانت الحالة داخل مساكننا (نحن البريطانيين) غير مريحة جداً على الرغم من عدم تعرضنا لأي خطر. إن التأثير الرئيس على حياتنا هو أن العراقيين أصبحوا حذرين جداً من اللقاء بنا، وبشكل خاص كانوا حذرين من زيارتنا في بيوتنا. وفي إحدى المناسبات زارنا وزير عمالي سابق (جون ستراجي) وكانت آبنته متزوجه من عراقي وكانا يعيشان بالقرب منا. وقد رتبنا دعوة عشاء لحوالى عشرين من الشخصيات العراقية للقاء به. ولم يحضر إلا خمسة فقط وكلهم شيوعيون، وكان الوضع غير مريح ويبعث على القلق بدرجة محسة، ولست متأكداً أن (ستراجي) قد فهم السبب.

لقد أشير إلى ربيع وأوائل صيف عام ١٩٥٩ من العراقيين في وقت لاحق، بانه كان مدة من الطغيان الأحمر أو الإرهاب الأحمر. ويبدو انه لم تكن للحكومة انذاك الرغبة ولا الوسيلة للسيطرة على قوة المقاومة الشعبية وعلى عمليات سفك الدماء وقطاع الطرق وعمليات ترويع نسبة كبيرة من السكان وإرهابهم. وساد الاعتقاد لدى الكثير من الناس انها مسألة وقت قبل أن يصبح العراق بلداً شيوعياً. وعلى أية حال يبدو أن قاسماً قد أدرك، في مايس أو حزيران، أن الشيوعيين على الرغم من الدعم الذي قدموه لإسناده، فانهم قد أصبحوا مصدر تهديد لحكمه ذي السلطة المطلقة، وانهم استغلوا الموقف إلى مدى بعيد وبسرعة كبيرة وحاولوا أن يفرضوا مسألة مشاركتهم في الحكومة. ولقد شوهت احتفالات الذكرى الأولى للثورة بالأحداث التي جرت في كركوك، إذ قتل فيها العديد من الأشخاص. وقد ألقى قاسم باللوم على الشيوعيين فيما يتعلق بتلك الأحداث على الرغم من انه كان حذراً من أن يذكر اسمهم بشكل صريح ولكنه كان يصفهم بالفوضويين. وفي تموز وآب من عام ١٩٥٩، بدأت الحكومة باتخاذ الإجراءات لتعقيب الشيوعيين، وبدأ العراقيون يتنفسون الحرية مرة أخرى على الرغم من حذرهم الشديد، وكانت هناك حالات من عدم الاستقرار. واستمر قاسم باستخدام الشيوعيين بوصفهم وسيلة ضد الوحدويين العرب والقوميين والبعثيين وهذا جزء من سياسته المستندة إلى مبدأ (فرق تسد). ولحسن الحظ لم يستطع الشيوعيون استعادة مواقعهم القيادية المتقدمة التي احتلوها أيام المد الأحمر في ربيع – صيف ١٩٥٩. وكان هناك ميل

للاعتقاد أن السوفيت لن يقفوا متفرجين على ما يحل بشيوعيي العراق، ولكنهم لم يبادروا بأي عمل إيجابي لانهم واثقون أن ذلك لن يكون مضمون النجاح بدرجة كبيرة. لقد كان العراق فيما يخصهم ثمرة ناضجة جداً ولكن الشيوعيين العراقيين قد أفسدوها.

كانت (محكمة الشعب) إحدى الملامح السيئة لنظام قاسم. ففي الأشهر التي أعقبت الثورة مباشرة كانت هذه المحكمة منشغلة بمحاكمة الأشخاص القياديين في العهد القديم. وكانت المحكمة برئاسة العقيد فاضل عباس المهداوي، ابن خالة قاسم، والمشهور عنه انه شيوعي، وكان ذا شخصية مكروهة بشكل غير اعتيادي، إذ كان قصيراً وبديناً وذا عينين صغيرتين تتسمان بالبرود وتشبهان عيني الخنزير. وكان خطيباً ذا تأثير قوي في إثارة الجماهير. أن هذه المحكمة الكنغرية (أي التي لا تراعي فيها مبادئ القانون والعدالة) لم تكن مثيرة للسخرية في عدم تطبيق العدالة فقط، ولكنها استخدمت أيضاً بوصفها المنبر والمصدر الرئيس للدعاية لصالح الثورة. وكانت جلساتها تعرض في شاشة التلفزيون مساء كل يوم وتنقل محاضرها المطولة عبر الإذاعة. وكان الكلام الفظ وغير المستساغ كله الذي لا يرغب قاسم أن يقوله بنفسه يقال عن طريق المهداوي.

لقد حضرت جانباً من هذه المحاكمات وكانت تلك المحاكمات ممارسة مرعبة ومخيفة. وفي إحدى المرات لم أجلس في المكان المخصص لجلوس الدبلوماسيين وانما جلست في الجزء الرئيس من

قاعة المحكمة، وقد احتج الشخص (العراقي) الذي كان بجانبي على الجلوس في ذلك المكان وقال للمهداوي بصوت عالٍ: (شخص استعماري يجلس بجانبي يدنس محكمتنا، أرجو طرده خارج القاعة).

(كلا) أجاب المهداوي، (دع الاستعماريين يجلسون ويرون كيف أن الشعب يأخذ بالثأر من أعدائه خدم الإمبريالية). وهكذا بقيت في قاعة المحكمة.

ومما أثر في نفسية قاسم محاولة اغتياله في شارع الرشيد في ٧ تشرين الأول ١٩٥٩ من لدن شباب حزب البعث في سيارته التي تعقبها مفرزة حماية.

ان تلك الحادثة أفقدته توازنه. وقد تم الاحتفاظ بالسيارة بوصفها أثراً تذكارياً في وزارة الدفاع، في حين أن ملابسه الملطخة بالدم، والتي كان يرتديها أثناء وقوع الحادث قد حفظت في صندوق زجاجي في مكتبه، إذ كانت تعرض للزوار. وعرضها كذلك قاسم للسفير ولي بالذات. وكان مقتنعاً أن نجاته وتخلصه المحظوظ من الموت معجزة إلهية، وان الله قد انقذه لكي يقود شعبه نحو الخلاص. وبالمناسبة فان الشاب الشجاع صدام حسين قد لعب دوراً في محاولة اغتيال قاسم.

ان قاسماً شخصية مأساوية من نوع خاص. ولغرض انصافه، كما أعتقد، فانه كان مدفوعاً منذ البداية برغبة صادقة لمساعدة أبناء وطنه، إذ كان ينحدر من أصول فقيرة. وليس من الواضح إلى أي مدى كان مسؤولاً عن أحداث مقتل الملك والوصي ونوري السعيد، فهناك روايات متباينة عن ذلك. والاستنتاج الجوهري انه لم يكن ملائماً للمنصب الذي

شغله، ربما كان زعيماً (عميداً) عسكرياً ناجحاً في الجيش ومخططاً جيداً ولكن تلك كانت النتيجة. أن هذا الوصف الموجز له مقتبس من كلام لي تحدثت به في كلية الدفاع الملكي في لندن سنة ١٩٦١.

لقد جاء قاسم إلى السلطة في موجة من الحماس الشعبي، وأصبح فعلاً "محبوب الشعب"، وقد نجح في استغلال مشاعر الشعب لمدة من الزمن وكان لذلك أسباب عدة أصبحت معروفة.

كانت المحكمة مكتظة بالمصففين المستأجرين، وكانوا يهتفون ويقعقعون ويصرخون ويلقون الأشعار ويلوحون بالحبال وينادون بإعدام المتهمين ويبدو أن سلوكهم هذا كان جزءاً من خطة مدروسة لمحاكمة المتهمين وإرهابهم وإلقاء الرعب في نفوسهم أثناء اعترافاتهم، وفي الوقت نفسه لإعطاء الفرصة أمام العناصر الأكثر سوءاً من الشعب للتنفيس والتعبير عن مشاعرهم.

وكان تحملُ المتهمين لهذه التهديدات والإهانات ومن دون استثناء يعد عملاً شجاعاً.. انهم كانوا يعرفون انهم يحاكمون والإعدام مصيرهم ومن المؤكد انهم سيتعرضون لحبل المشنقة. الجنرال الداغستاني معاون رئيس أركان الجيش السابق، وفاضل الجمالي وزير الخارجية السابق، وسعيد قزاز وزير الداخلية السابق[١٠]، أظهر هؤلاء بشكل خاص شجاعة بارزة. وأثناء محاكمة القزاز الذي كان معروفاً بمعاداته الشديدة

---

[١٠] وبين العديد من رجال العهد الملكي أعدم قاسم الرجال الأتية أسماؤهم :
سعيد القزاز – وزير الداخلية.
بهجت العطية – مدير الأمن العام.
عبد الجبار فهمي – متصرف لواء بغداد.

للشيوعية، والذي أوضح آراءه بهذا الخصوص من دون خوف من المحكمة في حين كانت الجماهير الجالسة في المحكمة يتحسسون ضده ويهتفون بشعارات معادية له ويصفقون. ومن المثير للدهشة انه لم يعدم من دون محاكمة. ومن الناحية الأخرى، فان النظام الجديد (الذي كان المهداوي يمثل جزءاً متكاملاً منه) قد عاش قمة العنف الغوغائي يوم ١٤ تموز، وكان ينوي أن يبقيه في قنينته حيث مكانه المعهود. كانت محكمة الشعب منشغلة في جلساتها الأولى بمحاكمات العهد السابق. وكانت الدعاية (في المحكمة) موجهة بشكل مباشر ضد الإمبريالية وضد النظام القديم، وكانت تحوي كثير من التهريج والصخب ولم تكن محددة في التعابير والمعنى كما كنا نخشى. ولكن نهايته جاءت على أيدي البعثيين الذين لاحقوه، إذ قاموا بانقلابهم في ٨ شباط ١٩٦٣.

غادرنا العراق في آذار ١٩٦١ منقولين إلى غوتينبرك في السويد، إذ عملت قنصلاً عاماً.. لقد كان من المستحيل أن أجد مكاناً يختلف عن العراق كلياً مثل هذا المكان.. ومع ذلك وبما يشبه الجنون فقد تمتعت انا وزوجتي ميريت بالعراق كثيراً.. لقد أحببنا كلانا العراقيين كثيراً كما اننا لأسفون كثيراً لما حصل لهم، فهم لا يستحقون ذلك أبداً.. لقد كنا محظوظين انذاك بان السير همفري تريفليان قد خلف مايكل رايت سفيراً في بغداد.. ولكن لو كان تريفليان في بغداد عام ١٩٥٧ لربما لم تحصل مآسٍ كثيرة في العراق.. لم تستمع الحكومة للسير همفري عندما كان سفيراً في مصر عام ١٩٥٦.. ولكنها كانت ستستمع إليه وهو سفير في بغداد بعد ذلك.. فهي لم تكن لتلدغ مرتين؟.

ملحـــــق

من هو سعيد قزاز وما سبب إعدامه ؟

ورب سائل يتساءل لماذا أعدم المرحوم سعيد قزاز وزير الداخلية في العهد الملكي ؟

والجواب... ما من شك أن الحجة الرئيسة التي تذرعت بها محكمة المهداوي هي مقتل عدد من العمال الشيوعيين في إضراب عمال البصرة، إذ عدته المحكمة مسؤولاً عنه بصفته وزيراً للداخلية آنذاك، وهناك أسباب أخرى منها حقد الملا مصطفى البارزاني على سعيد قزاز الذي اقترح ترحيله من المنطقة الشمالية سنة ١٩٤٤ الى بغداد، أو إحدى مدن الجنوب لتستقر الأحوال في العراق حتى تتمكن الحكومة من البناء والتعمير فضلاً عن حقد عبـد الكريـم قاسـم عليه للمشـادة الكلامية التي حدثت بينهما فـي أيلـول سنة ١٩٤٥ عندما كان القزاز متصرفـاً لأربيـل.

وعليه بإمكاني القول إن إعدام القزاز كان نتيجة موقفه الوطني من الملا البارزاني عندما عين متصرفاً (محافظاً) في أربيل في ٢٧ أيلول ١٩٤٤، والذي عزم على وضع حد لتمرد الملا، وقطعه الطرق، وسرقته أموال ومحاصيل من لم يتفق معه، ومهاجمته مخافر الشرطة، واستيلائه على الأسلحة بعد قتل الشرطة، وبناءً على ذلك طلب من الملا تسليمه المتمرد (أولو سعيد الريزاني) أحد أعوانه وإعادة الأسلحة المنهوبة والعودة الى الهدوء، ولكنه أبى أن ينصاع الى صوت العقل

والمنطق فما كان منه إلا أن قابله ودعاه إلى أن يحكم عقله ويعود الى صوابه، وأن الحكومة مستعدة للغفران عن جرائمه، ومساعدته وأعوانه للاستقرار في قراهم ومزارعهم، ولكن الملا أبى وطغى واستمر في غوايته وتحرك. وعند ذاك كتب القزاز تقريراً مفصلاً الى وزارة الداخلية في ١٥ تشرين الأول ١٩٤٤ ومن جملة ما قاله المتصرف في تقريره ما يأتي:

إن الرأي العام بدأ هنا في هذه المدة يقدر مدى صبر الحكومة تجاه أعمال الملا مصطفى البارزاني وقال إنه من المستحيل عودة الاستقرار الذي هو ضرورة للبناء والتعمير إذا ظل الملا مصطفى في الشمال يسلب ويحرق القرى والمزارع، ويقتل على افتراض أنهم من أعدائه، إنه لا يحترم كلمته ولا يعترف بقانون. وعليه إني أقترح إسكانه وعائلته في بغداد أو الناصرية أو أي مدينة في جنوب العراق حتى تتمكن الحكومة من تطبيق خططها في إعمار المنطقة.

ما سبق ذكره كان أحد أهم الأسباب في إعدام قاسم للقزاز لأن البارزاني ظل حاقداً على القزاز يتحين الفرص للانتقام منه ومن ناظم الطبقجلي قائد الفرقة الثانية بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، والذي حال دون تكريد مدينة كركوك حتى اتهمه أنه حاول اغتياله عندما زار كركوك للتشاور مع أتباعه في تنفيذ خططه، إذ حدثت مذبحة كركوك البشعة التي دفن فيها التركمان وهم أحياء في ١٤ تموز ١٩٥٦، وفي ٢٠ أيلول ١٩٥٩ أعدم قاسم كلاً من القزاز والطبقجلي تغمدهما الله برحمته الواسعة وأسكنهم فسيح جناته.

كان سعيد قزاز شهماً وشجاعاً يعتز بدينه وبعراقيته، وفي محاكمته أمام محكمة المهداوي قال:

لقد تمكنت من تفنيد ادعاءات الشهود في هذا الصدد ولم يثبت وجود حادثة معينة ارتكبت فيها أنا مخالفة قانونية. وإني لا ترهبني المشنقة وعندما أصعد عليها سأرى الكثيرين ممن لا يستحقون الحياة تحت أقدامي، واقف الآن بين يدي الله عز وجل لأقول كلمتي الأخيرة بوصفي مسلماً لا أمل له إلا بعدالة خالقه العظيم وألا إيمان له إلا بدينه الإسلامي الحنيف أقف بوصفي عراقياً أمضى ثلاثاً وثلاثين سنة في تعزيز الوحدة العراقية وأعلن على رؤوس الأشهاد بأنني فخور بما قدمت لوطني الحبيب من أعمال وخدمات، وفخور بأنني كافحت الشيوعية بدافع إسلاميتي ووطنيتي تنفيذاً لقانون ما يزال سارياً في البلد، وفخور بأنني كنت وزيراً فعالاً أعمل بوحي من ربي وعقل في رأسي وقلب في صدري (ضحك وتصفيق وزعيق وهتاف من الشيوعيين المتفرجين).

المهداوي رئيس المحكمة - حق الدفاع مقدس ليدافع كما يشاء ونحن له بالمرصاد (تصفيق وهتافات من الشيوعيين).

القزاز مسترسلاً في دفاعه بعد أن قاطعه الشيوعيون بضحكاتهم (المبكيات) وإذا أصابني شيء نتيجة هذه المعركة فإنني أتقبلها بإيمان عظيم وسيكون لأهلي وأقاربي الفخر بأنني أول شهيد في هذا الميدان (صياح واستهزاء من رئيس المحكمة ومدعيه العام).

وهنا صاح القزاز بأعلى صوته أرجو من رئيس المحكمة أن يعرف أن لساحة القضاء حرمة وأن لمحكمتكم إن احترمت حرمة القضاء حرمة، وإن حق الدفاع مقدس ومحترم ثم كرر وقال أرجو من رئيس المحكمة مراعاة ذلك.

سعيد قزاز مستمراً في دفاعه :

لذلك أختم دفاعي بأنني لا أطلب الرحمة ولا الغفران من أي بشر كان بل أترك أمري إلى الله وأصبر حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين. (راجع ص٢٤ الجزء العاشر –المحكمة العسكرية العليا الخاصة).

ومما يدل على صلابة القزاز واعتزازه بكرامته وموقعه في المجتمع وأنه أحب القانون ولا شيء غير القانون، وخشية من أن يضعف أمام عواطف عائلته الإنسانية وخشية مضايقات الزبانية لها كتب القزاز رسالة إلى زوجته باللغة الكردية أرسلها ضابط السجن النقيب أنور الحديثي (وزير فيما بعد) إلى مرجعه مديرية الاستخبارات العسكرية، والتي قامت بترجمتها إلى العربية وسلمت الرسالة الأولى إلى من أرسلت إليه ومما جاء فيها:

إن لكل أجل كتاباً وما هو مقدر جاء وإني سأعدم لا محالة لأن الشيوعيين سوف لا يتركوني حياً فضلاً عن اعدائي من بعض الأكراد، والذين كانوا لا يطيب لهم استقرار العراق والبناء والتعمير ولكن سألاقي وجه ربي ناصع الجبين وبوجه أبيض لأنني لم أرتكب أي معصية أو خطيئة وإنما قمت بواجبي ومسؤولياتي طبقاً للقانون. إنني

أرفض رفضاً قاطعاً أن تطرقي باب أي مسؤول وإذا سمعت أنك قمت بهذا فإني سوف أرفض أن ألقاك أو أعفو عنك لا في الدنيا ولا في الآخـــرة.

وهناك سبب آخر لإعدام القزاز سبق أن أشرنا إليه:

ومما يذعن حقد قاسم على القزاز يعود سببه إلى تمرد البارزاني في أيلول ١٩٤٥، إذ كان اللواء مصطفى راغب قائداً للحركات وسعيد قزاز متصرفاً للواء أربيل والعقيد الركن مزهر الشاوي آمراً للواء الثالث والمقدم الركن عبد الكريم قاسم مقدماً للواء.

احتل المتمردون أحد ربايا اللواء الثالث فما كان من مقدم اللواء إلا أن يجمع الطباخين والمراسلين ومن لا واجب لهم، وأعاد احتلال الربيئة. لم يكن ما قام به قاسم من واجبه كما لم يكن الجنود الذين أعاد بهم الربيئة من واجبهم ايضاً. ولكن حراجة موقف اللواء واحتمال انهياره أدى إلى ذلك.

وأثناء مطاردة جنود قاسم المتمردين تجاوز بعضهم على مواشي وممتلكات سكان المنطقة فما كان منهم إلا أن شكوا أمرهم إلى المتصرف الذي بدوره واجه قائد المنطقة، إذ طلب من آمر اللواء توبيخ قاسم، إن كانت الشكوى صحيحة. طلب الشاوي من قاسم مواجهة المتصرف (وقاسم يلتزم جنوده حقاً أو باطلاً ظالمين أو مظلومين)، فجرى بينهما حديث مما أغضب المتصرف وأغلظ في القول عندما قال له جئتم لحماية المنطقة لا للعبث بها، وصح المثل حاميها حراميها فأضمر ذلك، وحانت الفرصة عندما قامت ثورة ١٤ تموز، إذ اتصل في

المساء بمديرية الاستخبارات العسكرية طالباً التفتيش عن القزاز في أي زاوية من زوايا العراق وإلقاء القبض عليه، ولكن القزاز الذي كان بإمكانه أن يغادر بغداد إلى شمال العراق بحماية أقاربه الذين جاءوا لمرافقته إلى السليمانية، وقد طلبوا منه ذلك إلا أن القزاز رد عليهم أنا لم أرتكب خطأ بحق بلدي وأنا قمت بواجبي وخدمت مليكي ووطني طبقاً للقوانين فلماذا أهرب ؟

اتصل القزاز بمديرية الاستخبارات ودل على الدار التي هو فيها فأخبر قاسم ونفذ أمره في إرسال مفرزة لمصاحبته فقابله ووعده خيراً، وإن أمر اعتقاله لن يطول وإنه اتخذ لسلامته. فكان ما كان من أمر إعدامـــه.

كان القزاز لا يأخذه في الحق لومة لائم وإني أذكر الحادثة الآتية: كنت مساعداً وبرتبة رائد للعقيد الركن خليل جميل المسؤول عن درء فيضان ١٩٥٤ الذي هدد بغداد بالغرق.

اتصل بي المقدم حمدون سعيد من الحرس الملكي قائلاً: أرجو إبلاغ المسؤولين أن سيدنا الأمير ولي العهد يطلب إرسال سكر وشاي ورز ودهن... الخ بطائرات الهليكوبتر الى شيخ ربيعة في النعمانية (الحسينية)، لم أجد العقيد خليل جميل، وإنما كان يتجول لمراقبة سداد الفيضان، الامر الذي اضطرني أن أكلم سكرتير وزير الداخلية الذي كان المسؤول الأعلى عن حماية بغداد (وهو الذي خلص بغداد من الغرق ومن الفوضى والكارثة التي كانت تحصل لو أن القزاز خضع لقرار مجلس الوزراء بإخلاء بغداد بعد أن أشار خبراء الري العراقيون

والبريطانيون بوجوب الإخلاء وأن لا أمل في خلاص بغداد من الغرق ولكن القزاز تحمل المسؤولية وخلص بغداد مما كان يتهددها من نهب وسلب وقتل تحت الاقدام). قال السكرتير: انتظر حتى يكلمك الوزير الذي قال: خليل بك قل للضابط الذي كلمك أن وزير الداخلية يقول: إن مواد التموين خصصت لتوزيعها على الفقراء وليس على الأثرياء، والذين يتمكنون من شراء ما يحتاجون إليه من مواد تموينية. كلمت المقدم حمدون سعيد وانتهى الأمر عند هذا الحد. رحم الله القزاز على هذه الرجولة النادرة وأسكنه فسيح جناته وعوض الله العراق بأمثاله النادرين إنه سميع مجيب. هذا ولابد من الإشارة إلى اني أختلف مع القزاز في اتجاهاته السياسية وفي نظراته لثورة ١٤ تموز ١٩٥٨، وفي الوحدة العربية الخ، ولكن لابد أن ينحني الإنسان ويحيي الرجولة والشجاعة والإخلاص للعقيدة وحب الوطن والإيمان بالله... الخ. والناس كل الناس تعشق البطولة لا بل تعبدها وتقدسها. وإنه سبحانه وتعالى رمز للبطولة.

وقف القزاز بوجه الشيوعيين وحبالهم، ورئيس المحكمة العسكرية العليا الخاصة فاضل المهداوي وتهريجه وشتائمه المقذعة، والمدعي العام العسكري ماجد محمد أمين وتخرصاته التي يمجها الذوق السليم والشعوب المتحضرة.

ولد محمد سعيد القزاز في السليمانية ١٩٠٤ واتخذ لقب القزاز من مهنة أجداده الذين كانوا يربون دودة القز.

دخل الكتاتيب لتعلم القرآن الكريم وأكمل الإعدادية في السليمانية ١٩١٧، سعى القزاز إلى بناء مستقبله الوظيفي مع أنه لم يكمل دراسته العالية، فدرس اللغة الإنكليزية وأتقنها وعين كاتباً لدى المفتش الإداري في السليمانية (W. A. Lyon) سنة ١٩٢٤.

عين مديراً لناحية تكريت ١٩٣٠، وفي سنة ١٩٣٧ تزوج من ابنة عمه السيدة زكية وأنجبت له بنتاً سماها (بري خان) وتعني بالكردية (الحورية) أو (الملاك).

في ٢ تموز ١٩٤١ عين معاوناً لمدير الداخلية العام، وفي ٢٧ تموز ١٩٤٤ عين متصرفاً للواء أربيل، وفي ٢٣ تشرين الأول ١٩٥٢ أصبح سعيد قزاز وزيراً للشؤون الاجتماعية في وزارة الفريق الركن رئيس أركان الجيش نور الدين محمود التي جاءت على أثر الاضطرابات والمظاهرات التي وقعت، وفي شباط ١٩٥٣ تم تعيينه مديراً عاماً للموانئ، وفي شباط ١٩٥٨ أصبح القزاز وزيراً للداخلية في الوزارة الاتحادية وفي ١٤ تموز ١٩٥٨ أودع التوقيف ثم حوكم وأعدم ظلماً وعدواناً وذهبت روحه الى بارئها تشكو ظلم الشيوعيين.

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
مقدمة المترجم	٣
القسم الأول: ما يخص العراق من مذكرات السير همفري تريفليان في كتابه (الشرق الأوسط في ثورة)	٥
القسم الثاني: ما يخص العراق في مذكرات سام فول السكرتير الشرقي في السفارة البريطانية	١٠٥
ملحق	٢٠٣
المحتويات	٢١١

هذا الكتاب

يمثل الكتاب ترجمة ما يخص العراق في مذكرات الدبلوماسيين البريطانيين المشار اليها أعلاه مما يعتبر تكملة لما جاء بالاجزاء الاربعة من كتاب العراق في الوثائق البريطانية ١٩٥٨ - ١٩٥٩ الذي اضطلع الفقيد بترجمته والذي لاقى رواجاً وأستحساناً من كل من تداوله وبهذا فأن وجهة النظر التي مثلها أثنان من أرفع الدبلوماسيين البريطانيين المشتغلين في المشرق العربي وأكثرهم حصافة في مذكراتهما يمكن ان تعتبر وجهة نظر بريطانية الى حد كبير ذلك ان منشئيها هما نفس من كتب التقارير الواردة في الوثائق البريطانية المشار اليها مع الاخذ بالاعتبار العامل الشخصي الذي يقف عادة وراء كتابة المذكرات.

■ بيت الحكمة / جمهورية العراق - بغداد

■ هاتف: ٣ - ٤١٤١٢٠١ - فاكس: ٨٨٦٣٠١٥ - ص.ب: ٥٣٦٤٠

■ رقم الايداع في دار الكتب والوثائق ٢٢

ببغداد لسنة ٢٠٠٣

■ مطبعة الفرات ٨١٨٥٥١٧ - ٨١٨٤٠٣١